الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

BADJI MOKHTAR - ANNABA UNIVERSITY
UNIVERSITÉ BADJI MOKHTAR - ANNABA

جامعة باجي مختار – عنابة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ وعلم الأثار

مطبوعة بيداغوجية بعنوان :

العلاقات الجزائرية المغاربية والمشرقية

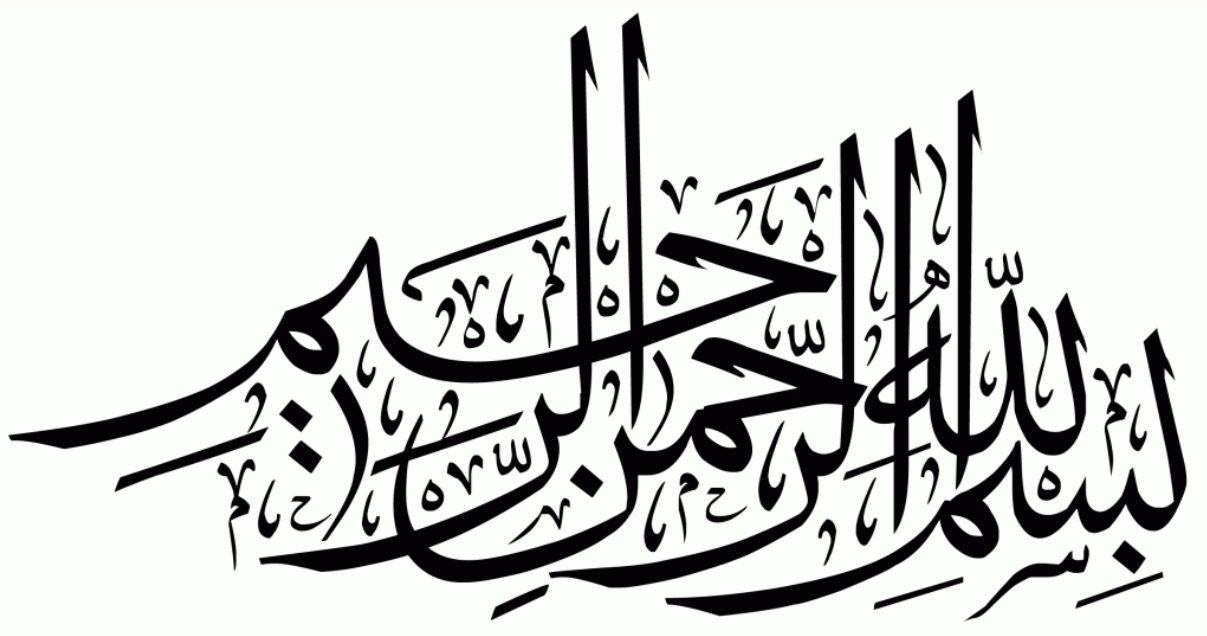
موجّهة لطلبة السنة أولى ماستر

إعداد الأستاذ : د/بك محمد

الرتبة : أستاذ محاضرأ

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

السنة الجامعية: 2023 -2024


بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات مقياس العلاقات الجزائرية المغاربية والمشرقية

مستوى أولى ماستر (ل . م . د)

تخصص تاريخ الجزائر الحديث(1519 م – 1830م)

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

مقدمة :

تتناول هذه المطبوعة البيداغوجية الدروس الكاملة الخاصة بمقياس" العلاقات الجزائرية المغاربية والمشرقية " المقررة والموجهة الى طلبة سنوات الأولى ماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519 م – 1830م) (ل . م . د) والتي سنتعرف من خلالها على كل ما يتعلق بالعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ربطت إيالة الجزائر ببلدان المغرب العربي (تونس ، طرابلس ، المغرب الأقصى) والمشرق العربي(مصر ، الحجاز ، الشام ، العراق..) .

والحقيقة أن هذه الدروس هي عبارة عن تتمة لما تحصل عليه الطلبة في السنوات الدراسية الماضية من معلومات ومكتسبات ، وقد حاولت من خلال عرض دروس هذا المقياس أن أقدم للطلبة نظرة شاملة وصورة صادقة وموضوعية عن العلاقات الجزائرية مع الأقطار العربية المغاربية والمشرقية في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. والوقوف عند أهم العوامل والأحداث التي ساهمت في ربط العلاقات وتوثيقها بين السلط الحاكمة والشعوب في البلدان العربية ، وكان الغرض الأكيد من ذلك تزويد الطلبة برصيد علمي ومعرفي عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني .

أما بخصوص طرائق التعليم والتعلم في هذا المقياس ، فقد اعتمدت على طريقة الالقاء وطريقة العرض والشرح باستخدام وسائل تعليمية مختلفة ، اما ما يخص طريقة التقييم فأجد الأعمال الموجهة 50% + الامتحان 50% .

المكتسبات والأهداف : ولتحقيق الأهداف القيمة حاولت أن أجيب على مجموعة من التساؤلات التي تخدم هذه المواضيع بصفة مباشرة ، وهي التعرف على نشأة العلاقات وتطورها بين الجزائر والبدان العربية .

مكتسبات معرفية : تخص تعرف الطلبة على تاريخ الجزائر الحديث خلال العهد العثماني.

مكتسبات مهارية : التعرف على طرق البحث بهدف الحصول المادة الخبرية من مصادر تاريخ الجزائر الحديث وتوظيفيها في عملية البناء والانشاء .

أما عن الهدف العام للمادة التعليمية :

تعرف الطلبة على تاريخ الجزائر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي خلال فترة الحكم العثماني.

أما عن الأهداف المنشودة من دراسة هذا المقياس يمكن ايجازها في العناصر التالية:

- اكتساب معارف تاريخية دقيقة و صحيحة .

- دراسة روابط التواصل بين الجزائر والدول المغاربية خلال العهد العثماني في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية .

- دراسة روابط التواصل بين الجزائر والدول المشرقية خلال العهد العثماني في الجوانب والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية .

ولتطوير المعارف والمكتسبات فإني أوصي وأنصح الطلبة بالرجوع الى المصادر والمراجع الرئيسية والأرشيف الوطني والمخطوطات المختلفة والكتابات الأجنبية ، والاستعانة بالمراجع الالكترونية ومواقع الانترنيت .

محتوى المادة العلمية وفق المنهاج المقرر:

المحور الأول : العلاقات الجزائرية المغاربية

1- علاقات الجزائر بالأقطار المغاربية (السياسية) .

2- علاقات الجزائر بالأقطار المغاربية (الاقتصادية) .

3- علاقات الجزائر بالأقطار المغاربية (الاجتماعية).

4 - علاقات الجزائر بالأقطار المغاربية (الثقافية).

المحور الثاني : العلاقات الجزائرية المشرقية

- علاقات الجزائر بالمشرق العربي والاسلامي

5 - علاقات دينية (الحج) .

6 - علاقات ثقافية .

7 - علاقات اجتماعية .

8 - علاقات اقتصادية .

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في إعداد هذه المحاضرات وأن تنال رضا الطلبة الأعزاء ، وأن تفيدهم في دعم وإثراء المكتسبات والمعارف لديهم .

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

المحاضرة الأولى

العلاقات السياسية الجزائرية المغاربية

أولا / العلاقة السياسية مع تونس :

لقد تمكنت الجزائر من القضاء على الدولة الحفصية بتونس ، والتي ظلت مرتبطة بها في الفترة مابين 1574 م – 1587 م أي الى غاية نهاية عصر الباي لارايات في الجزائر حين أصبحت تونس باشوية مستقلة تتبع مباشرة السلطان العثماني، إن القاء نظرة على العلاقات في الفترة الممتدة من سنة 1574 م تاريخ الفتح العثماني لتونس وقيام باشوية عثمانية فيها الى سنة 1671 م تاريخ بداية الدايات في الجزائر، وكان حينها نفوذ الدولة العثمانية يضعف مما أتاح فرصة إقامة العلاقات بينهما على النحو الذي كان يريده القابضون على السلطة في البلدين . وإذا أمعن النظر فيما تميزت به العلاقات بينهما في الحقبة التي أعقبت مباشرة إدخال تونس تحت لواء الدولة العثمانية ، وكانت كلمة الباشوات فيها وفي الجزائر هي النافذة وبالذات في الحقبة الممتدة من 1574 الى 1591 ، وجد أن السلام وحسن الجوار وبالتعاون والتفاهم هو الذي طبع العلاقات في تلك الحقبة ، حيث لم يسجل فيها أي نزاع أو خلاف ذي بال بين البلدين ، مما ساعد حكامهما على التغلب على الثورات التي قامت ضدهم في البلدين كثورة ذي النون في تونس سنة 1576 [1] وثورة بني عباس في الجزائر في سنة 1590 وفي تلك الحقبة كان التعاون بين باشوات الولايات الثلاث التابعة للدولة العثمانية قائما وملحوظا ، ومن دلائل ذلك تعاونهم على اخماد ثورة يحي السويدان في طرابلس في سنة 1588.أما العلاقات في الحقبة الممتدة من سنة 1591 الى سنة 1671 ، والتي ضعف فيها نفوذ الباشوات ، وخاصة في تونس وتقوى عليهم نفوذ الدايات ، ثم البايات المراديين وتزايد في الجزائر نفوذ ديوان الجند وطائفة رياس البحر ،

---

[1] عزيز سامح إلتر : الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، ترجمة عبد السلام أدهم ، ج1 ، بيروت ، 1969 ، ص ص 264 – 265 .

فعرفت العلاقات بعض التقلب من حالة السلام وحسن الجوار الى حالة التوتر والعداء بسبب ما كان يطرأ من قضايا دفع بعضها البلدين وحكامهما الى حد الحرب كما في سنة 1628.[1]
لم تكن العلاقات الجزائرية التونسية حسنة وودية في أغلب الأحيان بحكم رغبة كل طرف بالتوسع على حساب الآخر فالجزائر اعتبرت تونس اقليما تابعا لها منذ انضمامها للدولة العثمانية سنة 1574م . و بدأت بالتدخلات المباشرة في الشؤون السياسية لتونس بعد أن انقطعت عنها منذ إعلان تونس باشاوية مستقلة عن الجزائر .

بدأ النزاع الجزائري التونسي مع مطلع القرن السابع عشر ميلادي بسبب الخلاف على الحدود بين البلدين من خلال المنافسات والصراعات القائمة بين مختلف القبائل المتاخمة لحدود التماس بين البلدين فيما يتعلق بأراضي المراعي، وقد لعبت مشكلة الحدود بينهما دورا كبيرا في تأزم العلاقات السياسية بين الجارتين. ففي عهد باي قسنطينة حسن(1608م – 1622م) تم إبرام ضبط الحدود مع إيالة تونس في سنة 1614م تم من خلالها وضع حد فاصل بين البلدين ، لكن عدم الالتزام بها تسبب في حرب 1625م ، في عهد يوسف داي(1610م – 1637م) قام التونسيون بخرقها فلجأ باي قسنطينة مراد (1622م – 1647م) الى استعمال القوة من خلال شنه حملة عسكرية ضد تونس. وفي عهد الداي الجزائري حسين باشا (1627م – 1633م) أخذ الجيش الجزائري طريقه نحو الشرق موحدا قوات بايلك قسنطينة باتجاه مدينة الكاف ، وانتهت المعركة بانتصار الجزائريين في المكان المسمى الستارة في 17 ماي 1628م ، وأرغم التونسيون على إبرام ضبط الحدود التي نصت على أن يبقى مجرى وادي سرات هو الحد الفاصل بين البلدين في المناطق الجنوبية، يتواصل تحديد الحدود بين البلدين من وادي ملاق ويصل الى رأس جبل الحافة ومن هناك الى البحر[2].

ومن محطات الصراع كانت حملة 1677م حيث تدخلت الجزائر فيها من أجل الفصل في الصراع القائم للاستحواذ على السلطة في البيت المرادي ، وقد وقفت الجزائر هنا إلى جانب

---

[1] عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574 الى 1671 ، دراسات إنسانية2 ، ص ص 116 – 120 .

[2] رزقي شويتام : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519.1830 م ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2005.2006 ، ص13 .

السلطة الباشاوية[1]، كما أدى التغيير والتطور الذي حصل في موقف باي تونس إزاء الجزائر الى قيام الداي شعبان الى غزو تونس بهدف تأديبها سنة 1694[2]. وقد تدخل الاتراك لفض هذا النزاع القائم الا ان باي تونس رفض ذلك ودخل في تعاون ثنائي مع سلطان المغرب الاقصى الا ان مساعيه لم تنجح.

ضف الى ذلك تسيير باي مراد الثالث حملة على قسنطينة عام 1700 م والتي اعتبرت من اخطر الحملات في تاريخ الايالتين إذ ترتب عنها ولوج تونس لمرحلة عصيبة من الصراع السياسي على السلطة والذي ادخلها في حرب أهلية امتدت قرابة عشرين سنة، وكان لذلك تأثيره على الوضع السياسي والأمني للبلاد. وقد سعت تونس في كل مرة إلى كسر هذه التبعية للجزائر من خلال بعثها بالعديد من الرسائل تدعو فيها الباب العالي الى مساواة الحكام التونسيين للزعامة الجزائرية[3].

لقد نجح حكام الجزائر في القرن 18 م في فرض نفوذهم والذي تمثل في فرض وكيل جزائري في تونس، وفي فرض الشروط الاقتصادية عمليا لصالح حكام الجزائر ، ولعل ما سمح للجزائر بالتدخل في الشؤون التونسية طبيعة الحكم في البلدين فالبرغم من أن الحكم لم يكن مستقرا في الجزائر الا أن التغييرات كانت تقع في نطاق أفراد لا تربطهم صلة يتولون السلطة ثم يعزلون بإرادة الجند، في حين قامت في تونس حكومات أسر (الأسرة المرادية في القرن 17م والأسرة الحسينية في القرن 18م) فكان الصراع بين أفراد هذه الأسر الحاكمة التونسية يخلق مناخا مناسبا للتدخل الجزائري ، حيث كان المتنافسون يلتمسون مساعدة حكام الجزائر ضد خصومهم من أفراد أسرتهم ، وقد حاولت الدولة العثمانية أكثر من مرة التدخل لتسوية النزاعات الجزائرية التونسية دون جدوى.

استأنف الجزائريين في تدخلهم في شؤون تونس في عهد الأسرة الحسينية مستغلين تنافس أفرادها وطلبهم المساعدة الجزائرية ، فقد تميزت العلاقات بين البلدين في عهد الداي حسين خوجة (1705م – 1707م) بميل الحاكمين ظاهريا الى السلام وفي عهد الداي محمد بكداش

---

[1] كوثر العايب : العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711_1830)، اش محمد السعيد عقيب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الوادي ، 2014، صً28.

[2] الهام قاسمي، حورية طالبي: العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات 1671–1830 م رسالة مقدمة لنيل الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة احمد دراية ، ادرار ، 2015–2016، ص 16.

[3] الهام قاسمي، حورية طالبي : المرجع السابق ، ص16.

(1707م – 1710م) فقد ظل حسين بن علي حذرا من الجزائريين ومن التعاون معهم ، وكاد يؤدي هروب باي قسنطينة ومعه أموال التي جمعها من الضرائب الى تونس الى توتر العلاقات بين البلدين .

تميزت العلاقات في عيد الداي علي شاوش (1718 – 1710) بالطابع السلمي بين الايالتين ، وفي عيد الداي محمد بن حسن (1724 – 1718) أبرمت الجزائر اتفاقيات مع تونس والمغرب الأقصى وساد السلام بينها استغلها الداي في استتباب الأمن في البلاد .وفي فترة حكم كور عبدي (1732 – 1724) شهدت العلاقات تطورا حيث شهدت تونس حربا داخلية كانت الجزائر طرفا فيها وقد شاركت قبائل حدودية مثل الحنانشة وبن علي وزواوة في تلك الحرب ، وانقسمت تونس الى حسينية و باشية انتهت بفرار علي باشا وابنه يونس الى الج ا زئر وتم اعتقاله .

وعندما امتنع حسين بن علي دفع مبلغ 10 ألاف ريال الى الداي ابراهيم رمضان مال هذا الأخير لنصرة علي باشا ووجه جيشا قويا تحت قيادة الخزناجي والباي بوكمية وعلي باشا ووقعت معركة حاسمة بالقرب من حاضرة تونس في 04 سبتمبر 1735 انتهت بهزيمة حسين بن علي الذي لجأ لمدينة القيروان ، ونصب علي باشا بايا على رأس ايالة تونس ورجع الجزائريون محملين بغنائم كبيرة وثمينة . وانتهت الحرب الألمية في تونس بقتل حسين بن علي في 1740 . شهدت العلاقات بين البلدين 1740–1742 نوعا من الهدوء الاستقرار والتعاون حيث عمل الباي التونسي على تحسين علاقاته مع حكام الجزائر خاصة مع باي قسنطينة حسين بوحنك.

لقد توترت العلاقات من جديد بين الجزائر وتونس بحلول سنة 1743 والسبب في ذلك يعود الى أن الجزائر غدت مأوى لأبناء حسين بن علي الثلاثة علي ومحمد ومحمود ، تطورت العلاقات بين الداي ابراهيم الصغير 1745 – 1748 وعلي باشا في اتجاه الصراع المسلح بين الطرفين ووجهت حملة لاحتلال مدينة الكاف في 1746 لكنها فشلت بعدها شهدت العلاقات نوعا من التحسن الحذر.

وبعد مضي عشر سنوات من الحدث جهز الداي علي باشا تقسيس (1754 – 1766) وباي قسنطينة حسان أزرق عينو القوات شاركت فيها قبائل مناصرة لأبناء حسين بن علي

مثل الحنانشة ودريد وتمكنت من تحقيق انتصارا كبيرا وقتل علي باشا وابنه محمد وكانت الخسائر التونسية العسكرية كبيرة ورجعت القوات الجزائرية محملة بالغنائم الثمينة .
وتم إمضاء محمد بن حسين باي على اتفاق يتعهد فيه بدفع الأداء السنوي للجزائر.
وبعد هدوء نسبي تجددت حالة التوتر عندما حاول صالح باي أن يضغط على حمودة باشا باي تونس) 1814 / 1782 (سنتي) 1787 – 1783 للتوصل الى فرض شروط مهينة بحجة هروب بعض الرعايا المعادين له الى تونس ، وهذا ما أدى الى تجدد الصراع عام 1806، فشن حمودة باشا هجوما على مدينة قسنطينة عام 1808 وحاصر المدينة سبعة عشر يوما ولم يتوصل في حملته هذه الى أية نتائج تحسم الخلاف ، كما لم تؤد غا رات البحرية الجزائرية بقيادة الرايس حميدو على السفن والموانئ التونسية عام 1808 الى ارغام التونسيين على الخضوع ، ولم تتمكن أيضا الفرق الجزائرية من غزو تونس بسبب عصيان باي الغرب محمد الرقيق بوكابوس ورفضه المشاركة في الحملة على تونس عام 1813 ، وبذلك بقي النزاع محتدما بين البلدين الى ان وضع الباب العالي بفضل مساعيه الحميدة حدا له عام 1817 م وتوجت بعقد اتفاق بين البلدين أنهى الص ا رع بينهما في 20 مارس1821 م .
عرفت العلاقات تحسنا بين البلدين بعد ذلك ومن الدلائل تبادل الهدايا و احسان باي تونس محمود باي(1821–1824) لرياس البحر الجزائريين ومحاولة البلدين إيجاد حل لمشكلة الديون الجزائرية المترتبة على بعض التونسيين واعفاء الجزائريين من الحجر الصحي المفروض على القادمين من الخارج ، وتبادل الرسائل بين الداي حسين والباي محمود فيما يتعمق بالأخطار المحدقة بالإيالات المغربية.

موقف باي تونس من إحتلال الجزائر:

1 – دعم الأسطول الفرنسي أثناء فترة الحصار: ارتبطت الجزائر مع فرنسا بعلاقات تقارب وصداقة خاصة في عهد الملك هنري الرابع و تدعمت ركائز هذه العلاقة أثناء الثورة الفرنسية بحيث قدمت الجزائر مساعدات لفرنسا ، تمثلت في قروض وتموينها بالمواد الغذائية كالحبوب تفاديا لوقوعها في مجاعة، وهذه الالتزامات الفرنسية المسجلة(الديون) أدت الى

توثر العلاقة بين فرنسا والداي حسبن إلى أن تطورت الأحداث وانتهت بالحادثة الشهيرة "حادثة المروحة"*.[1]

منذ ذلك الحين تأزمت العلاقات الجزائرية مع فرنسا فأخذت علاقات الجزائر مع إيالة تونس منعرجا آخر ويظهر ذلك جليا في السنوات التي تعرضت فيها الجزائر إلى الحصار الذي دام ثلاث سنوات (1242-1244هـ/1827-1829م)[2]، وبعد أن ضرب هذا الحصار على السواحل الجزائرية وبالتحديد في 15جوان1827م،أي بعد شهر ونصف من رفض الداي إعطاء ترضية للأسطول الفرنسي لرد الاعتبار لمكانة فرنسا التي اهتزت بعد حادثة المروحة[3]، هنا ظهرت سوابق برهنت على سوء نية باي تونس ضد الجزائر فقد سُر هذا الأخير لسماعه مثل هذه الأخبار[4]، بل عمل على تشجيع الفرنسيين من أجل تكثيف قواتهم البحرية المتمركزة في الساحل الشرقي بالإضافة إلى أنه قام بتجهيز أربعة زوارق مدفعية لحماية الأسطول الفرنسي من ضربات السفن الجزائرية[5] ، ولم يكتف عند هذا الحد فقط بل قدمت السلطات التونسية جملة من المساعدات لفرنسا على غرار ما قدمته سنة 1244هـ/1829م ،وتموين الجيش المكلف بشن الحملة على الجزائر بقطيع من البقر[6] . هذا

---

* في 30 أفريل 1827 ذهب دوفال تماشيا مع التقليد ليهنئ الداي بمناسبة عيد بيرام الكبير الذي يتبع نهاية رمضان وهناك خلاف حول ما حدث في تلك المناسبة غير أن ضربة على الكتف بواسطة المروحة التي فسرت كلعنة للشخص ولشرف فرنسا. ينظر إلى وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص219. وأيضا شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص14.

[1]- خديجة دوبالي : رسائل أحمد باي إلى حسين باشا (1240-1245هـ/1826-1830م) دارسة وتحليل، إش بن نعيمة عبد المجيد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006، ص151.

[2]- عبد الرحمان بن محمد الجيلاني: تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، د.م.ج، الجزائر، 1994، ص339.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص333.

[4]- محمد عطية: الصراع بين الايالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية 1587-1830، اش عبد القادر صحراوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015، ص136.

[5]- حنيفي هلالي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص ص53، 54.

[6]- خديجة دوبالي، المرجع السابق، ص 188.

ماساهم في معاناة الجزائر ومن جراء الحصار الطويل والصعب كما أن فرنسا أيضا كانت تعاني من كثرة المصاعب والخسائر من ورائه كما عجزت السفن الجزائرية من فك الحصار[1]الذي سبب لها أيضا عجز في عدد الجنود بسب انقطاع تجنيدهم ووصولهم في الأناضول فتضمنت إحدى رسائل التي وجهها الداي حسين*إلى أحد وزراء الباب العالي إذ وضح فيها الداي على عدم قدرته تنفيد أوامر السلطان بشأن إرسال عدد من الجنود عن طريق البحر الأسود للوقوف و المشاركة إلى جانب الدولة العثمانية في حروبها ضد روسيا[2] ونتيجة الأوضاع التي كانوا يعيشها الجنود في محلتهم جعلتهم لا يرغبون في الالتحاق بوحداتهم وفضلوا بذلك البقاء في المدينة والانشغال بالتجارة أو الرجوع وإلى بلدانهم الأصلية أو الهجرة إلى الأراضي التونسية، ولقد بدأت مشكلة الفارين من العساكر الجزائرية إلى تونس منذ عهد الداي حسين بالضبط في سنة 1824م وسعى الداي إلى طلب إرجاعهم غير أن باي تونس كان يرفض ذلك[3]، هنا تدخل السلطان العثماني وأصدر قرار في سنة 1826م وجهه إلى الباي حسين التونسي ينص بالقبض على الفارين وعدم السماح لهم بالإقامة وإعادتهم إلى الجزائر[4]، إلا أن هذه الظاهرة ظلت مستمرة هذا ما يفهم من المراسلات المتبادلة بين القطرين ما بين 1827-1828م وذكرت الوثيقة المؤرخة في 10رمضان

والجدير بالذكر فإن الداي حسين كان يأمل أن يقف الباي التونسي إلى جانبه ضد الغزو الفرنسي وأثناء شن فرنسا حملتها طرح الداي فكرة إقامة تحالف يضم كل من تونس، المغرب، طرابلس الغرب والجزائر للدفاع عن مصالح الإسلام ورد الهجومات الخارجية خاصة الفرنسية، ففشل الداي في استمالة باي تونس فعبر له في فيفري 1829 عن استيائه الشديد من هذه السياسة المنحازة بل هدده برفع شكوى ضده لدى السلطان وشن حملة ضده إلا أن هذا تعذر بسبب الحملة الفرنسية على الجزائر. ينظر إلى محمد حلوان: العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750-1830، إش كريم ولد البنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس، 2015، ص130.

[1]- عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص ص632 - 633.

* أخر حكام الترك بالجزائر كان قوي النفس وحسن السيرة بين السكان الايالة. ينظر إلى أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص176.

[2]- مصطفى بن عمار: الصراع على السلطة الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م)، اش فلة القشاعي موساوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2010، ص144.

[3]- زهيرة سحابات: الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني (1628-1830م)، اشعسال نور الدين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2020، ص82.

[4]- زهيرة سحابات: نفسه، ص82.

1242هـ/1826م هروب مجموعة من اليولداش أو الجنود إلى تونس ووصل عددهم إلى حوالى ثمانين.[1]

ومن رسالة أحمد باي الى سليمان الوزير الأول وشيوخ القبائل في تونس ربيع الأول 1243هـ/21أكتوبر1827م فكان جواب باي تونس بأن بلاده لم تعد لها فائدة ولا مصلحة في رعايا وجنود الجزائر عندها كما أن أحمد باي قد كاتبه أيضا في ذلك الشأن فرد عليه القائد سليمان النفي القاطع بأنهم لم يأتوا أبدا إلى البلاد التونسية إلا أن أحمد باي على ما يبدو لم يصدق رد القائد سليمان أبدا وهذا ما نستخلصه من رده "و أما إن كان فعلكم كقولكم فلا يكون بيننا غدر ولا خديعة ولا مكر ولا يكون شيء إلا بعد إخبار سيدكم (باي تونس) وحيث كان جوابكم ما ذكرتم فإن الأمان والعافية بين الجميع وذلك ما نريده لكل مسلم لا يدخل نفسه في كلف أو فساد".

و ازداد فرار الجنود الجزائريين نحو تونس بتاريخ 23 جمادى الثانية 1243هـ \10جانفي 1828م والسماح لهم بالتوجه نحو الشرق على خلاف قواعد الباب العالي التي تمنع ذلك .[2]

فكل هذه المظاهر وضحت مدى كره وتحامل باي تونس على الحكومة في الجزائر وفيما يبدو أن التواجد الفرنسي بالشرق الجزائري كان الهدف منه بالدرجة الأولى هو وضع فرنسا بيدها على هذه المناطق خوفا من أي طارئ كما أن هذه المناطق مصدرا لاسترداد القمح فضلا على أنها غنية بالمرجان ولفرنسا امتيازات قديمة بها تعود إلى القرن السادس عشر ميلادي كما أن فرنسا لم تكن تأمن تصرفات باي تونس[3] الذي راح يؤمن حدوده الغربية التي كانت قريبة من مسرح الأحداث في الجزائر وزاد في عدد قواته على الحدود الجزائرية هذا ما أكد انحياز باي تونس في هذه الفترة وميله للطرف الفرنسي ، كما انفنا الذكر بأنه سمح بإرسال الأغذية للفرنسين وسهل لهم شراء ما يلزم منها في سرية تامة حتى لا يثور الاهالي ضده الدين يرفضون التعامل مع الأعداء الكفار المسيحيين على عكس الحكام الذين شغلتهم المصلحة و الحقد الدفين للدايات الجزائر و الجزائريين[4] فساند الأهالي الجزائر منذ

---

[1]– خديجة دوبالي: المرجع السابق: ص185.

[2]– محمد حلوان: العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750–1830، مذكرة ماجستير، اشر كريم ولد النبية ،جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس ، 2014 /2015 ، ص ص 123 – 124.

[3]– محمد عطية: المرجع السابق، ص136.

[4]– زهيرة سحابات: المرجع السابق، ص ص 83 –84.

بداية الحصار الفرنسي لها وحتى في فترة الاحتلال فاظهروا سخطهم على الموقف المخزي الذي وقفه حسين باي إثر الأحداث التي كانت قائمة في الجزائر وعبر صاحب الحوليات عن موقفهم هذا بقوله " كما أن نفوس الناس كانت مشدودة الى ترقب الأحداث الجسام التي ستترتب على الحملة الفرنسية ضد ايالة الجزائر"[1] لكن يبقى السؤال الذي يطرح نفسه بما أن الأهالي ساندوا الجزائريين فلماذا لم يقدموا لهم المساعدات لإفشال مخطط الاحتلال قبل أن يتجسد على أرض الواقع؟ ولعل هذا يعود الى عدة اعتبارات ولكن أهمها على الإطلاق هو عدم قدرتهم على الخروج عن طاعة الباي حسين الحاقد على حكام الجزائر بالإضافة إلى الخوف من المصير المجهول الذي ينتظرهم مع الفرنسيين الذين هددوا الباي بإعلان الحرب عليه أن ساند الجزائر ولكن الباي التونسي نجد موقفه مغاير لذلك نتيجة الحقد المتوارثة أب عن جد اتجاه حكام الجزائر والجزائريين[2].

2- موقفه من الاحتلال:

ما أن تأكدت الحملة الفرنسية على الجزائر أعدت فرنسا لهذا الهجوم حملة ضخمة تشكلت من سبعمائة باخرة ما بين باخرة حربية وتجارية على متنها حوالي ثلاثة وثلاثون ألف ومائة وتسعة عشر جنديا و المؤنة لتموين الجيش ، اقتربت هذه البواخر من شاطئ سيدي فرج* في جوان 1830م وقد عهد الداي حسين قيادة المعركة إلى الأغا ابراهيم[3] وعقد مجلس حضره كل من باي التيطري مصطفى وبمرزاق وخليفة باي وهران وخوجة الخيل والحاج احمد باي الذي كان بصدد أداء فريضة الدنوش الإجبارية فبعد وصوله إلى العاصمة طلب منه الداي تحصين ميناء عنابة وأن يستعد لملاقاة الفرنسيين .

---

[1]- البارون ألفونص روسو:الحوليات : التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تر، تح وتق: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريوس، بنغازي، 1992، ص357.

[2]- محمد عطية: المرجع السابق، ص135.

* تقع غرب مدينة الجزائر على بعد خمس ساعات وقد استمدت اسمها من مرابط مدخون فيها داخل حصن صغير. ينظر إلى سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق تعر: أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت ، الجزائر، 1974، ص79.

[3]- الأغا ابراهيم صهر الداي حسين ينظر إلى مبارك بن محمد الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ، 1964، ص ص 323 - 324.

التحق أحمد باي بالاجتماع الذي ناقشت فيه وسائل المقاومة والدفاع عن الجزائر، فحاول توظيف حنكته السياسية والعسكرية باقتراح بعض الخطط الحربية التي من الممكن أن تصد العدوان الا أن هذه الخطط والاقتراحات المقدمة من طرف الباي كان مصيرها الرفض وعدم قبول من طرف الاغا ابراهيم الذي لا يقبل سوء رأيه[1]، كما انه لم يكن يعرف الشيء الكثير عن التكتيك و التخطيط العسكري عكس سابقه الأغا يحي*[2] الذي لو كان على رأس الجيوش لسارت الأمور على أفضل حال وأشار حمدان خوجة في هذا الصدد بقوله "وعندما فقدت الإيالة يحي أغا تنبأ كل عاقل بانهيار الجزائر"[3].

بعد المعركة التي دارت بين الجيش الفرنسي والجزائريين "معركة سطاوالي" هجم الفرنسيون على برج مولاي حسن فانسحب على اثر ذلك أحمد باي باتجاه بايلكه[4].

وباستيلاء الفرنسيين على هذا الحصن لم تصمد المدينة طويلا، اذ خضع الداي حسين لتفاوض الذي خلف تسليم القصبة والتوقيع على معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830م ، ومن الشروط أن ينسحب الداي مع عائلته وثروته الى المكان الذي يختاره ،واعتبر توقيعه على هذه الاتفاقية خطأ فادح إقترفه الداي في حق السكان وهذا ما أكدته رسالة أحمد بايالى الصدر الأعظم بتاريخ 20ربيع الأول 1251ه/الخميس 16جويلية 1835م "... و اشترط على العدو نجاة نفسه وأهله وماله وترك المسلمين في حيرة عظيمة ".[5]

الا أن هذا لم يكن الا خطة درسها الفرنسيون عن كثب أولا عن طريق اتخاذ تونس قاعدة لتحركاتهم ولدراسة الأوضاع في الجزائر ولهذا الغرض أرسلت في أفريل 1830م مخبرين

---

[1]– حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، ط2، تق، تع وتح محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1984، ص188.

* وقال عنه أرست بأنه رجل ذكي وكان يتوجب على الداي مكافئته نظير خدماته العظيمة، وهو أشهر قائد عسكري عرفته الجزائر في عهد الآغوات والدايات صاحب فضل كبير على الحاج احمد باي كما ذكر في الفصل الأول يعتبر قتله أكبر خطأ فادح ارتكبه الداي حسين في حياته. ينظر إلى حمدان بن عثمان خوجة: المرجع السابق، ص188 .

[2]– حمدان بن عثمان بن خوجة: المرآة ، تق تع تح محمد العربي الزبيري ، ANEP، الجزائر ، 2005، ص195.

[3]– أحمد باي : مذكرات أحمد باي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014، ص ص 15 –16.

[4]– أحمد توفيق المدني :"رسائل مخطوطة (رسالة من أحمد باي إلى الصدر الأعظم بتاريخ 20 ربيع الأول 1251ه/الخميس16جويلية 1835م) "، مجلة التاريخ ، رقم 4 ،المركز الوطني للدراسات التاريخية ،الجزائر، أفريل 1977، ص ص 49 –50 .

[5]– أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص66.

الى تونس لهما دور كبير لصالح فرنسا[1]، بالإضافة الى ما تقدم به باي تونس في إمداد باريس بمعلومات عن الوضع الداخلي للجزائر كما أظهر هذا الأخير شماتته وحياده التام لما حل في الايالة الجزائرية[2]، وان دل على شيء فهو أن باي تونس لم ينسى ذلك العداء التقليدي الذي كان بين بايات تونس ودايات الجزائر منذ الأزمنة السابقة هذا ما ترجمه الموقف لباي تونس من احتلال الجزائر وبل رفضهم لتقديم أية مساعدة لحكومة الدايات في الجزائر.[3]

رغم تدخل السلطان العثماني في الكثير من المرات لإنهاء حالة التوتر بين الطرفين وإبرام اتفاقيات صلح ومؤاخاة مثل التي تمت سنة 1236هـ/1821م ولقد كانت هذه الاتفاقية بمثابة الحاسم النهائي لما كان من أحقاد وشقاق بين الإيالتين[4] الا أن النفوس لم تصفى فعلا والعداء لم ينتهِ هذا ما فسرته جملة المواقف والرسائل المتبادلة بين الطرفين خلال هذه الفترة ففي سنة 1240هـ/1825م رفض باي تونس أمر داي الجزائر باعتقال زعيم التيجانية وكأن أوامر الداي لم تصل إلى مسامع الحكام حيث مر أبو عبد الله محمد التيجاني إبن شيخ الطريقة التيجانية الثائر ضد حكومة الأتراك بالجزائر عبر الأراضي التونسية برغم من مراسلة الداي حسين الباي التونسي حسين وأمره باعتقاله وإرساله إلى الجزائر إلا أن رد باي تونس كان الرفض بشدة بل سهل وصوله في مأمن إلى مركزه بعين ماضي[5]، وأيضا في سنة 1243هـ/1827م راسل أحمد باي حسين باي تونس طالبا منه إعطاء تفسيرات وتوضيح حول سكوته وقبوله إقامة أحد الرعايا الجزائريين المتهم بالعصيان و سرقة أموال البايلك فكان جواب باي تونس الذي جعل أحمد باي يندهش منه أنه رفض تسليمه له واعتبره لاجئ ولا يمكنه كسر (حرمة حكومته).[6]

---

[1]– شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية ، ط 4، تع محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1983 ، ص385.

[2]– حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص 52.

[3]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ج 3، ط2 ، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، 1965، ص334.

[4]– حنيفي هلالي: المرجع السابق، ص53.

[5]– خديجة دوبالي: المرجع السابق، ص185.

[6]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ص ص 373 –374.

كذلك الشأن بالنسبة للمندوب العثماني طاهر باشا الذي جاء إلى تونس في أفريل 1830م في مهمة تمحورت حول الاطلاع على سير الإيالة التونسية ومن ثم العروج إلى الجزائر لخلع الداي حسين الذي كما ذكرنا سابقا بأنه أحد أطراف حادثة المروحة وهذا جعل حكومة فرنسا مصممة على غزو الجزائر فكان خلع الداي هو الحل الوحيد لإيقاف هذه المصيبة قبل أن تحل على إيالة الجزائر، ولكن باي تونس اعترضه –طاهر باشا– و منع مروره إلى الجزائر متعللا بحجة فرضه الحجر الصحي –الكرنتينة– على البلاد[1]وفي موضوع نزوله نجد أن باي تونس قد شاور رجال دولته حول إمكانية نزول هذا المبعوث على الأراضي التونسية ومن ذلك التوجه نحو الجزائر عن طريق البر بسب الحصار كما لا يمكن أن يذهب بدون مرافقة محلة عسكرية لحمايته خاصة وأن الطريق طويل ومحفوف بالمخاطر[2] ، بينما وضح لنا صاحب الحوليات التونسية أن سبب نزوله بتونس هو عدم جدوى ذهابه للجزائر بعدما التقى بالأسطول الفرنسي الذي حال دون وصوله إلى الجزائر كما تداولت الأخبار وأكدت بأن أمر الاحتلال قد حسم في باريس ولا رجعة في ذلك عندها قرر المبعوث تغيير وجهته والنزول بتونس وبعدها يتوجه برا الى الجزائر وطلب مرفقة مجموعة من الجنود لحمايته[3].

كما كانت هناك أسباب أخرى أدت لتعطيل مهمة طاهر باشا أقر بها رجال الإيالة التونسية منها أن طاهر باشا لم يقبّل يد الباي التونسي خاصة وأنه أعلى مقام منه لهذا لم يسمح له بالنزول غير أن الوزير قد تدارك مكانة ومقام هذا المبعوث لذلك أكرم ضيافته كي لا يحقد على الباي التونسي و رجال دولته ولا ينقل ما جرى له في الأراضي التونسية إلى السلطان العثماني ولكن ظن الوزير لم يكن في محله فيذكر أبي ضياف أن المبعوث بقي يتذكر السلوك المشين لباي تونس وما حصل معه خاصة وأنه ممثل السلطان وإيالة تونس جزء من الدولة العثمانية فكيف يمنع نزوله فظل يردد ما حدث له لكل من يأتي من تونس إلى مقر الخلافة حيث سمعها المؤرخ–أبي ضياف– منه شخصيا حيث قال "ما يكون جوابكم لله عن تعطيلي الذي عطلتم به مصلحة جمهور من المسلمين لكن المقدر كائن".[4].

---

[1]– أحمد بن أبي ضياف: اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، مج 2 ج 3، الدار العربية للكتاب ، تونس، 1999، ص166.

[2]– ألبارون ألفونص روسو: المصدر السابق، ص ص358 –359.

[3]– أحمد بن أبي ضياف: المصدر السابق مج 2 ج3، ص167.

[4]– البارون ألفونص رسو: المصدر السابق، ص352.

لقد أشاع في هذه الفترة خبر بأن باي تونس قد استجاب لطلبات داي الجزائر الملحة وقرر الوقوف الى جانبه ضد الفرنسيين هنا تدخل القنصل الفرنسي بتونس دي لسبيس لمعرفة سلوك حسين باي تونس الحقيقي اتجاه مسألة الجزائر و التحقق من صحة الشائعة و التأكد من موقفه ،حيث أبدى الباي حسين التونسي رغبته في الالتزام بموقف محايد لما يجري وأكد له بأنه يتمنى من صميم قلبه انتصار الجيوش الفرنسية على إيالة الجزائر وأنه لن يستجيب لأي نداء و لو كان من طرف السلطان العثماني وعبر عن مدى كرهه للجزائر و داياتها[1]، و فعلا فقد بعث الباي التونسي وفدا لتهنئة قائد الحملة المارشال دي بورمون لانتصاره على الجزائريين[2].

وجاء في قوله تعالى{ولن ترضى عنك اليهود ولا نصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله ولي ولا نصير}[3].ففي نفس السنة وبالضبط في شهر أوت 1830م قدمت مراكب حربية فرنسية باتجاه تونس من أجل ربط معاهدة تجارية بين باي تونس و ملك فرنسا حيث كانت معاهدة مهينة لتونس لدرجة أنها فرضت عليهم معاملة التجار الفرنسيون مثل معاملة الأهالي وإبطال افتداء الأسرى و تقديم الهدايا كما كانت سائرة من قبل كما فتحت المعاهدة على البلاد التونسية تزايد التوغل الأوروبي في المجال التجاري ومن ثم التدخل في الشؤون السياسية[4]

وهناك مبررات كثيرة جعلت من رجال الحكم في تونس يميلون لفرنسا على حساب ايالة الجزائر و داياتها فتخوف باي تونس من سقوط الأسرة الحسينية كما حصل في طرابلس بعد أن نجح السلطان في القضاء على الخلاف الذي كان قائما بها و إلحاقها مباشرة بالباب العالي[5] ، وتخوفه من ضم تونس إلى أوجاق الجزائر الا أن هذا السبب لم يكن واردا أبدا خاصة وأن الجزائر وإستانبول لم تعد لهما القدرة والقوة الكافية لفرض إداراتها على ايالة

---

[1]– حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص53.

[2]– سورة البقرة الآية 120.

[3]– زهيرة سحابات: المرجع السابق، ص85.

[4]– أحميدة عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص20.

[5]– أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص ص 65 –66.

تونس بالإضافة إلى ارتباط بايات تونس بعلاقات تجارية مع فرنسا وبالتالي أدى هذا إلى تورط الباي التونسي في الكثير من الديون لصالح التجار الفرنسيين خاصة سنة1829م والتبعية السياسية لفرنسا وتخوف الجانب التونسي منها[1]، كما أشار عبد الجليل التميمي الى سبب قبول باي تونس وميله لفرنسا هو التهديد الفرنسي لباي تونس بأنه سيلقى نفس مصير الجزائر في حال تقديم المساعدة لداياتها ضف الى ذلك الأزمة الاقتصادية الخانقة التي كانت تمر بها البلاد التونسية[2]الا أن هذا لا يمنع من مد يد المساعدة ولو بالشيء القليل وكيف نفسر محاولة اتفاق باي تونس والجنرال الفرنسي؟.

أطماع بايات تونس في الجزائر:

1_محاولة ضم قسنطينة و وهران : لا يختلف اثنان أن موقف بايات تونس الذين تواطؤوا وتعاملوا مع السلطة الفرنسية لم يكن ورائه الإ طمع وجشع في الضم و الاستلاء على بعض الأجزاء من الإيالة الجزائرية خاصة إقليم قسنطينة ووهران. فسعت السلطات الفرنسية الى إثارة مسألة الحدود بين المجال التونسي و إيالة الجزائر فربطت علاقات تحالف مع البلاط الحسيني للاستعانة به لفرض سيطرتها على تلك المناطق خاصة المتاخمة لإيالة تونس هذا ما عبرت عنه معاهدة 1830-1831 م[3]، جاء في تصريح دوري فيقو أنه بدون السيطرة على قسنطينة ومنطقة الشرق لا يمكن لفرنسا البقاء في الجزائر، و لسيطرة عليها لا بد من انتهاج الطرق اللينة السلمية لان سكان هذه المنطقة على جانب كبير من الذكاء والفطنة والقوة كما أنهم يميلون الى الحرب وفرنسا لا يمكنها أن تخوض معهم حرب بسب الطبيعة الجبالية والمسالك الصعبة التي تمتاز بها المنطقة لذلك لابد من فرنسا أن تتقرب من السكان ولا يوجد سلاح أفضل منه لسيطرة عليهم[4]هذا مافسر لجوء القادة الفرنسيين إلى

---

[1]- Abdeljalil Temimi : Le beylik de Constantine et hadj Ahmed bey (1830 -1837), tunis, 1978, p81.

[2]- Abdeljalil Temimi : Le beylik de Constantine et hadj Ahmed bey (1830 -1837), tunis, 1978, p81.

[3]-رائسي ادريسي: القبائل الحدودية التونسية _ الجزائرية بين الاجارة والاغارة (1830-1881)، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016، ص37.

[4]- - أحميدة عميراوي: جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص ص48 -49.

مفاوضة الحاج أحمد باي، فكلف دوري فقو حمدان خوجة الذي قدم من العاصمة مرتين للتفاوض باسمه مع أحمد باي بقصد قبول الاعتراف بفرنسا والاستسلام[1]مقابل الحفاظ على منصبه كباي بشرط أن يلتزم بدفع اللزمة التي كان يدفعها من قبل إلى حسين باشا داي الجزائر المخلوع غير أن أحمد باي بعد مشاورة أعضاء الديوان رفض هذا العرض على أساس أنه تسلم السلطة الشرعية من الداي بتزكية سكان الإقليم[2] وجاء في رده الموجه الى حمدان خوجة في 27 ربيع الأول 1248هـ/ 14 ديسمبر 1832م "... لقد وقع السؤال منهم سابقا – الفرنسيون– من أول الأمر وتكرر صدور الجواب منا بعدم الإمكان ...وعدم إمكانه وتعزره ، سابقا ولا حقا ، و لو كنت حاضرا –حمدان خوجة– لكلياتنا وجزئياتنا وما عليه أحوال الناس لعلمت مقالنا و أنت بارك الله ذكرت أنك الزمت بالقدوم إلينا لأجل المفاوضة ...فاقدم بمعونة الله ...ويتضح لك الممكن من المستحيل ،اذ المشاهدة لذلك أقوى دليل ويكون قدومك من غير التزام بشيء"، هذا ما دل على أن احمد باي لم يكن يقبل أي مساومة وتفاوض وتنازل عن بلاده الا بعد أن يقضي الله الأمر[3]. وكذلك فشل دي بورمون في إغراء واستمالة الحاج أحمد باي فجاءت مساعي أخرى من طرف الجنرال كلوزيل الذي راسله مقترحا عليه أيضا الاستسلام مقابل الاعتراف به كحاكم للإقليم مع الالتزام بدفع ضريبة وعلى هذا الأساس سيرسل له قفطان الشرف والتولية بإسم ملك الفرنسيين . فجمع أحمد باي الديوان وتباحث معه في الأمر فكان ردهم الرفض لما اقترحه كلوزيل على احمد باي وقرروا مراسلة السلطان باعتبار الجزائر تابعة له وكذلك هو الشأن بالنسبة لأحمد باي " ولقبول الصلح المقترح علي يجب ،أولا أن أحصل على موافقته –السلطان– والإجابة الوحيدة هي أن نخبر الفرنسيين بأننا نستشير السلطان ثم نرفع الإدارة السنية بكل سرعة الى الجنرال" وفي أثناء إنتظار أحمد باي رد السلطان محمود قرر كلوزيل عزل أحمد باي من منصبه وإسناد بايلك قسنطينة ووهران إلى أحد أفراد الأسرة الحاكمة بتونس مكان أحمد باي[4] فاستغل

---

[1]–– عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ "الجزائر خاصة" ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة، الجزائر، ج2، 2009، ص235.

[2]– – محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص16.

[3]– صالح فركوس: الحاج أحمد باي 1826–1850، دار المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007، ص104.

[4]– محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث ط1 ، دمشق ، 1969 ،ص 216.

بذلك حضور مبعوثين الباي التونسي مصطفى صاحب الطابع و الكاتب ابو الربيع سليمان الذين وفدوا الى الجزائر بتاريخ21 نوفمبر 1830م[1]، فرحب بهم بحفاوة واحترام وأجرى معهم محادثات تتعلق بإلحاق إقليم قسنطينة و وهران بتونس وقد أثار أسلوب كلوزيل في الحوار إعجاب هذا الوفد من المبعوثين و أكد لهم أنه إذا تعاملت الحكومة التونسية مع الفرنسيين بشأن قسنطينة و وهران فإن فرنسا تنوي تكليفهم فيما بعد بكامل التراب الجزائري سبب حسن الصداقة و التقارب التي جمعتهما[2].

فوردت رسائل كثيرة الى مقاطعة قسنطينة مفادها أن قسنطينة كانت منذ الأزمنة الغابرة جزء من مملكة تونس و ان الباي التونسي يعتزم على استرجاع الوضع القديم استبدال أحمد باي بشقيق حسين باي او أي خليفة يختاره من أفراد أسرته[3] أن يتعهد باي تونس بدفع ضريبة عن مقاطعة قسنطينة مقداراها ثمانمائة ألف فرنك بالنسة لسنة 1831 تدفع عبر أقساط ، كما يقدم سي مصطفى أحد الأطراف المتعاقدة لخزينة الجزائر أربع سندات تقدر الواحدة بمائتي ألف فرنك .أما بالنسبة لسنوات المقبلة يكون الدفع بالربع أو فصليا مع رفع المبلغ إلى ميلون فرنك .بالإضافة الى السماح لسفن الفرنسية بالإرساء مجانا في جزيرة طبرقة.[4]

وقد لعب القنصل الفرنسي بتونس دولسبيس دورا هاما في اقناع باي تونس بقبول مشروع كلوزيل و شروطه، في حين نجد أن أعضاء الديوان رفضوا المعاهدة ونصحوا الباي بالتخلي عن المشروع خاصة فيما يتعلق بوهران لبعدها عن تونس، فتردد حسين باشا باي لقبول المعاهدة الا أنه بعد إلحاح القنصل الفرنسي قبل ببنود المعاهدة ،والسبب الحقيقي الذي جعل حسين باشا و شاكير صاحب الطابع يقبلان بالاتفاق هو أن فرنسا لا تسطيع المحافظة على الجزائر وبالتالي ستعهد الى حسين باشا ويصبح الحاكم المطلق على ولاية

---

[1]– أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص67.

[2]– Abdeljalil Temimi : Le beylik de Constantine …, op.cit., p83.

[3]– أحمد باي: المصدر السابق، ص21.

[4]– حمدان عثمان خوجة: المصدر السابق، ص ص 266 – 267.

الجزائر[1]، في حين أرجع ابن أبي ضياف سبب قبول الحكومة التونسية مشروع فرنسا من أجل حقن دماء المسلمين و الحفاظ على البلاد من الفساد والثورات بالإضافة الى طمعه في الفائدة والحصول على الثروات[2]. وفعلا تم قبول هذا ما أكدته لنا رسالة حسين باشا الى وزيره مصطفى صاحب الطابع المؤرخة في 10جمادى الثاني 1246هـ/ 25 نوفمبر 1830م اذ يقول له بأنه وافق على تعين مصطفى باي حاكما على قسنطينة وفق الاتفاق الذي عقده مع الجنرال كلوزيل الحاكم الفرنسي في الجزائر.[3]

في حين نجد ان الباي التونسي قد كلف من ينوب عنه و وقع اختياره على خير الدين الذي وصل الى وهران في 4فيفري 1831م مع قوة تألفت من 200 مقاتل[4]. لكن هذا الأخير لم يستطع أن يبسط نفوذه على القبائل التي نفرت منه ولم يقدر على جمع الضرائب الا القليل منها فأرسلها إلى تونس غير أن الوزير شاكير صاحب الطابع طلب منه إرسال أموال أكثر من التي أرسلها، وقد سبب له هذا الطلب الكثير من المشاكل خاصة وان عدد جنوده قليل فكيف يمكن لهذا العدد إخضاع وإرغام القبائل لدفع ما عليها من ضرائب ، وأجهضت هذه المحاولة [5]. فراح الأغا خير الدين يكاتب الوزير شاكير صاحب الطابع في24ذي الحجة 1246هـ/4 جوان 1831م بأنه سبق وأن أعلم الوزير بعدم إبداء السكان الطاعة له واستمرارهم في العصيان[6]. وعندما ضاق خير الدين ذرع اذن له الباي بالعودة إلى تونس في ربيع 1247هـ/سبتمبر-اكتوبر 1831م [7]

إلا أن هذه المعاهدة لم يكتب لها أن تطول فبعد أن أرسل كلوزيل نص الاتفاقية الى باريس عارضها وزير الخارجية بشدة باعتبار أنها تعطي حقوق كثيرة في الجزائر خاصة قسنطينة

---

[1]- عبد الجليل تميمي: "مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة 1831 "، المجلة التاريخية المغربية، ع 5، تونس، جانفي 1976، ص ص5 - 6.

[2]- أحمد بن أبي ضياف: المصدر السابق مج 2ج3، ص176.

[3]- خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر الأرشيف الوطني التونسي، ج1 ،ط2، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ، 2016 ، ص25.

[4]-فارس العيد: "طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830-1847)"، مجلة عصور الجديد، ع19-20، جامعة وهران 1، أكتوبر 2015، ص335.

[5]- محمد عطية: المرجع السابق، ص140.

[6]- خليفة حماش: المرجع السابق ، ص22.

[7]- أحمد بن أبي ضياف :المصدر السابق مج2 ج3، ص ص 177-178.

لباي تونس وبالتالي كلوزيل تجاوز صلاحياته بتوقيعه على هذه الاتفاقية التي تعتبر من صلاحيات وزارة الخارجية ، فإصدار الملك تبعا لذلك بتاريخ 29جانفي 1831م قرار ينص على إلغاء هذه الاتفاقية [1]. فلم يسبب هذا الاتفاق استياء في الأوساط الفرنسية والمسؤولين فقط بل أن الاختلاف في النص العربي والفرنسي أثار شكوك الباي التونسي ورجال دولته حول صدق نوايا فرنسا ،فاعتبرت الحكومة الفرنسية أن هذا العمل عبارة عن خسارة لفرنسا لان الضريبة المقرر دفعها هي أقل بكثير من الموارد التي يقدمها هذا الإقليم [2] ، وبالرغم من أن المشروع لم يحظى بموافقة الحكومة الفرنسية الا انه ادى إلى تفاقم العداء بين أحمد باي و حسين باي تونس الذي ازدادت أطماعه اكثر بعد هذا الاتفاق[3] .

2_موقف باي تونس من سقوط قسنطينة:

بعد إحتلال عنابة في مارس 1832م تأثر الحاج أحمد باي بشدة فقرر وضع أكبر عدد من العقبات الممكنة في طريقهم ،فتميزت السنوات الأولى من الاحتلال بمحاولات عسكرية كثيرة من طرف أحمد باي لإستعادة السيطرة عليها لكن سرعان ما جبهت آماله في استرجاع عنابة بالخيبة بعد فشل الباش حانبا بن عيسى في استرجاعها [4] .بعد السيطرة على عنابة عين يوسف المملوك لإشراف عليها فحاول إخضاع القبائل المجاورة لها في بجاية إلا أنه لم يتمكن هنا اقتنع القادة الفرنسيون بأنه لابد من السيطرة على عاصمة البايلك وكسر شوكة أحمد باي حتى يسهل عليهم فيما بعد التحكم في المدن المجاورة ،وتبعا لذلك جهزوا حملة لاحتلال مدينة قسنطينة [5]، فغادرت الحملة الفرنسية المكونة من حوالي 8,8000 رجل بقيادة كلوزيل بمساعدة أحد أبناء ملك فرنسا عنابة في 8 نوفمبر 1836م ، أما أحمد باي فتمثلت استعداداته في تقسيم قواته إلى قسمين ، الأول مهمته الدفاع عن المدينة وضم 2,4000

---

[1]– علي محمد الصلابي: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي – سيرة الأمير عبد القادر– تاريخ الجزائر إلى ما قبل الجرب العالمية الأولى، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ص326.

[2]– محمد خير فارس: المرجع السابق، ص217.

[3]– Abdeljelil Temimi : trois lettres de hadj Ahmed bey de Constantine à la sublime porte, R.O.M.M, N3, 1967, p135.

[4]– Jacques Budin : Colonisation, Acculturation et résistances : la région de Bône (Annaba – Algérie) de 1832 a 1914, sous la direction Émérite Jean–Charles jauffret, thèse pour obtenir le grade de docteur en histoire, université D'AIX Marseille, 2017, pp99, 101.

[5]– عبد الله مقلاتي: المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1954)، د.م.ج، 2014، ص ص27 –28.

رجل بقيادة بن عيسى و محمد البجاوي و القسم الثاني بقيادة أحمد باي تشكل من 5,000 فارس و 1,5000 من المشاة ، و وصلت الحملة في منتصف نهار 21 نوفمبر 1836م [1] ، إلا أن الثلوج و الأمطار التي تساقطت عرقلت تقدم الجيش الفرنسيين الذين قاموا بضرب المدينة بالمدافع التي نصبوها في المنصورة وهضبة سيدي مبروك وضربت المدينة لمدة 3 أيام وفي اليوم الموالي 24 نوفمبر 1836م تقرر رفع هذا الحصار[2] و الانسحاب بسبب استمرار تساقط الثلوج والرياح بالإضافة إلى نقص الذخيرة و الإمدادات وقد كلف الفشل الرهيب الجانب الفرنسي حوالي ألفي رجل[3].

وفيما يبدو هذه الهزيمة دفعت بالفرنسيين للقيام بحملة ثانية ضخمة حيث تشكلت من 16000 جندي بقيادة أكبر الجنرالات المعروف بقدراته القتالية الجنرال دي بورمون [4]، حيث تم حصار المدينة لمدة 8 أيام من 5-13 أكتوبر 1837 خلال هذه الفترة وقعت معارك تشابك فيها قوات الفرنسيين مع مقاومة السكان العنيفة بزعامة أحمد باي الذي ألحق خسائر كبيرة في جيوش الفرنسيين وقتل الجنرال دي بورمون[5]، أما بالحديث عن موقف باي تونس حول ما حل ببايلك الشرق في هذه الفترة فنكتفي بما قالها أحد الكتاب المعاصرين "وكان حكام تونس ضالعين مع الفرنسيين يزدادون منهم تقرب كلما خافوا على حريتهم الزوال على أيدي الأتراك غير مفكرين في المصير المحتوم الذي ينتظرهم ..." [6]

إذن نرى أن أحمد باشا تونس قد إتبع سياسة التعاون الى انتهجها سابقوه فيرى أنه من الضرورة التعاون مع فرنسا وبالتالي هذا يعتبر إستقلال عن حكام الجزائر والدولة العثمانية

---

[1]- Abdelkrim Badjadja : La bataille de Constantine 1836-1837, Edition Edélivrée a paris, 2011, p13.

[2]- بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1962 ، ج1 ، دار المعرفة ، الجزائر ،2006، ص ص116 -117.

[3]- Rym Bakiri : impact de l'intervention coloniale sur la ville de Constantine cas des maisons hybrides, sous la direction du Debache Ben zagouta Samira, mémoire pour obtenir diplôme de magister, université Mentouri, Constantine , 2011, p59.

[4]- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص117.

[5] - أندري نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984، ص248.

[6]- محمد زروال: العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830، مطبعة دحلب، الجزائر، (د. ت)، ص 136 .

[1]و استمرت العلاقات التونسية الفرنسية في تقارب خلال هذه الفترة عن طريق تبادل الهدايا والزيارات [2] ،كقدوم أبناء الملك لويس فيليب إلى تونس إستقبلهم الباي وبالغ في اكرامهم وقدم لهم ما يناسبهم، كما طلبوا منه لتأكيد المودة بينهما لابد من زيارة أحمد باشا فرنسا وبالفعل لبى طلب وخرج على متن باخرة من حلق الوادي سنة 1846م رفقة رجال دولته ، ولقى عند وصوله التبجيل والإكرام [3].

فاعتبر أحمد باي أن احتلال مدينة قسنطينة ما هو الا بداية للمقاومة الجزائرية ضد قوات الاحتلال، فلجأ إلى الجنوب مع من تبقى معه من رفاق للجهاد، واتخذ من الأوراس وبعض مناطق الصحراء ميدانا لجهاده.[4]وفي تلك الظروف الصعبة التي كان يواجهها الحاج احمد باي ،وجدت معضلة أخرى تمثلت في خيانة صهره ابن قانة وتأمره ضده ،وخلقه الكثير من المتاعب و المتاعب له ولعل هذا كان أهم سبب من أسباب إخفاق أحمد باي في مقاومته والجدير بالذكر فان أحمد باي كاتب باي تونس يطلب منه أن يحسن و يرأف بأتباعه الذين التجأوا إلى تونس لشراء الحبوب والمواد الغذائية بعد أن اشتد الحصار لهم وتخريب أملاكهم ومزارعهم ،وتأسف له على عدم قدرته من الالتجاء الى تونس ،وعلى أفعال الدين لم يحترموا تقاليد الضيافة وأغاروا على زاوية عبد الكريم التي كانت مخزن للحبوب حيث قدم الباي تعويضا لذلك من ماله الخاص قدر ب50 ريال[5].

خاض أحمد باي مجموعة من المعارك ولعل أهمها معاركه في جبال أولاد سلطان غرب الأوراس 24أفريل و 1ماي و 8 ماي 1844م ،ولقد أكد بنفسه بأنها أكبر المعارك التي خاضها في حياته، وفي سنة 1845م لجأ إلى أولاد عبد الرحمان في قرية أكباش بجبل أحمر خدو إلى غاية 1848م ،بعد أن نظمت القوات الفرنسية حملة لمحاصرته بمساعدة بوعزيز بن قانة و أحمد بن شنوف وقطعوا عليه الطرق فلم يجد حل سواء مراسلة القائد

---

[1]– مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني_، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، 2009، ص276.

[2]– أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص90.

[3]– حسن حسيني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ،دار الجنوب للنشر ، تونس، 2001، ص168.

[4] محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية،ط1،دار البعث ، قسنطينة، 1985 ص ص58 – 59.

[5] يحي بوعزيز : موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ج1،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر، 2004، ص ص377 ،549.

الفرنسي يطلب ويلتمس منه الأمان و تسليم نفسه وأفراد عائلته ،فاتجهوا به إلى بسكرة ثم باتنة فقسنطينة أين تمّ نقله إلى الجزائر العاصمة وبقي هناك تحت الإقامة الجبرية الى غاية وفاته سنة 1850م كما ورد ذكره سابقا.[1]

المحاضرة الثانية

ثانيا / العلاقة السياسية مع المغرب الأقصى :

أ / العلاقات السياسية بين الجزائر و الدولة السعدية :

1. مرحلة الصراع و التوتر(فترة محمد الشيخ و عبد الله الغالب) :

فمنذ منتصف القرن 16م كان هناك منازعات و حروب بين السلاطين السعديين الذين أصبحوا يسيطرون على مدينة فاس في سنة1549م وبين الدولة العثمانية في الجزائر التي أصبحت تشمل القضاء نسبيا على الدولة الزيانية عام 1549م حول منطقة تلمسان مما زاد تنافس فيما بينهم ، فقد كان المواجهة الأول بين البلدين 1550م بدعوة من السكان لمحمد الشيخ لاسترجاع ملكهم وجه حملة لسيطر على تلمسان فجهزا جيشا وأعطى قيادته لابنه حران و عبد القادر و تمكن من ندخول تلمسان دون مقاومة، وقام هذا الأخير بتنصيب أخيه عبد القادر على تلمسان، ثم باشر لتحقق انتصارات الأخرى على حساب الأراضي الجزائرية وبذلك توجها شرقاوأستطاع الدخول مستغانم[2]، وسرعان ما علم حسن بن خير الدين فأرسل حملت بقيادة محمد الخوارني ضد السعديين في تلمسان تمكن من استرجعها ودام حصارها تسعة أشهر، كما أرسل جيشا آخر الى مستغانم بقيادة حسن قورصو قد كان النصر حليف الجزائر، وتم تعين الحسن بن محمد بن عبد الله الثاني على تلمسان والذي أعلن عن مبايعته للأتراك[3].

---

[1] إسماعيل حنفوق : دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1931 ، إش صالح فركوس، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،جامعة لحاج لخضر ، باتنة ، 2011، ص ص59-61.

[2] صالح عباد : المرجع السابق ، ص ص 72-73.

[3] عبد العزيز الفيلالي : تلمسان في عهد الزياني ، (د، ط) ، ج 1 ، موفم للنشر والتوزيع ، 2002م ، ص 79.

ارسل السلطان العثماني العالم خروبي الى محمد الشيخ من أجل عقد سلم و تحديد الحدود بينهم و تم الاتفاق الى ان واد ملوية كحد فاصل بين البلدين[1]، إلا أنها لم تدم طويلا ورجع النزاع بينهم فتحالف محمد الشيخ مع الإسبان ضد الجزائر[2]، وعلى إثر التجاء أبو حسون الى الجزائر و طلب العون لاسترداد ملكه فوجود الأتراك الفرصة لإخضاع المغرب فانطلقت حملة بقيادة صالح في سنة1554و تمكن من دخول فاس وتنصيب أبو حسون إلا ان محمد الشيخ تمكن من إسترجاعها وقتل أبو حسون[3]، أدى التقارب السعدي الإسباني الى إرسال حملة على تلمسان عقب وفاة صالح رايسو ذلك عام 1557م إلا أنه لم يلبث كثير فيه و فك الحصار غير أن تأزم العلاقات الجزائرية السعدية أدى الى اغتيال محمد الشيخ عام 1557م بل وقام كذلك حسن بن خير دين بحملة على الدولة السعدية سنة 1558م الإ أنه فشل في ذلك [4]. وهكذا فإن سياسة عبد الله الغالب تمثلت في مقاومة التوسع العثماني و الإستعانة بأعدائهم في تقرب الى الإسبان على إثر هذا التحالف أصبحت منطقة بادس تابعة لها، ووقع مع الفرنسيين كذلك معاهد للحصول على السلاح فالمقابل منحهم القصر الصغير، فقرر أن يهاجم تلمسان في سنة 1560م في ظل الأوضاع المضطربة التي تعيشها الجزائر في عهد الحسن باشا من تمرد قبائل بني عباس فالجنوب و الإسبان في شمال و تمكن من دخول المدينة غير أنه لم تخضع له طويلا حيث انسحب بعد عودة الحسن باشا و فك الحصار عن بني عباس[5]، وبعد هذه الأحداث جرت مفاوضات بين السلطان العثماني و حاكم السعدي و تم قبول عبد الله بإرسال سنويا هدايا لخليفة العثماني و منذ سنة 1560 حدة الصراع بينهما و سادة نوع من حسن الجوار[6]،الا هذا لم يدم طويل فبعد السلطان السعدي لأخيه عبد المؤمن تعكرت العلاقات و عزم العلج علي اعداد حملة

---

[1] جلول مكي : مسألة الحدود بين الجزائر و المغرب من 631 الى 1263هـ /1234 –1847م ، اش مولاي بالخميسي ، شهادة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 1993م ، ص89.

[2] هلايلي حنيفي : المرجع السابق ، ص58.

[3] إبراهيم علي الحسن : أحمد المنصور الذهبي ، ط1 ، دار الثقافة للنشر و توزيع ، 1987م ، ص 24.

[4] محمد دادة ، تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان و العثمانيين و المغاربة في القرن 16م ، عصور الجديدة ، ع2 ، 2011م ، تلمسان ، ص 198.

[5] عز الدين بن سيفي : ملامح من العلاقات السياسية الجزائرية المغربية في على عهد الأتراك العثمانيين في الجزائر و الأشراف السعديين في المغرب الأقصى ، مجلة القرطاس ، ع11 ، 2019 ، خنشلة ،ص ص38–39.

[6] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص ص 181––183.

على المغرب غير أنها تأجلت لمشاركة الأسطول العثماني في معركة ليبانت، وهكذا بقى الطرفين على حذر حتى موت السلطان عبد الله الغالب[1]، أما عن العلاقات مع متوكل وعبد الملك قد تم اشارة لها سابق.

محاولة الدولة العثمانية التوسع في المغرب :

1. سياسة أحمد المنصور اتجاه الجزائر :

قد اتبع أحمد المنصور منذ توليته للحكم سياسة هادف للتخلص من نفوذ الجزائر، الذي كان يرى فيه المهدد الحقيقي الاستقرار لسلطته، و تجنب دخول في مواجهة مع القوى الخارجية وفي مقدمتها الجزائر[2]، فنجده رحب بطلب ملك الإسباني فليب الثاني بدأ في التقرب من إسبان فرحب بالمبعوث الإسباني وعزم على التحالف مع الإسبان ضد الحكم العثماني ، مما أقلق هذا الخليفة العثماني مراد الثالث لأن ذلك تهديدا صريح لتواجد العثماني بالمغرب، كما أثار مخاوف الباشا الجزائري فسارع الى ارسال سفارة برئاسة أحد رجال الطرق الصوفية الى السلطان أحمد المنصور للإفشال نواياه الا أن هذا لم يجدي أي نفع[3]. وبالفشل المساعي الدبلوماسي التي أظهروها الحكام الجزائر فقام السلطان العثماني بتعيين رمضان آغا حاكم الجزائر السابق فعينه والي على مدينة تلمسان للقضاء على التحالف الإسباني المغربي[4] بعد أن وصلت إليه أخبار بتعاون بين الملك الإسباني وحاكم السعديين

---

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 187.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق ، ص 91.

[3] زهرة النظام : العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال قرن 10هـ/16م ، (د ن ط) ، دار الأمان ، الرباط ، 2015م ، ، ص 290.

[4] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 210 .

للغزو الجزائر، بإضافة الى إلتزام كل طرف بتقديم مساعدات عسكرية في حال تعرض احدهما للهجوم عثماني[1]، وألا يستعمل المغرب أراضيه و موانئه ضد الإسبان، إذ نجد الأتراك في الجزائر لم يبادروا في هجوم على المغرب خشي من لجوء احمد المنصور للتحالف مع الإسبان، وفي الحقيقة الأمر كان الملك الإسباني يطمع في سيطرعلى ميناء العرائش لما لديه من أهمية استراتيجية فهو بالنسبة اليه وسيلة للإبعاد العثمانيون عن المغرب الأقصى، إلا أحمد المنصور كان يعدهم بذلك فقط من أجل التقرب لهم خوفا من أطماع العثمانيين [2]، كذلك أصدر السلطان مراد الثالث أوامر إلى كل من حاكم طرابلس و تونس و الجزائر إلى إرسال المدد العسكرية لدعم رمضان آغا، كما أن هذا الأخير لم علم

---

[1] حماش خليفة : كشاف الوثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني الى العهد الراهن ، (د ، ن) ، ج1 ، منشورات كلية الآداب و الحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، 2018م ، ص ص 172-173.

[2] محمد بووشن : التنافس الإسباني – الإنجليزي حول الثغور المغربية خلال أحمد المنصور السعدي (986هـ/1578م-1012هـ/1603م): العرائش نموذجا ،مقدمة للدراسات الإنسانية و الإجتماعية ، ع 5 ،2020م جامعة ابن طفيل ، ص 95-96.

ثورة عبد مؤمن 1580م ضد أحمد المنصور لم يتردد في دعم [1]، في إقليم السوس في الوقت الذي أعلن المنصور البيعة لإبنه محمد الشيخ[2] ، فأرسل رمضان باشا برسالة للمؤمن يؤكد له فيها على أنه استعداده لتقديم مساعدات ضد عمه إذ ما احتاج لذلك، و مما جاء في الرسالة " و لما عزمنا الأن القدوم ،فأول ما سألنا عن أحوالكم ، وأين استقر مقامكم لكي ننشئ معكم عهدا، تقادم لنا من أسلافكم ، فبعث هذا المكتوب لكم تعلموننا في جوابكم ..."[3]، غير ان المنصور تمكن من القضاء على ثورة ابن اخيه في سنة 1560م[4].

اقتراح السلطان العثماني على حاكم السعدي: بعد أن ضمت الإسبان البرتغال لأرضيها وذلك عام 1580م[5]، وبعد فشل كل مساعي السلطان في احتواء المغرب ومنعه من التحالف فكر في ايجاد وسيلة أخرى يستميل بها حاكم المغرب ولو نسبيا فبعث برسالة وذلك سنة 1580م يعرض عليه تزويج احدى بناته[6] والتفصيل على ذلك " أخترنا لكم الانتساب الى أبوابكم العالية الأعتاب ليحصل لكم الارتقاء على ذرة أعلى المراتب .... و عهدنا الى أمير الأمراء الكرام ....جعفر باشا أن يصهر لكم على احدى بناتنا ينوب علينا ... اسعافا لغرضكم المنيف ...."[7] ، وأما الرسالة الثانية يعرض عليه تعاون مشترك ضد الإسبان مع تقديم المدد العسكرية من قوات وأسطول لإعادة فتح الأندلس والتي نصت على " فلما وصل بمسامعنا الشريفة و مشاعرنا الحقانية امنيفة خبر طاغية قشتالة وأنه احتوى على سلطنه برتغالي (....) حركتنا الحمية الإسلامية الإظهار الألفة الأزلية أن نتخذ عهدا ونؤكد أن المملكتين محروستا الجوانب و نعلق العهد بالكعبة فإذا تم الشأن نوجه لكم ثلاثمائة (...)

---

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 216.

[2] جلول بن قومار : المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي 986هـ-1012هـ/1578م-1603م ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، ع 20 ، 2020م ، جامعة غرداية ، ص 176.

[3] جلول بن قومار : علاقات المغرب الأقصى السياسية و الديبلوماسية مع ضفتي غرب المتوسط في عهد أحمد المنصور السعدي و اسماعيل العلوي (1578-1603م) / (1672-1727م) : المرجع السابق ، ص ص 92-93.

[4] جلول بن قومار : المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي (986هـ-1012هـ/1578م-1603م) : المرجع السابق ، ص 176.

[5] عيسى الحسن : الدولة العثمانية عوامل و أسباب الإنهيار، ط1، دار الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2009م ، ص 189.

[6] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 93.

[7] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 217.

تستفتح إن شاء الله بلاد الأندلس"إلا أن المنصور أهمل الوفد العثماني وعامله بكل برودة مما أثار غضب السلطان مراد الثالث [1] ، ويرجع ذلك الى رد على اسباب قديمة المتمثلة في:

تحالف الأتراك مع القادة الأندلسيين في بداية عهده .

دعمهم لثورة الأمير عبد المؤمن ضد عمه أحمد.

احتضانهم للأمير اسماعيل بن عبد الملك بعد تزويج باشا حسن فنزيانو بأرملة أخيه[2].

تعمد المنصور اهمال الوفد لإشغاله بتنظيم دولته و قطع شواغب عنها" و تشاغل المنصور وتركهم تركهم بحضرته مهملي و تأخر عن الجواب ، خاقان ملك القسطنطينية ، ففاظه ذلك منه " .

فجاء رد الفعل السلطان العثماني بشن حملة عسكرية على مغرب بقيادة العلج علي و أمره بتوجه على رأس الأسطول والإخضاع حاكم السعدي احمد المنصور وذلك في سنة 1580م فوصل الى الجزائر عام 1581م[3]، فكانت هذه فرصة سانحة للعلج علي الذي كان دئما يرغب في ضم جميع أجزاء المغرب تحت حكم العثماني[4]، حيث نفهم أنه كان يبغض المنصور و كان يذكره عند السلطان مراد بأقبح الأوصاف ويذكر أبيه مجمد الشيخ بما فعله اتجاه الأتراك وقد عبر قشتالي في كتابه المناهل الصفاء في مأثر مواليا الشرفا " قد ضاع صنيعك في ... و ضيع والدك من و هكذا قبلك"، فتحرك العلج علي نحو المغرب بينما كان المنصور على استعداد لها عند نهر تانسيفت وفي نفس الوقت أرسل سفارة الى استانبول للاعتذار عما بدر منه من تأخر الرد [5]، كما أرسل مبعوث مغربي الى الإسبان لطلب المساعدة العسكرية من الملك اسباني لمواجهة التدخل جزائر العثماني ووعد فليب

---

[1] عيسى الحسن : المرجع السابق ، ص 189.

[2] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص94.

[3] محمد رزوق : دراسات في تاريخ المغرب ،ط 1 ، دار افريقيا الشرق ، مغرب ، (د ، ط) ، 1991م ، ص94.

[4] علي كامل حمزة سرحاني : العلاقات الخارجية للدولة السعدية خلال نصف الثاني من القرن سادس عشر الميلادي (1549-1603م) ، مجلة القادسية للعلوم الأنسانية ، ع4 ، 2017م ، المعهد التقني بابل ، ص ص 9-10.

[5] أحمد سالم سالم علي: العلاقات العثمانية –المغربية خلال القرن السادس ،كان التاريخية ، ع 13 ، 2011م ، الإسكندرية ، ص 53.

بذلك مقابل منحه ميناء العرائش[1] ولكن أحمد المنصور ادرك الأضرار التي قد تترتب من غزو المغرب، وكان ممن أرسله القائد أبا العباس أحمد بن ودة العمراني ، وكاتب أبا العباس أحمد بن يحي الهوزالي فحمل معهم هدايا عظيمة للسلطان، وقد التقى الوفد بعلج علي واعتراض طريقهم محاولا اقناعهم بالرجوع و تمكن من ا قناع القائد بن عودة و أما الهوزالي رفض وتابع طريقه الى استانبول وتمكن هذا الأخير بدهائه من اقناع وارضاء الخليفة العثماني و تراجع عن الحملة[2]،فأصدر بذلك أمر للعلج علي توقف عن غزو المغرب وتوجه نحو الشرق و كلفهما بالقضاء على بعض الثورات التي قامت ضده الوجود العثماني[3]، ثم رجع الوفد السعدي و معه الوفد العثماني ولقد دفع هذا لتحسن العلاقة بين الطرفين [4]فأحسن المنصور هذه المرة للوفد العثماني الذي أتى ليخبره بانتصاراته على صفويين في ايران كما أرسل أحمد المنصور وفدا آخر يتكون من قاضي القضاة مراكش أبي القاسم الشياطبي وأبي عبد الرحمان بن منصور الشياظمي الى جانب الوفد العثماني لتهنئة على النصر اضافة الى ذلك حملت معها رسالتين الى والي الجزائر حسن وآخر الى القلج علي[5]

يبدو أن المنصور من خلال هذه السفارة أنه أراد تجنب السلطة العثمانيةوعدم دخول معها مواجهة عسكرية كما تبين سعيه الى تقوية العلاقات بين البلدين وجعل المغرب مستقل عن الدولة العثمانية، حيث أنه استطاع المنصور أن يصل الى مبتغاه وتمكن من اقتناع السلطان مراد وما يعزز هذا القول هو ما ذكره ما الوفراني" ... صنع الشياظبي كلاما بليغا أعرب فيه عن فضل الدولتين و قرر فيه حق أهل البيتو أطرا المنصور غاية الاطراء و حض على اتحاد كلمة الإسلام و قرا ذلك خاقان عليه يوم السلام ففرح بذلك خاقان و اهتز لسماعه ثم بعد أيام بعث خاقان وأحسن اليهم وأحسن اليه كل الإحسان ...".

---

[1] حماش خليفة : المرجع السابق ، ص 172.

[2] شوقي عطاالله جمل : المغرب العربي الكبير في عصر الحديث (ليبيا – تونس – جزائر – المغرب)، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977م ، ص 185.

[3]أبي فارس عبد العزيز : المصدر السابق، ص 63.

[4] شوقي عطاالله جمل : المرجع السابق ، ص 185 .

[5] أبي فارس عبد عبد العزيز القشالي : مناهل الصفاء في مآثر موالينا الشرفاء ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 2002 ، ص 64.

وفي الغالب استطاع كل من الشياظمي والشيظمي بدهائهم وذكائهم في تعزيز وتحسين العلاقات بينهم معتمدين على النسب الشريف للسلطان تمكنوا فرح الخليفة لعثماني بما قالوه له ورحب بيهم، وأن مقام به المنصور وهو من أجل ابقاء المغرب مستقلا،[1] فقد كتب الخليفة العثماني له " لك علي العهد أن لا أمد لك يدي إليك إلا للمصافحة وأن خاطري لا ينوي لك إلا الخير والمسامحة"[2].

ومنذ هذه السفارة أصبح أحمد المنصور السعدي يتجنب الملك الإسباني ويلتمس لها الأعذار ومماطلة في منحهم العرائش والذي كان من قبل يسعى لإقامة معها تحالف لردع الخطر العثماني ولما مالت العلاقات الجزائري العثمانية نحو السلام القلق اتخذ المنصور موقف من الإسبان [3]

موقف ايالة الجزائر من بيعة احمد المنصور:

1. لجوء احمد المنصور واخيه الى الجزائر :

لما توفي السلطان محمد الشيخ عام 1557 انتقل الحكم الى ولده عبد الله الغالب، والذي قام بقتل اولاد عمه مما جعل عبد الملك و احمد الهروب من بطش اخيهم فتوجه سجلماسة الى تلمسان ثم الى الجزائر خوفا على انفسهم [4]والذي قتل اولاد عمه فهربوا خوفا على انفسهم الذين استقروا في عهد بيلرباي حسن بن خير الدين[5] ثم لحق بهم بعدها اخيهم عبد المؤمن1558م اين رحب به الحسن بن خير الدين و قام بتزويجه احدى بناته ونصبه حاكما

---

[1] محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني : نزهة الحادي بأخبار لملوك القرن الحادي ،ط1 ، 1888 ، ص 87.

[2]فهد بن محمد السويكت : موقف الأشراف السعدين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية ، مجلة جامعة الملك سعود ، 2002م ، الرياض ، 202.

[3] عبد الكريم كريم : المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية و مختلف المظاهر الحضارية ، ط 3 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط ، 2006م ، ص125.

[4]عبد مجيد القدوري : المغرب و أوروبا ما بين القرنين الخامس عشر و الثامن عشر (مسألة التجاوز) ، ط2، الدار البيضاء ، المغرب ، 2012م ، ص 167.

[5].عزيز سامح التر : المرجع السابق ، ص 235.

*عبد الله ابن أبي عبد الله محمد بويع اثر وفاة والده سنة1557م واستمر حكمه الى غاية 1773 وتوفي بمرض القلب بعد أن حكم لمدة ستة عشرة سنة. ينظر الى البارون دي كولاصو – ماكنمارا: ملوك المغاربة، تر: عثمان المنصوري، ط1، مطبعة الرباط، 2016م،ص42.

على تلمسان مما أثار هذا مخاوف وانزعاج المولاى عبد الله*[1] غير ان حكام الجزائر لم يستغلوا لجوء الامراء السعدين فقد اكتفوا بالتدخل لحل النزاع فيما بينهم و ذلك من خلال ارسال علماء الى السلطان عبد الله فقبل و تعهد برعاية اخوته وعدم التعرض لهم وهكذا رجع الاخوين الى فاس[2]، ففي أواخر سنة 1569م عشر مالت العلاقة بين حكام الجزائر وعبد الله الغالب سلطان المغرب وهذا زعج الامراء وخصوصا عبد الملك و كما ان الباب العالي لم تقدم الدعم لهم فلم يجد عبد الملك حلا سوى التقرب من الاسبان عن طريق اندريا غاسبار وكورسولنزع الملك من اخيه غير ان عبد الله كشف تلك المؤامرة فقام بتنصيب ابنه محمد خليفة له على فاس وتراجع عن وعده فرجع الاخوة مرة اخرى الى الجزائر، كما قتل عبد المؤمن 1571م واصبح عبد الملك حكما على امارة تلمسان[3]كم شارك الى جانب الدولة العثمانية في معركة لبانت 1571م ضد الاسبان و التي أدت الى انهزام الدولة العثماني واسر امير عبد الملك فيها الا انه بفضل علاقاته مع رجال عرش الاسباني فك اسره[4]بعدها رحلوا الى قسطنطينية مطالبين الدعم من سلطان العثماني سليم الثاني لنزع الملك من اخيهم غير انه كان منشغلا في تلك الفترة بتحرير تونس، حيث انتهز عبد الملك واخيه الفرصة للمشاركة في تحرير تونس من الغزو الاسباني وكان عبد الملك اول من وصل خبر فتح تونس للسلطان سليم الثاني ولهذا سارع عبد الملك في طلب من هذا الاخير ان يمده بمدد العسكرية لاسترجاع الملك[5]على ان تكون المغرب تابعة للدولة العثمانية[6]فأصبحت بذلك ظروف ملائمة للجزائر لحل مشكل وراثة العرش السعدي بعد ان تمكنت من ضم تونس وفي هذه الاثناء توفي السلطان عبد الله الغالب في سنة 1574 م آلت مقاليد الحكم لابنه المتوكل فعزم الاخوين على ان يخلع العرش من المتوكل باعتبار ان عبد الملك اكبر امراء البيت

---

[1] عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، دار الامل ، الجزائر ، 2002م ، ج1 ، ص 179م.

[2] عزيز سامح التر : المرجع السابق ، ص235.

[3] عمارين خروف ، المرجع السابق : ص 184-185.

[4] عبد المجيد القدوري : المرجع السابق ،ص 169.

[5] أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى (الدولة السعدية) ، تح جعفر الناصري ،محمد الناصرى ، دار البيضاء ن (د، م) ، 1955م ،ص 59-62-63.

[6] عبد كريم غلاب : قرأة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبرطورية عصر التركي في تونس و الجزائر ، ط1 ، ج1 ، {ار الغرب الاسلامي ، (د، م) ، 2005م ، ص304.

السعدي و له الحق في السلطنة المغرب[1]فانطلقت الحملة على المغرب الاقصى عام 1576م في عهد السلطان مراد الثالث الذي خالف ابوه (1574-1594م)[2] فتوجه القائد رمضان بجيش كبير الى فاس فوقعت المعركة ادت الى انهزام المتوكل وفراره ودخل عبد الملك فاس واستولى على الغنائم و التي تم بفضلها تصديد تعويضات التي عليهم لجيش الجزائر و تقديم هدايا للسلطان العثماني[3] ، و الاعتراف بسيادة الدولة العثمانية الاسمية على المغرب فضرب السك باسم الخليفة العثماني مراد العثماني و دعاء له في منابر الا هذا مؤقتا و لم يدم الانه يعلم طموح الاتراك وبمجرد ما نظم اوضاع الداخلية للبلاد سعى جاهدا الى التحالف مع الدول الأوربية قصد[4]

2.معركة واي المخازن و بيعة احمد المنصور :

لم يكن وقوع معركة المخازن او الملوك الثلاثة سنة 986هـ/1578م بمحل الصدفة بل كانت وليدة اسباب التي هددت كيان الاشراف السعديين اما البقاء او فناء و من اهم تلك الأسباب:

أ. التقارب الانجليزي السعدي : بدأ السلطان السعدي عبد الملك (1576-1578م) يعمل على اعادة علاقاته مع الانجلير، ولا سيما في وقت كانت البلاد تتعرض للغزوات الاسبانية البرتغالية المستمرة ، فبهذا التقارب المغربي الانجليزي استطاع عبد الملك من التزويد بما يحتاجه من العتاد و الذخيرة الحربية مما اثارت هذه العلاقة انزعاج و استياء كثير لدى البرتغاليين واسندتها الى ان هذه العلاقة تهديدا لمصالهم و مستعمراتهم في السواحل المغرب الاقصى[5].

ب. الصراعات الداخلية على الملك : حدثت عدة معارك بين السلطان عبد الملك الذي تولى الحكم على المغرب بمساعدة الاتراك كما ذكرنا سابقا و ابن اخيه المتوكل الذي اعاد

---

[1]دلندة الارقش و اخرون : المغرب العربي الحديث من خلال المصادر ، (د، ط) ، مركز النشر الجامعي ميدياكوم ، (د، م) ، 2003م ، ص21.

[2] شارل جوليان : المرجع السابق ، ص 269.

[3] حنفي هلالي : اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص 59.

[4] محمد نبيل ملين : السلطان الشريف جذور الدينية و السياسية للدولة المخزنية في المغرب ، (د،ط) ، تر : عبد الحق زموري ، عادل بن عبد الله ، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي ، جمعة محمد الخامس السويسي ، 2013م ، ص ص 52-53.

[5]روجرر : العلاقات الانجليزية –المغربية حتى عام 1900م ، تر : يونان لبيب رزق ، دار الثقافة ،المغرب ، 1981م ،ص ص41-42.

الكره بهجوم على مراكش بعد ان جمع جيش من السوس[1]بقرب من واقعة الريحان ، فاستعان عبد الملك بأخيه احمد من فاس فانهزم المتوكل مرة اخرى وبعدها كلف مولاي عبد الملك اخيه بمطاردة ابن اخيه و جرت عدة معارك منها واقعة تنزرت والتي كان النصر لأحمد المنصور و تتالت الهزائم للمتوكل[2].

ت. رغبت عبد الملك البرتغالي في تحقيق مشاريع توسيعية : اراد الملك البرتغالي القيام بعمل سياسي ديني لاسترجاع ما ضاع من مستعمرات في المغرب خلال حكم ابيه يوحنا الثالث و اعلاء شأنه بين ملوك الدول الأوربية فقد كان يحقد على الاسلام عموما و على المغرب خصوصا[3].

ث. استنجاد محمد المتوكل بملك البرتغال دون سبيستيان: التجاء المتوكل للبرتغال بعد ان ضاقت به الارض لاسترجاع سلطته[4] و بالتالي اضطر هدا الاخير اللجوء الى الملك البرتغالي لطلب المساعدة منه ضد عمه عبد الملك و بذلك وجدت البرتغال في هذا الاستنجاد فرصة التي كان ينتظرها ويحلم بها للتدخل في المغرب بحجة تقديم العون و كان من وراء ذلك التنازل للبرتغال عن سواحل المغرب و ويحتفظ له بداخل[5].

ج. مجريات المعركة :انطلقت الحملة البرتغالية من ميناء لشبونة في مارس 1578م على رأسها الملك دون سيبستيان باتجه طنجة* اين انظم اليها المتوكل واتباعه و جنده حيث انه لقى الدعم من طرف فليب الثاني ملك اسبانيا و البابا و ايطاليا و المانيا التي لم تتجاوز ثلاثيين الف جندي[6]، اما السلطان عبد الملك لما علم بالحملة راسل اخيه في فاس والى

---

[1] عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ج2، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،2005 ، ص 306.

[2] جلول بن قومار : معركة واد المخازن و أثرها في العلاقات المغربية مع الدول غرب اوروبا البرتغال – اسبانيا –فرنسا (986هـ-1578م/1012هـ-1603م) ، اش عمار بن خروف ، المساعد صالح بو سليم ، شهادة ماجستير ، تخصص تاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، غرداية ، 2011م ، ص 60.

[3] شوقي أبو خليل : وادي المخازن معركة ملوك الثلاثة – القصر الكبير ، ط1 ، دار الفكر ، سورية ، 1988م ، ص ص 45-46.

[4]دلندة الأرقش و الأخرون : المرجع السابق ، ص21.

[5]محمد العروسي المطوي : الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، (د، م) ، 1982م ، ص265.

[6]بهاء الأمير : الدولة العثمانية و المغرب : (د ، م) ، (د، ت) ، 2020م ، ص ص24-26.

جميع انحاء المغرب فالتفت حوله جمود المغاربة استعدادا لمواجهة الحملة فخرج عبد الملك بجيشه من مراكش الى ميناء القصر الكبير[1] و الذي كان يتكون من عشريين الف جندي من العجم و العرب و فرقة المتطوعين و العلماء الذين نادوا بفكرة الجهاد[2] كما ارسل كذلك السلطان العثماني مدربين و اسلحة متنوعة و قوات عسكرية[3] كما امر محمد باشا الصقللي بأن يبعث الى والي طرابلس بتقديم الدعم الى سلطان المغرب عبد الملك فأمده هذا الاخير بقوات عسكرية ، كما ارسل الى حسن فنزيانو بالتوجه الى السواحل الاسبانية الجنوبية و سواحل المغرب الشمالية لكي يراقب احداث المغرب و يكون على استعداد للتدخل في المعركة اذا احتاجه عبد الملك و لم ترجع هذه الفرقة العسكرية حتى زال الخطر عن المغرب[4].

اختار سلطان المغرب المعتصم بالله القصر الكبير مقرا لقيادته ثم كتب الى الملك دون سيبستيان يستدرجه الى موقعه و لإيقاعه في مكيدة "... اني قطعت للمجيء اليك ست عشرة مرحلة فهلا قطعت انت مرحلة واحدة لملاقاتي.." فكان هذا الخطاب استفزازي للملك البرتغالي و اغضبه و هو الشيء الذي دفعه في التقدم نحوه رغم منعه رجاله و المتوكل بالبقاء و عدم المبادرة و لكي يبقى متصلا بالمؤونة و العتاد الحربي[5] ، فالتقى الطرفان في واد المخازن بالقرب من القصر الكبير[6] و دامت المعركة اربعة ساعات و ثلث ساعة وانتهت بقتل الامير السعدي المتوكل و حليفه الملك البرتغال[7]كما مات عبد الملك أثناء المعركة

---

[1] على محمد الصلابي : الدولة العثمانية و عوامل النهوض و أسباب السقوط ، ط 1 ، دار التوزيع و النشر و الاسلامية ، (د، م) ، 2001م ، ص262.

[2] عبد الكريم الفيلالي : التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ط 1 ، ج3 ، شركة ناشر للطباعة ، القاهرة ، 2006م ، ص352.

[3] رضوان نبيل عبد الحي : جهود العثمانيين الانقاض الاندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ، ط1 ، مكتبة الطالب الجامعي ، مملكة العربية السعودية، ،1988م ، ص 471.

[4] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 89.

[5] خليل أبو شوقي : المرجع السابق ، ص61.

[6] بهاء الأمير : المرجع السابق ، ص 29.

[7]جلول بن قومال : المرجع السابق ،ص 87.

وكتم أخوه أحمد خبر وفاته حتى لا يؤثر ذلك في جيش المغرب[1] اثر اصابته بإسهال وارتفاع درجة الحرارة و دارت اشاعة مفادها ان عبد الملك تسمم* و اتهم الاتراك بذلك[2].

أ. بيعة احمد المنصور : فقد كانت من نتائج المعركة وادي المخازن على الصعيد الدولي او المحلي هو تثبيت اقدام السعديين بشكل كبير في حكم المغرب[3] ، فبويع أحمد المنصور غداة المعركة و لقب بالمنصور لما أحرزه من نصر ليصبح أعظم السلاطين الاسرة السعدية[4] فدخل فاس في يوم الخميس العاشر من جمادى 1578م[5] ، كان او ما امر به هو نقل جثة اخيه في موكب لدفنه أما جثة ابن أخيه فأمر بسلخها و حشوها تبنا و أرسلها الى مراكش حتي يكون عبرة لم أراد ان يتطاول على السلطة و أصبح بعدها يعرف بالمسلوخ[6] ، وبهذا النصر العظيم أصبح المغرب يتمتع باستقرار نسبي و بروز الدولة في افق العالم فتهاطلت السفارات و الهدايا على أحمد المنصور تقديرا له [7]ثم باشر تأدية الحكم فأول ما قام به هو تنظيم جيشه حيث قلد الاتراك في النظام الحربي و ادخل فيه عدد من الاندلسيين و الزنوج و من الاتراك اللاجئين و المسحيين و يقوم بتدريبهم بمزيج بين النظام التركي و المغربي كم انشأ ديوان يضم رجال الدولة يتم اختيارهم من ذوي جاه و الذي يجتمع مرة في الاسبوع [8]أما من الناحية الاقتصادية تدفق

---

[1] أحمد سالم سالم علي : العلاقات العثمانية – المغربية خلال القرن السادس عشر ، كان التاريخية ، ع 13 ، 2011م ، الاسكندرية ، ص5.

*و قد نفى الدكتور غنيمي ذلك وان مدس له السم هو الامير المتوكل وكان الهدف من ذلك هو اعلان موته قبل المعركة او في بديتها .(للمزيد ينظر الى : عبد الفتاح مقلد الغنيمي : موسوعة المغرب العربي ، ط1 ، ج 5–6 ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، 1994م ، ص186.

[2] فالح حنظل : العرب و البرتغال في تاريخ ،ط1 ، منشورات المجمع الثقافي ، أبوظبي ، 1997م ، ص 458.

[3] أحمد سالم سالم علي : المرجع السابق ، ص 5.

[4] صالح العقاد : المغرب العربي في تاريخ الحديث و معاصر الجزائر . تونس . المغرب الاقصى ، ط6 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (د، م) ، 1993م ، ص 53.

[5] جلول بن قومال : المرجع السابق ، ص 93.

[6] فالح حنظل : المرجع السابق ، ص 467.

[7] محمد امراني علوي : الدولة السعدية و سياسة التوحيد أحمد المنصور الذهبي ، ط1 ، المعهد المغربي للدراسات و التواصل الثقافي الرشيدية ، (د، م) ، 2017م ، ص18.

[8]محمود السيد :تاريخ دول المغرب العربي ليبيا – تونس – جزائر – المغرب – موريتانيا ، (د،ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 200م ، ص241.

الاموال على المغرب التي كانت تدفع لافتداء الاسرى الذين تم اسرهم من طرف المغاربة كما ازدهرت و نشطت تجارة المغرب و ازدهرت كذلك الفنون و الصناعات[1]كما بعث عدة سفارات للعالم الاسلامي يخبره بالنصر العظيم الذي منى الله عليه به و بتوليته حاكما على المغرب ومن هذه السفارات سفارة أحمد بن يحي الهوزالي الى السلطان مراد الثالث يعلمه بالنصر[2] كم بعث سفارة الى الجزائر مرفوقة بهدايا للأمير اسماعيل بن عبد الملك[3] فوفدت اليه الوفود من كل جهات العالم تتهافت لكسب وده و تقديم التهاني له بهذا النصر و اعتلاء السلطة[4]،وكان من اول الوفود اليه من الدول المجاورة باشا الجزائر حسن فنزيانو مصحوبا بالهدايا والتي كانت عبارة عن فساطيط الهند و و زرابي مبثوثة ....اخ[5]، ثم تليه السفير ملك البرتغالي الجديد مرفوق بهدايا عظيمة، ثم وفد الملك الاسباني و معه هدايا ، ثم جاء الرسول الخليفة العثماني حاملا هدايا[6]

3.موقف الدولة العثمانية من بيعة أحمد المنصور و ردة فعله:

أ. موقف الدولة العثمانية : يبدو ان اتراك الجزائر كانوا رافضين تولية المولاى أحمد المنصور بل و سعوا الى عرقلة وصوله للحكم هدفا منهم لايجاد بديل مواليا لهم في شمال المغرب حتى يتمكنوا من بسط أقدامهم على المغرب[7]، وبعد بيعة أحمد المنصور واعلان عن وفاة عبد الملك فثاروا القادة الاندلسيين الذين حضروا المعركة وهم محمد زروق و سعيد بن فرج الدغالي فأرادوا أن تكون البيعة لابن أخيه اسماعيل بن عبد الملك الموجود بالجزائر بأحداثهم الشغب والفتن بين عامة الناس الجند و أخذوا ينادون بأحقية هذا الاخير بالملك، ولكن المغارة رفضوا هذه النداءات وبايعوا أحمد المنصور[8] ، و ذلك أن عبد الملك ترك الخلافة الى أخيه أحمد حيث ذكر الافراني في كتابه نزهة "

---

[1] محمد امرني علوي : المرجع السابق ، ص111 .

[2] عبد الكريم الفيلاني : المرجع السابق ، ص 358.

[3] جلول قومار : معركة وادي مخازن و أثرها ..... المرجع السابق ، ص 93.

[4] محمد امرني علوي : المرجع السابق ، 21.

[5]عدة الشيخ : نشأة الصراع العثماني المغربي ودور الجزائر في نسج معالم العلاقات بينهما، مجلة قضايا تاريخية، 2021م، الجزائر، ص ص 38-39.

[6] ابي فارس عبد العزيز القشتالي : مصدر السابق ، ص 49.

[7]محمود علي عامر ، محمد خير فارس : تاريخ المغرب العربي الحديث ، منشورات جامعة دمشق ، 2000، ص 63.

[8]عبد الرحمان بن عامر السعدي : تاريخ السودان، ارنست ليروس ، باريس ، 1898 ، ص ص 100 – 110 .

فأعلم أني لا أحب بعد نفسي محبتي لك و رغبتي لك في انتقال هذا الامر من بعدي الا اليك ، لا لغيرك "[1].

كلف الخليفة العثماني وفد جزائري برآسة الطيب البسكري لتهنئته بهذا النصر العظيم الذي حققه على النصارى غير أننا لا نعلم ما مضمون الرسالة الا بفرح المنصور بها وجاء في كتاب القشتالي" فاهتز بذلك أمير المؤمنين سرورا من أعواده " ويبدو أن هذه السفارة لم تكن تصفر الى تهنئته انما طلبت من أحمد المنصور باعتراف للأمير اسماعيل على شمال المغرب و كذلك بالسيادة العثمانية على المغرب، وبالتالي ابعاد المنصور عن البحر أبيض المتوسط وعن الاسبان لإفشال اي تحالف بين الطرفين[2] .

ب. ردة فعل السلطان أحمد المنصور : كشف المنصور مِؤامرات الاتراك التي تهدف الى جعل المغرب تابعا للسلطة العثمانية وقام بقتل كل القادة الموالين لهم و كانوا على اتصال دائم مع الاتراك و اتهام حكام الجزائريين بالتحالف مع ابن أخيه [3].كما رفض منح شمال المغرب لإسماعيل بن عبد الملك وبدأ يتقرب من الاسبان خوفا من العثمانيين حيث أنه وافق على تسليم الملك الاسباني فليب الثاني جثة أبن أخته سبستيان دون مقابل على الرغم من تجهيز الوفد للدفع و ذلك في سنة 1578م.[4]

وفي سنة 1579م أرسل الملك الاسباني لأحمد المنصور وفدا لتهنئته على تولية الحكم كما طلب منه التنازل له عن العرائش حتى لا تقع في يد الأتراك [5]، كما اسفرت الى اقتراح تعاون مشتركا ضد الدولة العثمانية.[6]

سيطرة أحمد المنصور على أقاليم الصحراوية :

1.دوافع الحملة :

---

[1] محمد الصغير الوفراني النجار : مصدر السابق ، ص 78.

[2] جلول بن قومار : علاقات المغرب الأقصى السياسية و الدبلوماسية .....، المرجع السابق، ص ص 91-92.

[3] أبي فارس عبد العزيز القشتالي : مصدر السابق ، ص 41.

[4] عمار بن حروف : المرجع السابق، ج1، ص 215.

[5] عبد الهادي التازي : الوسيط في تاريخ الدولي المغرب للمغرب،ط1،ج3.دار النشر المعرفة ، المغرب، 2001م، ص215.

[6] عمار بن خروف : المرجع السابق، ص215.

بعد تحسن علاقات أحمد المنصور مع الدولة العثمانية أصبح يطلع لتقوية ملكه وفي هذه أثناء وبعد استقرار الأوضاع الداخلية والخارجية في المغرب الأقصى انطلاقا لتنفيذ مشاريع توسيعية للنهوض بدولته وكان أساسها التمركز في مواقع استراتيجية هامة في أقاليم الجنوبية بعد أن أمن حدوده[1].

أراد السلطان المغرب أحمد المنصور استيلاء على اقليمي توات* و تيكورارين* الواقعتان جنوب الغرب للجزائر كمنطلق للتوسع بجهة السودان الغربي، يقول صاحب كتاب المناهل "لما كان صقع بلاد توات و تيكورارين من دون سائر الأقطار القاصية بالمحل القريب من جواره رأ أيده الله أن يبدأ أمره بإفتتاحه ويجعله ركابا لما وراءه وسلما ليما يليه"[2]

رغبة المنصور في التحكم في الطرق التجارية الصحراوية باعتبار أن كل من نقطة أتصال لقوافل التجارية الشمالية و الجنوبية و ممر لقوافل الحجاج والسودان المغرب[3] ، فأول يربط واحات توات لبلاد المغرب الكبير عبر ثلاث محاور فيتجه الأول والثاني نحو الجزائر ثم الى جنوب و تونس وطرابلس وأما الثالث يتجه نحو غرب فاس ومراكش تافيلانت، أما عن اتجاه الثاني يعبر واحات توات لنعرج الى سودان الغربي[4].

طموح أحمد المنصور في تكوين امبراطورية موازية للإمبراطورية العثمانية تشمل المغرب والسودان الغربي مرورا بالصحراء لسيطرة على مناجم الملح و الذهب، وذللك لعدم استطاعته التوسع شرقا لوجود الدولة العثمانية في الجزائر و شمالا لوجود اسبانيا فهو يعرف خطورة الدولتين لذلك استغل انشغال الأتراك في الغزوات البحرية.

---

[1] ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ من بداية المرينية الى نهاية السعديين ، ط 1، ج2 ، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ، 1978م ، ص 298.

[2] ابي فارس عبد العزيز القشتالي : المصدر السابق ، ص 75.

[3] بارك جعفري : حملة منصور السعدي على اقليم توات في الجنوب الجزائر (989هـ/ 1581م) وانعكساتها على الصحراء و السودان ، المجلة السنغالية لدراسات العربية ، ع 5 ، 2018م ، جامعة الشيح انتا جوب دكار ، ص 19.

[4] زهرة نظام : المرجع السابق ، ص ص 316.

اراد كذلك أحمد المنصور تقوية دولته بجمع الضرائب و اتاوات من اقليم توات لتغطية نفقات عسكرية واجتماعية ومنشآت عمرانية [1].

فكرة الخلافة الهاشمية عند أحمد المنصور الذي كان يعتبر نفسه خليفة الوحيد للمسلمين والتي كانت دافعا قويا للتدخل بالسودان الغربي مستندا الى ان من مسؤوليته حماية ديار الإسلام فهو في نظرته أنه احق بالخليفة من السلطة العثمانية[2]، فقد كان يخاطب سلاطين بني عثمان بالسلاطين و يخص نفسه بالخليفة لتوفره على شروط الخلافة وهو النسب القريشي[3].

كما سعي كذلك الى تواصل مع أهل المشرق لإقناعهم بأنه أحسن من الأتراك ،فقد كان يرسل لهم الهدايا ويظهر الاهتمام بكتبهم ويطلب منهم الإجازات ويرسل الدعاة المغاربة الى المشرق[4] ومن بينهم أحمد ابن القاضي وهنا يقول القشتالي "... كانت له نية بالغة في نشر مآخر مولانا الامام أمير المؤمنين ابده الله في الافارق..."

ونفهم من كلام القشتالي أن هؤلاء دعاة الذين ارسلهم المنصور يقومون باتصال بعدد كبير من العلماء في المشرق وبالتالي تمكنوا من استمالة عدد كبير ومن أهل المشرق وأصبح يعتزون بالمنصور[5]

2.الحملة على اقاليم توات و تكورارين وموقف الحكام الجزائريين منها :

لقد بدأ أجمد المنصور بتكورارين ثم توات وجه المنصور حملتان عسكريتان لفتح توات و تيكورارين بعد ثلاثة سنوات من تولية الحكم 1583 فأرسل القائد أحمد بن دبكة مع أحمد الحداد العمري فالتقى الجيشين في جسلماسة ثم توجه تيميمون قاعدة قصور تيكورارين ستغرق الجيش للوصول حوالي شهريين ونصف[6]، فاستعمل المنصور في بدية سياسة

---

[1] بارك جعفري : المرجع السابق ، ص ص 22-21.

[2] محمد رزوق : مسألة الأندلس في عملية فتح خلال عصر أحمد المنصور الذهبي ، المغرب و افريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث ،ط 1 ، ع2 ، 1995م ، جامعة الحسن الثاني ، ص 21.

[3] فهد بن محمد السويكت : المرجع السابق، ص 202.

[4] محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره ، اش نقولا زياده، (د، ط) ، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، كويت، 1982، ص ص 114-115.

[5] ابي فارس عبد العزيز القشتالي: المصدر السابق، ص230.

[6] ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 298.

الترغيب و يدعو السكان الى الطاعة الا أن السكان رفضوا الخضوع وأختار قاعدة تيميمون لدفاع عن أن نفسهم وهذا ما أورده القشتالي " كتب أمير المؤمنين بإعذارو البراءة و الدعاء الى الطاعة و الإرشاد الى الدخول في حزب الهدى فاساؤا الرد ولاذوا بالمنع و استعدوا للحصار و سولت لهم النفوسهم القدر على الدفاء و جعلوا أكبر معولهم تينميمون" [1]، فبدأ الجيش المغربي في حصار القاعدة ونصب المدافعهم و انطلقت الحرب بينهم وبدأت القوات المغربية بإطلاق النار على قصور المدينة وقتل كل ما وجد أمامهم حتى استسلم أهل تيكورارين[2] ، وفي هذا الصدد كتب القشتالي " و انقاد بإقيادتينميمون سائر قطر تيكورارين وأتو طاعتهم راهين مما نزل من الخسف بإحيائهم"[3]، وانتهى بذلك النصر لصالح أحمد المنصور ففرح كثيرا[4].

بعد ذلك قصدوا توات قاعدتها تمنطيط والتي كانت كان يحكمها الشيح عمر بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن فلم يقاتلوهم في بداية ة طلبوا البيعة للمنصور ونفهم ذلك من خلال لرسالة المنصور الى أهل توات حيث انهم دعاهم لسمع وطاعة له لما خصه الله له بالنسب القريشي وهكذا بدأ بنشر نفوذ السعدي في جنوب الصحراء ، فقبل الشيخ عمر بن محمد التبعية للمنصور خشي أن يحصل لهم ما لتيميمون وطلب الأمان واستسلام بعدها فرض عليه عبد الله بن بكة الضرائب على السكان[5].

غير أن أهل الإقليم كانوا ينتظرون الفرصة للتخلص من السعديين في منطقة و في سنة 1588م تمكنوا عرب تيكورارين في قتل القائد سعيد بن الحسن بالتالي تمكنوا من تحرير من سيطر السعديين وجاءت ردت فعل المولى أحمد في سنة 1589م فأرسل حملة بقيادة أبي عبد الله محمد بن بركة و جمع لأجل ذلك قوات كبيرة مزودة بالأسلحة والمدافع و تمكن هذا

---

[1] ابي فاس عبد العزيز القشتالي : المصدر السابق ، ص 76.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مصدر السابق ، ص98.

[3] أبي فارس عبر العزيز القشتالي : المصدر السابق ، ص 76.

[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق ، ص 98.

[5] بارك جعفري : المرجع السابق ، ص 24.

الأخير من سيطر عليه للمرة ثانية وتسليط عليه أشد عقوبة، الا أنه لما عرف المغرب في أواخر حكم المنصور اضطرابات تخلصوا من السعديين في المنطقة[1].

موقف الدولة العثمانية:

لم يكن للحكام الجزائريين اي ردت فعل على هذه الحملة وذلك راجع لفطنة المنصور الذي باشر في الحملة بعد ما عرف الأوضاع ايالة الجزائر والدولة العثمانية في العقد الأخير من القرن 16م فالجزائر تميزت بالتداول للحكام فمثلا نجد استبدال جعفر باشا 1581م رمضان آغا 1582م ويليه حسن فنزيانو 1583م ثم بغيره، مما جعل الجزائر لا تعرف استقرار مثل أحمد المنصور في المغرب الأقصى الذي امتد حكمه من 1578م الى 1603م كما شهدت قيام ثورات كثورة بني عباس فانشغل الحكام بإخمادها وغيرها من ثورات[2].

ونظرا لأهمية موقع فكيك على طريق توات وتيكواريين وعلى طريق العابر لصحراء فشكلت هدفا للقوات المغربية[3]، مما أدى الى حدوث اضطرابات بين أحمد المنصور والسلطان العثماني وذلك لكون أن هذه المدينة تقدم ضرائب للعثمانيين[4]، والتي تقع في جنوب تلمسان بين الحدود تلمسان وفاس،[5] فقام أحمد المنصور بسيطرة عليها وأحدث فيها شغب و قتل مشايغ العرب وأخرج قوات الجزائري منها و نظرا لهذا راسل آغا الإنكشارية مراد الثالث لإخباره وفي هذه الأثناء بعث مراد الثالث رسالة الى محمد باشا خاطبه فيها بأن منطقة فكيك افتتحت على يد الأتراك و أصبحت تابعة لنا[6] فحدث نزاع حول هذه المدينة فجعلها السلطان العثماني تابع لجزائر في سنة 1584م وبذلك أصبحت الحدود بين الدولتين من ميناء هنيين مرورا بوجدة وغريسف وحتى فكيك جنوب[7]، العودة

---

[1] عمار بن خروف : مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال 10هـ/16م ، حولية المؤرخ ، ع 1 ، 2002 ، جامعة الجزائر ، ص ص 173-174.

[2] نفسه ، ص ص 175-176.

[3] زهرة نظام : العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال قرن 10هـ/16م ، (د ن ط) ، المرجع السابق ، ص ص 316-317.

[4] قادة دين : الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ ، عصور الجديدة ، ع27 ، 2018م ، جامعة الجزائر 2 ، ص 211.

[5] جلول بن قومار: علاقات المغرب الأقصى السياسية و الديبلوماسية مع ضفتي غرب المتوسط في عهد أحمد المنصور السعدي و اسماعيل العلوي (1578-1603م) / (1672-1727م) ، المرجع السابق ، ص32 .

[6] زهرة نظام : المرجع السابق ، ص 320.

[7] قادة دين : المرجع السابق ، ص211.

تراجع الضغط الجزائر العثماني على المغرب السعدي:

1. التحالف السعدي الإسباني وأثره على ايالة الجزائر:

كان المنصور السعدي دئما متخوف من الباشا الجزائري حسن فنزيانو وعندما عين للمرة الثانية على رأس ايالة الجزائر انزعج وأقلقه ذلك كثيرا، كما أن تزوج من أرملة أخيه عبد الملك و رعاية لإسماعيل بن عبد الملك جعله يخشى الأتراك الجزائر ولا يأمنهم، وأعقب ذلك القلق إلى أن عاد للتقرب من الإسبان[1]، واسفرت المفاوضات بين المنصور والإسبان الى تسليم العرائش واقتراح تعاون مشترك للإطاحة بالجزائر. وقد وردت هذه أخبار الى ايالة الجزائر وملكة اليزبيت انجليز وأن هذا التحالف السعدي الإسباني سيأثر على الوجود العثماني في الجزائر وعلى مصالح التجارية الإنجليزية في المغرب ولي تفادي وقوع ذلك الخطر يجب على كل من الجزائر وانجليز اتحاد للإفشال المفاوضات المغربية الإسبانية بأي وسيلة كانت وبذلك أمر السلطان العثماني الحسن فنزيانو ارسال الى سلطان أحمد المنصور هدايا عظيمة لبث فيه الطمئنين والثقة من جهتهم، و كما سعت الملكة انجليزية في اقناع المنصور على عدم تسليم العرائش وأنها على استعداد لتقديم الدعم له من أجل تحصين على ميناء. وفي هذه الفترة عاش أحمد المنصور وضعية حرجة بين فليب الثاني الذي يطالبه بالعرائش مستغلا وجود الأميرين محمد المتوكل ومولاى الناصر والباب العالي واليزبيت الذين يرغمونه بتراجع ونتيجة لهذه الضغط تراجع المنصور عن منح العرائش أو تبادل معهم بالبريجة (مازغان)[2].

فقد تميزت العلاقة أحمد المنصور بحكام الجزائر خلال سنوات العشر الأولى من حكمه بحذر،فكيف ستكون سياسته مع باشوات الجزائر؟ وهو ما سنحاول معرفته لاحقا.

2. العثمانيين و الرضى بالأمر الواقع :

بعد وفاة العلج علي في 1587م أدى بالدولة العثمانية الى تغير نظام حكم البيلرباي في الجزائر واستبداله بنظام الباشوات يقوم بتعيين باشا لمدة ثلاثة سنوات يقتضي بعودة الى

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص ص 229-230.

[2] عمار بن خروف : المرجع نفسه ، ص 231.

استنبول[1]، وأما شمال افريقيا قسمت الى ثلاث ولايات وهي جزائر وتونس وطرابلس الغرب بعد أن كان حاكم واحد للمنطقة مقر حكمه الجزائر، وهذا يدل على أن السلطة العثماني قد سعى الى تقوية مكانتها في شمال افريقيا[2]، ويدل هذا التغير من جهة أخرى على تراجع السلطة العثمانية من فكرة بسط نفوذها على المغرب الأقصى، وهذا التجزئة التي طرأت على الشمال افريقيا وساهمة في تدهور الأوضاع داخل ايالاتها وهذا جعل من السلطان السعدي يغير نظرته اتجاه الأتراك ولم يعد يحسب لها حساب كسابق وتمسكه على استقلال بلاده[3]، وبالتالي خفف العثمانيين الضغط على أحمد المنصور وهذا الأخير أصبح يشعر بنوع من الثقة النسبية اتجاه الأتراك، مما جعل يطمئن على حدود مملكته الشرقية[4]، وفي ظل هذه الأحداث اعادة المنصور قراره في قضية العرائش ولقد تبين لنا أنهلم تكون له نيته أبدا تسليم العرائش فقد عمل فقط على تأمين دولته من أي خطر سواء توسيع العثماني أو الإسباني متجنبا من دخوله في مواجهة عسكريا مع الدولتين، لذلك نراه انهك الإسبان في مماطلة ابداء رفضه، فقد كان دئما حريصا على استعمل أسلوب ديبلوماسي، ويبدو أن سياسته قد نجحت فقد تمكن من اقامت علاقات متميزة مع الإسبان دون ازعاج السلطة العثمانية منه ويبدو ذلك من خلال تعدد السفارات بين مراكش واستانبول،[5]وما يؤكد ميل العلاقات الجزائرية العثمانية المغربية نحو السلام هي:

سفارة التي أرسلها الخليفة العثماني للشريف السعدي في سنة 1588م مع هدايا[6]، وقد عبر عبد الله كنون في كتابه رسائل السعدية عن هذه السفارة وجاء ذلك في رسالة بعثها المنصور إلى "وورد رسول صاحب القسطنطينية الذي أنفذه الى حضرتنا الإمامية (...)

---

[1] عمار بخوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962م ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997م، ص 58.

[2] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص125.

[3] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص 125.

[4] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 95.

[5] مصطفي غاشي :الرحلة المغربية و المشرق العثماني محاولة في بناء صورة ، ط1 ، الانتشار العربي ، لبنان ، 2015 ، ص ص 87-88.

[6] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 232.

راغبا في عقد صلح و المهادنة معنا متبرعا بطلب ذلك من عنده وساعيا فيه غاية جهده (...) وقد وعدنا رسوله بالملتقى ان شاء الله بحضرتنا الفاسية ..."[1].

وفي نفس الرسالة كان ردت فعل المنصور على السفارة العثمانية فذكر " ولعل في ذلك اجتماع كلمة الإسلام ان شاء الله بهذا الصلح الذي آن ان ينعقد بين الدولتين، ويبرم حكمه بين مملكتين عونا على صرف العناية بحول الله لمواجهة عدوا الدين ..."[2]

ويبدو من خلال الرسالة أن هذه السفارة جاءت من أجل توطيد وتقوية العلاقات بين السلطان العثماني والشريف أحمد المنصور، حيث اراد الخليفة مراد الثالث في اقامة علاقات سلمية دائما ومحاولا منه بعث روح الاطمئنان في أحمد المنصور واتحاد بينهم لمواجهة الأخطار معا.

وظلت السفارة في مغرب الى غاية شهر مارس من سنة1589م، و في 18 مارس كلف أحمد المنصور التمجروتي بذهاب في مهمة دبلوماسية[3]، الى استانبول من أجل توثيق العلاقات بينه وبين الباب العالي و امتد رحلته الى أواخر السنة 1589م وكان الى جانبه كاتب و الأديب أبي عبد الله محمد علي القشتالي فبدأت رحلته من تطوان الى القسطنطينية في 1589م[4]، غير أن التمجروتي تراك لنا مسار رحلته المسماة النفحة المسكية في السفارة التركية[5]، حيث نلاحظ خلال قرأتنا لهذا الكتاب أن التمجروتي كان يبغض الأتراك وينظر لهم نظرة استحقار مفضلا الأشراف حيث كان يقول " ..... رأينا منهم العجب و العجائب في كثرة اشتياقهم و حنينهم الى حكم موالينا الشرفاء ن وكان من أهل المغرب من الراحة والعدل والنعمة ، تالله لقد كان من تحدثنا معه من خير أهل تونس وأعيان مصر الذين لقيناهم بالقسطنطينية يبكون على ذلك بالدموع وينتحبون يودون لو وجدوا سبيلا الى انتقال الى مغرب والتخلص اليه لا اشتروها بالدنيا وما

---

[1] عبد الله كنون : مدخل الى تاريخ المغرب ، دار الكتب للحكمة ، بيروت ، 2017 ، ص ص 155-156.

[2] الهادي عبد التازي : التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقد العصور الى يوم (عهد السعدين) ، (د ، ط) ، ج8 ، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، المملكة المغربية ، 1988م ، ص 58.

[3] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص 173.

[4] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص59.

[5] عبد الهادي التازي: الوسيط في تاريخ الدولي للمغرب، المرجع السابق، ص27 .

فيها...."[1]، اضافة الى ذلك فقد كان التمجروتي يذكر بأنهم مماليك وقلدوا الخلافة وأن الشرفاء السعديين هم أحق بها[2]،غير أنه لم يتطرق الى سبب رحلته الى القسطنطينية ربما يكون الى رغبت المنصور في بناء علاقات موحدة بينهم و نلاحظ ذلك من خلال استقبال الذي تلقاه التمجروتي من قبل السلطان العثماني الذي بالغ و أحسن في اكرامه كما أن هذا الأخير لم تعد له رغبة في ضم المغرب الأقصى، اذ نجد أن أحمد المنصور أصبح يؤمن الأتراك بعد وفاة حسن فنزيانو شبيه العلج علي[3]، فلم أنهى التمجروتي ما أمر به من قبل أحمد المنصور هيأ ليعود الى مدينة مراكش فدخل على الخليفة العثماني لوداعه ثم بعث معه السلطان مراد الثالث رسالة لشريف أحمد المنصور مع هدية ثمينة كما رفقه مبعوثين عثمانيين للحاكم السعدي في سنة 1951م[4].

وفي خمس سنوات من حكم مراد الثالث مالت العلاقة الى نوع من السلام و حسن الجوار بالرغم من رفض السلطان أحمد المنصور استجابة لإرادة الخليفة العثماني حين طلب منه تقديم الأمير البرتغالي دون انطونيو المتواجد في مغرب لضرب قوى الإسبانية واسترجاع الملكية البرتغالي الا أن المنصور أراد الاحتفاظ به الأن ذلك يخدم مصالحه فهو يدفع الخطر الإسبان عن أراضه[5].

كما عرفت الجزائر والدولة العثمانية في عقد لأخير من قرن 16م عدة فتن و اضطرابات، ففي عهد خضر باشا الجزائري انتشرت ثورة بني عباس في سنة 1590م ولذي امتنع من تقديم الضرائب[6]، أما على مستوى الدولة العثمانية وفاة مراد الثالث وخلفه

---

[1] علي بن محمد التمجروتي : النفحة المسكية في السفارة التركية (1589م) ، ط1 ، تح محمد صالحي ، دار السويدي للنشر و التوزيع ، أبو ظبي ، 2007م ،ص97.

[2] الهادي عبد التازي : تاريخ الدبلوماسي ...، المرجع السابق ، ص 62.

[3] محمد نبيل ملين : المرجع السابق ، ص 387-386.

[4] علي بن محمد التمجروتي : المصدر السابق ، ص 130.

[5] محمد نبيل ملين : المرجع السابق ، ص 387.

*ولد سنة 974هـ فبعد تولي الحكم على اثر وفاة والده عام 1594م، وفي أوائل حكمه سار على اثر سلفه في عدم الخروج إلى الحرب وترك أمور الداخلية في يد وزرائه منهم سنان باشا ففسدوا في أرضي حتى ثاروا من كل الجهات وتتال انهزام الجيش العثماني للمزيد ينظر إلى محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط1، دار نفاسي، بيروت،1981م، ص ص267-269.

[6]صالح عباد، المرجع السابق، ص108.

ابنه محمد خان الثالث[1]، هذه الأحداث دفعت بالمنصور الى مراسلة السلطان الجديد لتعزيته وتهنئته في وقت نفسه حيث ذكر عبد الله كنون عن محتوى رسالة أحمد المنصور " .. ذلكم ما نزل به القضا ، وانتهى فيه الأمد و انقضى و هو انتقال ذو، البسطة في سلطان(...) السلطان مراد بن السلاطين الكبار قدس الله نفوسهم و جعل رضاه في فردس الجنان جليسهم و أنيسهم ..." و كما جاء في نفس الرسالة تهنئةمحمد خان "... وإنا بعد مشاركتكم في الأسف على فقده، ومشاطرتكم في الألم بحسب ما عندنا من عهد وده، لشاكرونا الله على استوأ كعب السلطان الأعظم سلالة الملك الأفخم مقام ولدنا السلطان محمد..."[2].

✓ احترام سلطان أحمد المنصور لحدود الجزائر :

فقد كان الناصر بن عبد الله الغالب لجئا في اسبانيا منذ بداية عهد أحمد المنصور، والذي قام بشن ثورة على عمه المنصور في سنة 1595م، مدعما من قبل ملك الإسباني،[3]والتي تعد أخطر الثورات في عهده، حيث أنه تمكن من استمالة العديد من القبائل والزعامات المحلية الساخطة لسياسة المنصور وأخذ يتغلغل في البلاد[4]، ففر الناصر الى الأراضي الغربية الجزائرية بعد انهزامه الأول ليطلب الدعم العسكري ضد عمه، وكان السلطان أحمد المنصور متخوفا من موقف الجزائر الا أنها رفضت تقديم له أي المساعدة وأرسل خضر باشا الى الحامية بتلمسان" بصد باب القبول في وجه و عدم اسلام الجيش الى التفات إليه و الاتفاق عليه"[5]، وكذلك نجده أرسل أبو عبد الله محمد المسعود الوهراني الى المنصور يعرض عليه مساعدته في قمع التمرد الناصر ولكن أحمد المنصور لم يستعن بقوات الجزائرية في اخماد ثورة[6] وتجنب الشريف أحمد

---

[1] عبد الهادي التازي، الوسيط في تاريخ...، المرجع السابق، ص28.

[2] عبد الله الكنون : المرجع السابق ، ص ص 98-100.

[3] ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ .... ، المرجع السابق ، ص 308.

[4] محمد العمراني: العلاقات السعدية العثمانية من خلال كتاب تأسيس دولة الأشراف بالمغرب وصراعها مع الأتراك إيالة الجزائر 1509-1830م، للمؤلف أوغست كور، مجلة كلية العلوم الإنسانية سايس، ع1، 5015م، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ص ص38-39.

[5]عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 235.

[6] الهادي عبد التازي : المرجع السابق ، ص 64.

المنصور دخول أراضي الجزائرية من أجل قضاء على ثائر ابن أخيه وهذا ما نستنتجه من الرسالة المنصور الى خضر باشا يستأذنه لعبر لمناطق الجزائر وقد جاء في رسالة المدونة " ...وسبيلا في اللحق بجهتكم ، فلما رأينا تقاعس عنكم، لم نرد اقحامه الا بعد مفاوضتكم ، واعلام مكانكم ..."[1]،وقد ناشد المنصور ابنه محمد الشيخ للقضاء على ثورة الناصر وبعد حروب بينهما تمكن أبن السلطان أحمد المنصور قضاء في سنة 1596م[2].

كما حدث في ايالة الجزائر تمرد ابن القاضي ضد الوجود العثماني كباقي اسلافيه ولذي وجد الدعم من الإسبان فتحالف مع فليب الثاني لتحضير حملة لاحتلال الجزائر ذلك في سنة 1598م[3]، حيث بعث يوسف الكيخة الى أحمد المنصور يخبره عن تقرب ابن قاضي للإسبان وأنه احتمال تنفيذ هجوم مشترك على الجزائر، فكان جواب المنصور " ...ان أنستم من جانب الكفرة دمرهم الله عمارة تنشأ أو أسطولا يؤم ناحيتكم ويغشي واحتجتم الينا فنحن بحمد الله بأنفسنا وأموالنا وأجنادنا موجودون لنصرتكم على أتم الهبة والإستعداد..."[4]، من خلال هذه الرسالة التي تدل على نية المنصور في كسب ود الجزائريين والحفاظ على العلاقة الحسنة وتقديم يد العون له في حال احتاجوا المساعدة.

ولكن الجزائريين لم يستعين به ردا على موقف المنصور الذي لم يلجأ اليه للقضاء على متمرد ابن أخيه الناصر، و كذلك لم يستعين حكام الجزائر بالمنصور لمواجهة حملة دوريا سنة 1601م غير أن هذا الأخير فضل التعاون مع انجليز ضد الإسبان المحتلين المناطق المغربية[5].

تجنب الجزائر التحالف مع محمد الشيخ مأمون:

---

[1] عبد الله كنون : المرجع السابق ، ص ص 259-260.

[2] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص ص 202-203.

[3]Espagne et kouko,les négociations de 1598et 1610 in révue de LOccidentMusulman et de la Méditerranée ,No 8,1970,pp27.

[4]أحمد سالم : السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م ، (د ،ط) ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2011م

[5] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص ص 236-236.

بدأت ثورة محمد الشيخ المأمون الذي تمرد على والده المنصور في أواخر حكمه، والذي تقرب للعثمانيين عن طريق تقريب القبائل الموالية لهم،[1] ويمنحهم مناصب في الجيش ومستشارين، كما كان في تلك فترة وباء الطاعون واستمر ثلاثة سنوات وفتك بعديد من السكان، فقد اراد محمد الشيخ انفراد بالحكم المغرب، الا أنه لم ينجح في ذلك وتمكن أحمد المنصور من قبض عليه وسجنه، غير أن الجزائر لم تقدم الدعم العسكري للمأمون ضد أبيه، وعزم المنصور إلى الرجوع بعد أن استطاع إخماد تمرد إبنه[2].

فقد بقيت العلاقات بين الجانبين قائمة على شروط المسالمة والمهادنة على أساس التعاون فيما بينهما[3]، توفي أحمد المنصور في سنة 1012هـ/1603م بعد أصبته بالوباء في مدينة فاس الذي انتشر في كامل مناطق الغربية مما أدي بحياته [4]، مما أدي بحياته وذلك سنة[5].

أسباب عدم ضم المغرب تحت حكم العثماني :

فقد سعت الدولة العثمانية جاهدا لاحتواء المغرب لممتلكاتها في شمال افريقيا الا أنها لم تتمكن و ترجع الأسباب إخفاق الدولة العثمانية كمايلى :

ظهور شخصية قوية حكمت المغرب ونقصد به هنا أحمد المنصور السعدي .

وفاة العلج علي عام 1587م وتغير نظام حكم في ايالة الجزائر والذي عرف باضطرابات وفوضى.

النصر الذي حققته المنصور على البرتغاليين في معركة وادي المخازن 1578م وهذا ساهمة.[6]

سعي الدول الأوروبية للتقرب من مغرب بمختلف الطرق الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية.

---

[1] عمر بن قايد : أضواء على العلاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال قرن 11هـ/17م ، مجلة الواحات للبحوث و الدارسات، ع17، غرداية،ص141.

[2] جلول بن قومار : علاقات المغرب الأقصى السياسية و الدبلوماسية....، المرجع السابق، ص 37.

[3] محمد العمراني: المرجع السابق، ص39.

[4] جلول بن قومال : علاقات المغرب الأقصى السياسية و الديبلوماسية ...، المرجع السابق، ص 37.

[5] محمد الأمين محمد، محمد علي الرحماني : المرجع السابق ، ص199.

[6] علي محمد صلابي : الدولة العثمانية...، المرجع السابق، ص273.

بعد المسافة بين البلدين وكثرة التضاريس والتي عرقلة الدولة العثمانية من ارسال حملات عسكرية على المغرب الأقصى.[1]

التخوف الدولة العثمانية من لجوء أحمد المنصور للإقامة تحالف مع الإسبان وهو ما جعلها تتراجع عن فكرة الغزو المغرب، وخصوصا مع علمها بأن تلك القوى الأوروبية لن ترضى بهذا المشروع الأن ذلك يمس مصالحها في افريقيا[2].

التخوف الدولة العثمانية من لجوء أحمد المنصور للإقامة تحالف مع الإسبان وهو ما جعلها تتراجع عن فكرة الغزو المغرب ،وخصوصا مع علمها بأن تلك القوى الأوروبية لن ترضى بهذا المشروع الأن ذلك يمس مصالحها في افريقيا.

تراجعت السلطة العثمانية عن مد نفوذها نحو المغرب الأقصى لانشغالها بالحروب مع كل من دولة الصفوية وأروبا الشرقية[3]، وتدهور ظروفها مع المشرق وحتى في الجزائر خاصة في عهد الباشوات[4].

من جهة أخرى نجد أن الدولة العلوية ومنذ تأسيسها سنة 1664 م بدت في الاصطدام مع العثمانيين في الجزائر[5] . إذ وبعد وفاة المولى الرشيد بمدينة مراكش عن عمر ناهز الثانية والأربعون سنة[6] ، خلفه المولى إسماعيل الذي كان من اعظم سلاطين تلك الأسرة مستقرا في الحكم لأكثر من نصف قرن [7] حيث بايعه اهل المغرب عامة عدا مدينة مراكش فاضطر الى محاربة اهلها، حيث هزمهم ودخل إلى المدينة واستجابت لرغبة اهلها في منحهم الأمان.

ومن ثم اقبلت قبائل منطقة مراكش الى مبايعته ، إذ كان اشد السلاطين الاشراف بالمغرب ، وقد استطاع خلال فترة حكمه من توسيع رقعة الدولة ، فاستولى على السودان[8] .

---

[1] جلول بن قومار : علاقات المغرب الأقصى السياسية و الدبلوماسية ...، المرجع السابق، ص96.

[2] خاليد فؤاد طحطح : العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث القرن السادس عشر – أواخر القرن الثامن عشر، مجلة كان التاريخية، ع14، 2011، (د، م) ، ص ص108-109.

[3] خاليد فؤاد طحطح : العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث القرن السادس عشر – أواخر القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ص108-109.

[4] عمار بن خروف : المرجع السابق، ج1، ص 248.

[5] شبانة محمد كمال : الدويلات الإسلامية في المغرب دار العالم العربي، مصر، 2007، ص 102.

[6] صالح العقاد : المرجع السابق ، ص 24.

[7] شبانة محمد كمال : المرجع السابق ، ص 103.

[8] صالح العقاد : المرجع السابق ، ص 24.

واستطاع تثبيت قوة الحكومة المركزية من جهة وإعادة هيبة مراكش في العالم الخارجي من جهة أخرى ، كما أمضى سنواته الاولى من الحكم في القضاء على النزاعات الانفصالية [1] واقرار السلم داخل البلاد ، إضافة إلى تأمين الحدود المغربية وتطهير الشواطئ من الأجانب.

وعليه تميزت العلاقات بين المغربين (الجزائر والمغرب الاقصى) بالتغير حسب ظروف كلا البلدين تبعا لعوامل داخلية وأخرى خارجية انعكست على العلاقة ، وكانت رغبة سلاطين المغرب الأقصى طرد العثمانيين من الجزائر تلبية لطلب كبار التلمسانيين في فاس[2] غير أن هدفه الحقيقي من ذلك هو الاستلاء على السواحل الجزائرية [3] وقد وجدوا مقاومة شديدة من طرف أتراك الجزائر.[4]

ضف الى ذلك أن الجزائريين دعموا الحركات المتمردة ضد حكم مولاي اسماعيل ، الذي جهز حملته سنة 1679 متوجها إليها شرقا لكنه لم يستطع التوغل فيها بسبب المقاومة التي تلقاها من قبل الاتراك ،فاكتفى بالرجوع لبلاده وانشغل بإخماد الثورات الداخلي[5] . ولم تتوقف الأطماع المغربية في التوسع على الجنوب الغربي للجزائر فخاضوا حملات على منطقة توات في محاولة الاستلاء عليها[6].

وارادت الجزائر أن ترد على ذلك بشنّ حملة عسكرية قادها باي وهران، لكنها فشلت ما ارغمها على انتهاج سياسة السلم والتفاوض معهم [7] ليتحالف المولى إسماعيل مجددا مع باي

---

[1] شوقي الله الجمل : المرجع السابق ، ص 214.

[2] شربيني احمد: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية 1840 -1914 1995 ، دار العالم العربي، القاهرة، ص 31.

[3] خشوش نعيمة ، بن سماعيلي اسماء : المرجع السابق ، ص 31.

[4] توفيق احمد المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، د ج ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ت ، ص 329 .

[5] شربيني احمد : المرجع السابق ، ص ص 43- 44.

[6] بن قومار جلول : جوانب من مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في عهد المولى اسماعيل العلوي (1672-1727) ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 27 ديسمبر 2016 ، ص 201.

[7] الهام قاسمي ، حورية طالبي : المرجع السابق ، ص 15.

تونس ضد الجزائر سنة 1694 مستغلا بذلك توتر العلاقة بين البلدين فحاصر قسنطينة سنة 1700 وشن حملة على الحدود الغربية لها لكن سرعان ما تم القضاء عليها[1] .

ولقد استغل سلاطين المغرب الاقصى ، الحملات الأوروبية المتكررة على الجزائر، والصراعات السياسية الداخلية حول انظمة الحكم خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر محاولين بذلك احداث الكثير من الفوضى في المناطق الغربية في الحدود مع الجزائر رغبة منهم في بسط سيادتهم على الأراضي الجزائرية ، حيث تقدم الشريف الدرقاوي مؤسس الطريقة الدرقاوية الصوفية ، من المغرب الى الجنوب الوهراني بعد أن التقى بشيخ الطريقة بفاس ، حيث ذكر له مظالم الحكام الاتراك لسكان الجزائر وحرصه على القتال ضدهم[2]، وبالتالي أخذت الاعتداءات وجه آخر تمثّل في دعم المغرب للطريقة الدرقاوية التي وقفت ضد السياسة العثمانية[3] ضمن محاولتهم التي تتدرج إلى إبعاد الخطر التركي والتوسع على حساب الجزائر في تلمسان[4].

وقد تحسنت العلاقة بين البلدين خاصة في عهد محمد بن عثمان باشا الذي عمل على توثيق صلاته مع سلاطين المغرب[5] ، إضافة إلى أن الدولة العثمانية لم تتردد في التوسط لحل النزاع بين الطرفين بطلب من حكامهم [6]. وظل الوضع على حاله حيث تركت فيه الحدود بين البلدين حرة خالية من أي هجمات لانشغال المغرب بأزماته الداخلية الخطيرة ، في حين اهتمت الجزائر بمشاكلها السياسية.

وقد حاول السلطان محمد بن عبد الله كسب الباب العالي ليمارس ضغطه على أتباعه في ديوان الجزائر، نظرا للمشاكل التي ظل هؤلاء يثيرونها ملحقين بذلك أضرارا جسيمة بمصالح

---

[1] جلول بن قومار: المرجع السابق ، ص202.

[2] حبيب عياشي : علاقات الجزائر الخارجية من خلال مذكرات احمد الشريف الزهار (1754–1830) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة الشهيد حمة اخضر ، الوادي ، 2016–2017، ص ص 78–79.

[3] فاطمة رمضان، حيزية بن رابح : المرجع السابق ، ص 7 .

[4] ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط 2 ،دار البصائر ، الجزائر 2013، ص 154.

[5] سمية محمودي : ايالة الجزائر في عهد بابا حسن (1791– 1798) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث ، قسم العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ، 2018–2019، ص 12.

[6] دونالد كراترت : الدولة العثمانية (1700–1922)، تع : ايمن الارمنازي ، د ط ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 1424 هـ ، ص 12.

السلطان ومخططاته السياسية والاقتصادية ، ولذلك احتل موضوع أتراك الجزائر خلال هذه الفترة جزءا كبيرا في العلاقات المغربية العثمانية ، والملاحظ أن الصراع بين المغرب و الجزائر استمر ولم ينقطع ، إذ استمرت القرصنة البحرية الجزائرية ضد السفن الأجنبية في السواحل المغربية ، كما أن الداي تراجع عن اتفاقه مع السلطان بشأن العملية المشتركة ضد الثغور المحتلة في المغرب و الجزائر ، ورغم ذلك لم تصل الأمور الى الحرب بين البلدين.

وفي عهد سلطان المغرب المولى سليمان (1792 م – 1822م) شهدت العلاقات العثمانية المغربية ت راجعا، وأما العلاقات الجزائرية المغربية فقد سادها الحذر وكانت الجزائر خلال هذه المرحلة قد شهدت كوارث طبيعية وحملات أجنبية وثورات داخلية كان للمغرب يد فيها مثل ثورة درقاوة والتيجانية ، ورغم ذلك نجد نوعا من التعاون بين البلدين ، فبعد حملة اللورد اكسماوث 1816 العنيفة قدّم المغرب بعض المساعدات للجزائر لاستعادة أسطولها البحري.

وشيدت العلاقات بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية والجزائر نوعا من الاستقرار في فترة حكم المولى عبد الرحمان بن هشام(1822 – 1859)، وابان الغزو الفرنسي للجزائر وفي ظل الأجواء التي واكبته من سقوط السلطة المركزية وانحلال عرى الدولة بحث سكان الغرب الجزائري عن سلطة يخوضون تحت رايتها مواجهة فرنسا ، استغل المغاربة الوضع وتجاوزوا خط ملوية ووصلوا الى تلمسان ثم تراجعوا تحت ضغط الفرنسيين العسكري والدبلوماسي واعتبروا وادي تافنة الحدود وليست ملوية وبذلك التغيير أضحت مدن مثل وجدة وغرسيف مغربية بعد أن ظلت طيلة تاريخيا جزائرية ، إن أطماع سلطان المغرب في الجزائر أصبحت واضحة بعد الغزو الفرنسي رغم ما قدموا من المساعدات لمقاومة الأمير عبد القادر، لكن خسارة المغرب الأقصى ضد فرنسا في موقعة إسلي 1844 جعلوه يبرم معاهدة طنجة 1844 التي مهدت الى توقيع اتفاقية لآلّة مغنية بينهما في 18 مارس 1845 التي ساهمت في رسم الحدود بين الجزائر المستعمرة الفرنسية والمغرب الأقصى.

.....

المحاضرة الثالثة

العلاقات الاقتصادية الجزائرية المغاربية

أولا / العلاقة الاقتصادية مع تونس :

أسس العلاقات الاقتصادية

جامعة يحيى فارس - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

1- المبادلات التجارية بين الايالتين:

لقد حرك القرب الجغرافي الحدودي للإيالتين النشاط التجاري، كما أن المكانة التي احتلها اقليم بايلك الشرق في العهد العثماني جعل له الحظ الأوفر من الحركة التجارية، حيث أصبحت عاصمته ملتقى القوافل التجارية المارة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال نحو الجنوب والعكس[1] ولقد وضح لنا الورثيلاني هذه المكانة بقوله "تأتيها القوافل من كل النواحي"[2] ، وعلى النظير من ذلك فلم تقل إيالة تونس شأنا عن اقليم بايلك الشرق فلقد كانت مقصد المراكب من مختلف الجهات إذ يقول عنها المكناسي: "... مدينة تونس كبيرة مقصودة للمراكب البحرية، مؤسسة في بسيط من الأرض على ساحل بحيرة صغيرة.."[3]

ولم يكن للقرب الجغرافي الدور في تنشيط التبادل والمبادلات بين القطرين بل نجد سياسية بعض البايات الذين لم يفرضوا أي قيد على التجارة البرية خاصة مع إيالة تونس بل شجعوا التجارة معها نتيجة الأرباح التي تعود بها على البايلك[4]. كما أن الصلات التي ربطت بين الإقليمين تعود إلى فترة من الزمن، ففي عهد أحمد باي شهدت الأنشطة الاقتصادية والتجارية على وجه الخصوص قفزة نوعية لهذا أقدم أحمد باي كما أنفنا الذكر في الفصل الأول على ضرب النقود في سنوات 1830-1831-1832-1834 و 1837م [5].

أما عن صادرات الشرق الجزائري نحو إيالة تونس فقد كانت متنوعة:

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة تاريخ – معالم – حضارة، دار الهدى، عين مليلة، (د. ت)، ص169.

[2]- الحسن بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح: محمد ابن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائري، 1908، ص686.

[3]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي: احراز المعلي والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب المسماة 'رحلة المكناسي"، تح: محمد بوكبوط، درا السويد للنشر والتوزيع، أبوظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص325.

[4]- عز الدين بومزو: الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري أرنست مرسيه نموذجا، إشراف مصطفى حداد، مذكرة نيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص74.

[5]- فهيمة رزقي: سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سرتا – قسنطينة- دراسة أثرية فنية، اش عبد العزيز محمود لعرج، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011، ص ص81 -82.

* التمور: والتي اشتهرت بها مناطق الزيبان و واد ريغ و واد سوف حيث تتوفر على ما لا يقل عن 150.000 نخلة.[1]

* التبغ: ويعتبر من أهم ما صدرت الجزائر الى تونس وحتى ليبيا .

* الجلود المدبوغة والشواشي الجزائري* التي تزايد الطلب عليها في الأسواق التونسية لكونها أرخص من الشواشي التونسية**

* المنتوجات الصوفية من برانس وجيب صوفية...[2]

* الذهب خاصة في بدايات القرن التاسع عشر كما استوردت تونس الجديد الذي اشتهرت به الجزائر، ولقد حدد وليام شالر في مذكراته أهم مكان لتواجده القبائل "والمعدن الوحيد الذي نعرف بوجوده في الجزائر في الوقت الحاضر، وهو الحديد والرصاص الذي تستخرج منه كميات كبيرة في جبال القبائل"[3]

بالإضافة إلى الطيب والجوز والسمن ولقد كان يتوافد التجار التونسيون بشكل رهيب لشراء هذا الأخير (السمن) لوفرة انتاجه في المنطقة خاصة في الآونة الأخيرة.[4] وهذا ما يؤكده أحمد باي في مذكراته "إن كل ثروتنا تتمثل في القموح والأصواف التي كنا نبيعها في ميناء عنابة"[5].

---

[1]– فلة القشاعي المولودة موساوي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771 – 1837 ، مذكرة ماجستير ، اش ناصرالدين سعيدوني ، جامعة الجزائر ، 1989 / 1990، ص11.

* الشاشية الجزائرية الحمراء عرفت بها مدينة الجزائر نظرت لاعتناء العائلات الأندلسية بها و توارثت صنعها ينظر إلى: عقبة خضير: "النشاط الاقتصادي بالجزائر في العهد العثماني ما بين القرن 17–19 دراسة تاريخية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع6، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2016، ص241.

** الشاشية التونسية هي قبعة رجالية تدخل ضمن اللباس التقليدي التونسي ينظر إلسمير مشوشة: "ابن حمادوش الجزائري وأبو رأس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع12، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، الجزائر ، 2017، ص291.

[2]– كوثر العايب: العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711_1830، المرجع السابق ، ص60.

[3]– وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تع تق، اسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص30.

[4]– فيصل قاسم: الحركة التجارية بين موانى بلدان المغرب خلال العهد العثماني، اش عبد المجيد قدور، مذكرة مكلمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014، ص94.

[5]– أحمد باي: المصدر السابق، ص35.

كما كان تصدير الأغنام والماعز من بين أهم صادرات البايلك بإتجاه تونس حيث كانت عائداته ضخمة، ويشرف على هذه المعاملات التجارية وكيل الباي التجاري في مدينة تونس الذي يعمل على رعاية المصالح التجارية في الإيالة. ولقد قدر عدد هذه الثروة في سنوات الاحتلال بحوالي 8 ملايين رأس، وأكبر القطعان كانت في الهضاب العليا القسنطينة عند قبائل الحنانشة، النمامشة، الحراكته وألاد عبد النور، كون هذه القبائل ارتبطت بهذه الحرفة منذ القدم. وتكونت هذه الثروة نتيجة المصادرة و النهب وأيضا من الحملات[1]، حيث جاء في رسالة الحاج أحمد باي إلى الداي حسين بخصوص حملته على أولاد رشاش بالنمامشة 1243هـ/1827م ".... أننا غزونا النمامشة وأولاد رشاش... وقطعنا منهم منهم ثمانية وثلاثين رأسا (38) وأخذنا لهم من الغنم واحد وعشرون ألف وستمائة (21600) ومن الإبل خمسمائة وخمس وثمانون (585) وخمسة وثلاثون هديل (35).." وكذلك ما تم غنمه اثناء حملته على قبيلة العمامرة بجبال الأوراس وكذلك الحنانشة أواخر 1827 "...فقطعنا منهم ستة عشر رأس وحملناها لقسنطينة، وأخذنا لهم غنائم جيدة..."[2].

ولقد حاول بعض البايات الحسينون التخلص من التبعية الجزائرية وخاصة في الميدان الاقتصادي للأضرار أدت إلى تعطيل تجارتهم حيث كان باي الجزائر يحملهم أعباء موت أنعام إقليم الشرق[3] وأشار على هذا ابن أبي ضياف قائلا: "أن صاحب الجزائر أو قسنطينة يشري الأنعام ويبعثها إلى البيع في تونس بثمن يلوح بالإشارة إليه، فتعطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى يباع ما أتى من الجزائر أو قسنطينة، والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق تدعي رعاته أنه سرق منهم في أرض تونس فيزاد ثمنه على الثمن المطلوب"[4].

---

[1]– وهيبة بولصباع، أحمد صاري: "التجارة الخارجية للأغنام والماعز في بايلك الشرق خلال العهد العثماني"، مجلة آنسنة للبحوث والدراسات، مج12، ع2، الجزائر، 2022، ص ص198 –199.

[2]– جهيدة بوعزيز: الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1837/1771م 1185–1253هـ)، اش جميلة معاشي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2، 2012، ص171.

[3]– محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط3، تع محمد الشاوش و محمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص ص89 – 90.

[4]– أحمد أبي ضياف: المصدر السابق مج 2 ج3، ص40.

أما الصادرات التونسية نحو بايلك الشرق الجزائري فكانت في مجملها منتوجات المشرق كأقمشة إسطنبول، زرابي آسيا وحرير سوريا والقهوة اليمنية والجوخ الذي يصنع منه الألبسة الفاخرة[1] بخور السودان ، بالإضافة إلى القبعات الحمراء (الشاشية) والمواد الطبية كالعقاقير الأدوية، الجواهر والبخور عطور الورد الياسمين والأسلحة والسيوف.[2]

2_الطرق الرئيسة بين الجزائر و تونس:

وما ساعد حركة تنقل القوافل التجارية تلك الطرق التي تربط بين مدينتي تونس وقسنطينة ،و من أبرز هذه القوافل القافلة الشهيرة التي كانت تنطلق من مدينة قسنطينة متكونة من 200 إلى 300 بغل محملة ببضائع تبلغ قيمتها حوالي مليون فرنكا لتباع في تونس بمليون فرنكا[3]، فكانت هذه القوافل تتبع أربعة طرقات رئيسية من الشرق الجزائري إلى غرب إيالة تونس وهي كالآتي:

* طريق تونس: الذي يبدأ من مدينة قسنطينة ويسير نحو الجنوب ليمر بالخروب ثم يرتفع نحو الشمال الشرقي ليمر على عدة قرى كوادي زناتي، مجاز عمر، سوق هراس إلى أن يصل إلى مدينة الكاف ومن ثم مدينة تونس، وكان يستغرق التجار في هذا الطريق حوالي خمسة عشرون (25) يوما بالإضافة أنه يوفر لتجار كل مرافق اليسر من كراء البغال وغيرها.[4]

* طريق قفصة*ونفطة**: الذي يبدأ من مدينة الوادي ثم يتجه شمالا نحو محطة قمار حيث ينقسم إلى جزء يتجه مباشرة إلى مدينة نفطة والأخر يسير نحو الشمال إلى قرية فرن

---

[1]– رفيق شلابي، عامر شرقي: "الأقمشة الجزائرية الوافدة لإيالة التونسية خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، مج6، ع1، المركز الجامعي بتيندوف، الجزائر ، 2021، ص4.

[2]– رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنيين 11–12هـ/17–18م، اش خليفة حماش، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2014، ص ص78 –79.

[3]– رفيق شلابي، عامر شرقي: المرجع السابق، ص3.

[4]– صورية حصام: العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، إش عبد المجيد بن نعيمة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013، ص150.

* نفطة وتقع في الجنوب التونسي ولقد كانت من أهم المراكز التجارية. ينظر إلى محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1972، ص154.

**نفطة هي عاصمة بلاد الجريد تشمل كل من توزر: الوديان والحامة، محمد العربي الزبيري: نفسه، ص154.

أين ينظم تجار الزيبان إلى القافلة ثم يتجه إلى الشرق ليقف عند مدينة قفصة، ولقطعه يتطلب سير خمسة أيام إلا أنه طريق سهل لكثرة المياه.

* طريق نفطة وغدامس: حيث كانت القافلة تنطلق من توقرت لتمر بالفيض حيث ينضم تجار بسكرة هذه القافلة ثم يعودوا نحو الجنوب الشرقي إلى كوينين، ثم تأخذ اتجاهين الأول شمالا نحو نفطة والثاني جنوبا نحو سوق غدامس كما كانت القوافل بين توقرت وتونس يومية[1].

* طريق غدامس: الذي ينطلق من ورقلة باتجاه الشرق إلى أن يصل مدينة غدامس ويعد من أصعب الطرق لأن مغطى بالكثبان الرملية ومدة قطع هذا الطريق يتطلب عشر أيام (10) من السير وتقل فيه المياه، إلا أن تجار ورقلة يفضلون السفر باستمرار إلى أسواق تونس التي تكون ملتقى قوافل تونس، طرابلس، السودان والجزائر.[2]

كما وجدت عدة محطات للاستراحة أهمها: ورقلة، غدامس وقابس ...

– ورقلة: فالموقع الجغرافي للواحات الشرقية للصحراء الجزائرية جعلها متمكنة في قيادة القوافل إذ كانت ملتقى التجار ومحطة مهمة ومركز تجاري رئيسي للتجارة فهي نقطة استراحة لجميع قوافل الحجيج ذهابا وإيابا لما تميزت به من خصائص طبيعية واقتصادية وثقافية وحضارية.[3]

– غدامس: حيث كانت تستقبل كل القوافل القادمة من طرابلس وجنوب تونس والجزائر و تجتمع هناك لتأخذ فيما بعد كل قافلة وجهتها.[4]

– قابس: ومثلت محطة لكل القوافل التي تمر ببلاد الجريد عبر وجهات مختلفة أو قوافل الحجج المتجهة نحو الشرق[5] وقد وصفها الحضكي أثناء نزوله بها بكثيرة أشجارها بقوله"...وهي ذات قرى كثيرة، وبلاد وأشجار..."[1]

---

[1]– صورية حصام: المرجع السابق، ص151.

[2]– صورية حصام: المرجع نفسه، ص152.

[3]– ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص485–487.

[4]– رشيد حفيان: المرجع السابق، ص36.

[5]–رشيد حفيان: المرجع السابق ، ص37.

3_ أسواق التبادل التجاري:

وكانت تونس أهم وأقرب الأسواق الخارجية إلى الشرق الجزائري، وهذا ما جعل تجار قسنطينة من تليين وصحراويين يتوجهون إليها لنقل منتوجاتهم لأسواقها والتزود منها ما يحتاجونه،[2] وهذا ساعد من تنقل التجار بين الإقليمين فوجدت تلك المراكز التجارية (أسواق) الهامة التي تنطلق منها القوافل في الشرق الجزائر نحو تونس وبذلك تعبر الحواضر الكبرى للشرق. تتمثل أساسا في سوق قسنطينة، الوادي، توقرت وورقلة حيث كان لكل سوق من اقليم الشرق ما يقابله في مدينة تونس[3]، وأيضا الأغواط التي وجد بها سوق شرين وسوق الخير نسبة لواد الخير المتواجد بها حيث كانت هذه الأسواق ملتقى التجار المحلين وتجار الايالة التونسية المارين بتوقرت ليعرضوا سلعهم المتنوعة خاصة العطور، السكر، القهوة,، والمجوهرات... وباقي السلع المتبقية يتوجهون لبيعها في قسنطينة ومدينة الجزائر، كما يوجد سوق بغرداية يأتيه التجار من كل البقاع خاصة التونسيون وسوق منطقة الميزاب ببسكرة يأتيه التجار والقبائل التونسية من نفطة حيث امتازت الحركة التجارية بينهما بشكل كثيف إلى غاية الاحتلال الفرنسي وغيرها من الأسواق.[4]

ثانيا / العلاقة الاقتصادية بين الجزائر وليبيا :

ربطت الجزائر ليبيا خلال العهد العثماني علاقات اقتصادية قامت عمى التبادل التجاري بين البلدين ، نظرا لعدة عوامل جغرافية وسياسية واجتماعية ، أهمها حاجة سكان الجنوب الشرقي الجزائري وسكان المدن الليبية للتواصل وتبادل المنافع . ورغم وجود تبادل تجاري على مستوى البحر يقوم على تبادل السمع عبر الموانئ والذي كان يسيطر عليه اليهود الأوروبيون فقد كانت القوافل التي ربطت بين أسواق البلدين.

أهم الطرق التجارية بين الجزائر وليبيا:

---

[1]–أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي: الرحلة الحجازية، ضبط و تع عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، 2011، ص87.

[2]–محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص151.

[3]– عبد الرزاق قشوان: الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري (1219–1282هـ/1804–1871م)، اش عبد المجيد قدور، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2018، ص115.

[4]– حصام صورية: المرجع السابق، ص ص148 –149.

كانت القوافل التجارية تربط بين أسواق البلدين تمر من خلال طرق رئيسية تتداخل مع الطرق التي تذهب الى تونس وبلاد السودان وكانت انطلاقة تلك القوافل تتم من مدن قسنطينة وورقلة والوادي وتقرت وتوات وكان تجار الجزائر مع طرابلس يقصدون وجهتين رئيسيتين : غدامس حيث كان يتجمع تجار السودان و طرابلس وتونس ، والجزائر وسوق غات الصحراوي حيث تتوفر سلع السودان وافريقيا وتمثلت هذه الطرق التجارية:

– طريق وادي سوف – غدامس.

– طريق ورقلة – غدامس.

– طريق وادي سوف – غات الذي كان طريقا صعبا وشاقا ومليئا بالمخاطر لكن البعض من تجار سوف كانوا يفضلون سلوكه نحو مدينة غات من أجل جلب السلع من مصدرها وكذلك من أجل تجنب الضرائب وكان التجار يتجاوزون غات نحو مدينة مرزوق مركز إقليم فزان حيث يبيعون سلعهم بأثمان مربحة.

–طريق غدامس – عين صالح : والذي تستغرق قوافله ثلاثون يوما ، حيث كانت عين صالح مقصدا لتجار طرابلس من أجل تصريف سلعهم نحو العديد من الواحات الجزائرية

–طريق عين صالح – غات : حيث ربطهما طريقان أحدهما جبلي صعب لكنه مختصر خلال 20 يوما والثاني منبسط يسلك خلال 40 يوما.

–طريق طرابلس – توات كانت القوافل التجارية القادمة من طرابلس وفزان وغات تقصد اقليم توات في طريقها نحو بلاد السودان الغربي ونحو المغرب الأقصى.

أهم الأسواق:

إن أهم الأسواق التي ربطت تجارة البلدين تمثلت في ورقلة ووادي سوف وتقرت وعين صالح وتوات في الجزائر ، غات ومرزوق وفزان وغدامس في ليبيا.

أهم السمع المتبادلة : كان التجار الجزائريون يصدرون الى أسواق طرابلس القمح والشعير والشمع والزيت والصوف والأغنام والجمال والتبغ والتمور والأقمشة والمواد العطرية والمنتوجات الأوروبية ، وكان تجار ليبيا يمثلون همزة وصل بين الشرق العربي والسودان وأسواق الجزائر ويحملون لها التبر والعبيد والمملح والنحاس والقماش...

إن التبادل التجاري بين الجزائر وتونس وليبيا له أهمية بالغة حيث ربط بين الأسواق والمدن ونقل السمع من بلد الى آخر عبر مسالك برية وبحرية فوفّر ما تحتاجه الرعية من بضائع

ومتاع ونمّى الثروات لدى فئات التجار وزاد من توثيق العلاقات بين السلط الحاكمة وشعوب المنطقة.

ثالثا/ العلاقة الاقتصادية مع المغرب الأقصى :

إن المتأمل في العلاقات بين البلدين يكتشف أن هذه العلاقات بين قد تأثرت بعوامل متنوعة ومتشابهة على الأغلب وهي كآتي :

قد ساهمت عوامل عديدة في تنشيط وتسهيل عملية التواصل بين الإقليمين وتوطيد العلاقات بينهما مثل العوامل الجغرافية وتاريخية والدينية فمن المتعارف عليه ان الجزائر والمغرب بلدان متجاوران ويقعان في شمان افريقيا، وأنهم كانت تجمعهم دولة أصل واحد.

العزو الإسباني و البرتغالي : إن هذا الغزو لسواحل البلدين وما جاورها من المناطق الداخلية والذي بلغ أوجه خلال قرن 16م، فكان له تأثير سلبي على بناء واستمرار العلاقات بين القطرين على مختلف الجوانب فقد تأثر التجارة فكلا البلدين وكان له سببا في هجرة سكان والعلماء والطلبة بحثا عن الأمان بين القطريين.

انتشار الأوبئة والأمراض وكوارث الطبيعية التي مست كل من ايالة الجزائر والمغرب السعدي خلفت أعداد كبيرة من قتلى بين مختلف فئات المجتمعين وبالتالي كان لها أثر سلبي على مستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي بين البلدان.

هجرات الأندلسية واستقرارها في كلا البلدين وقيام الحكم العثماني في الجزائر ساهوا تحريك العلاقات بين المنطقتين[1].

رغم التوتر الذي ساد على علاقة السعديين بالأتراك الجزائر فإن ذلك لم يؤثر على تواصل على مختلف الجوانب الأخر، ان جل هذه العوامل كان لها أثر فعال على العلاقات، فيا ترى كيف كانت هذه العلاقات بين البلدين في ظل هذه الظروف ؟

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق، ص ص45، 99.

إن المعلومات حول الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تكاد تكون شبه معدومة حيث انه معظم الكتابات التاريخية لم يتطرق إلى حديث عنها فلم تلقى هذه العلاقات الاهتمام والرعاية مثل ما نالته العلاقات السياسية.

من أجل إلمام بموضوع العلاقات الاقتصادية لا بد من تسليط الضوء على جوانب مهمة من العلاقات التي كانت قائمة بين البلدين.

أ. الاحتكاك بين البلدين في ميادين الزراعية و الصناعية:

إن الغياب الحدود بين البلدين والعوامل الموروثة من الحقبة السابقة للقرن العاشر هجري وتأثير متبادل بأنماط الزراعة من وسائل ومنتوج كذلك انتقال بعض عمال زراعيين بين القطرين وخاصة في مواسم الزراعية بحكم القريبة الجغرافي، ساهم في انتقال الخبرات الزراعية بين البلدين ونذكر على سبيل ذلك:

فأحمد المنصور سمح بمنح للكاتب عبد الله محمد بن عمر شاوي مغارم مسيوه كهدية له على انتقاله إلى المغرب مع أخيه عبد الملك[1].

أما الاقطاعات التي منحتها الايالة الجزائر الى السعديين اللاجئين كثير فقد أعطى الخليفة العثماني سليم الثاني تيمارات* لبعض أتباع عبد الملك السعدي الذين قدموا معه إلى الجزائر ونذكر من بينهم أحمد بن يوسف و قاسم وغيرهم قدرة بثلاثة ألف آفجة*.[2]

إن احتكاك و تواصل قائم بين البلدين أدى إلى تشابه إلى حد كبير في منتوجات الزراعية مثل زراعة الحبوب بأنواعها وكذلك زراعة الأشجار المثمرة بالإضافة إلى أصناف

---

[1] محمد الصغير بن عبد الله الوفراني : المصدر السابق ، ص 125 .

* كل أرض تمنح لشخص او أكثر مشتركا بشروط خاصة مقابل وظيفة معينة للمزيد ينظر الى سهيل صابان : المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000م ، ص 76 .

* وتعني في اللغة الضاربة الى البياض ، أصلها مغولية و معناها النقد البيض و هي قطعة صغيرة من الفضة ضربة لأول مرة في عهد السلطان أورخان في سنة 829هـ للمزيد ينظر الى المرجع نفسه ، ص 20 .

[2] عمار بن خروف : العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بين الجزائر و المغرب في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي ، دار الأمل ، (د،م) ، 2008م ، ص125.

الخضر والفواكه، كما اختصت الجزائر بزراعة العنب بينما نجد المغرب الأقصى يحتكر زراعة قصب السكر[1].

ساهمت الجالية الأندلسية في تطوير الإنتاج الزراعي في بلدين بفضل خبراتهم فقاموا باستصلاح الأراضي وإنشاء آبار و العيون والقناطر وادخلوا تقنيات الري ومزروعات جديدة تمثلت في الزعفران و الفلفل والجلبان والملفوف وغرس أشجار الزيتون وأنواع الزهور والقطن وكذا تربية دودة القز[2]إلا انه رغم التقارب الذي حدث في الجانب الزراعي لم تنتقل الخبرات بين البلدين فكل بلد ظل يحافظ على نوع معين من الزراعة رغما توفر الظروف الملائمة لزراعة في كلا الإقليمين، فالجزائريين لم يسعوا الى نقل زراعة قصب السكر التي اشتهرت بها المنطقة السوس في المغرب الاقصى والمغاربة لم ينقلوا زراعة العنب اشتهرت بها منطقة عنابة بالجزائر[3].

أما في الجانب الصناعي فأننا نلاحظ انتقال مؤثرات بين البلدين بفعل الاحتكاك بين الحرفيين، فأن الصناعات التي كانت قائمة في قرن السادس عشر ميلادي مشابهة كثيرا و من أهم الصناعات التي عرفت روجا وتنوع في منطقتين هي صناعة النسيج اذ نجد المدن الجزائرية والمغربية قد برعت في صناعة منسوجات الصوفية تمثلت في الأغطية والثياب والبرانيس والزربي والصناعة الكتانية والجلدية وصناعة الأسلحة والسفن[4]وقد اقام السعديين مصانع في مراكش لإنتاج الأسلحة حيث عبر مارمول عن ذلك " ...يوجد أمام السجن قصر كبير يدعى قصر النصر يصهر فيه سلاح المدفعية ، و تصنع فيه الاسلحة و الذخيرة الحربية ....."[5].

---

[1] عقيل نصير : المرجع السابق ، ص 66 . و ينظر الى ناصر الدين سعيدوني : الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر – تونس – طرابلس الغرب) من القرني العاشر الى الرابع الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي) ، حوليات الآداب العلوم الاجتماعية ، حوليات الحادية والثلاثون ، 200_م ،ص 28.

[2] ناصر الدين سعيدوني : المرجع نفسه، ص 29. و ينظر الى محمد زروقي : الاندلسيون و هجراتهم الى المغرب خلال قرن 16-17 ، ط3 ، افريقيا الشرق ، الرباط ، 1998 م ، ص 266 .

[3] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص57 .

[4]هلال حنفي :المرجع السابق ، ص 157 ، و عمار بن خروف : المرجع نفسه ، ص58 .

[5]المارمول كربخان : افريقيا ، تر محمد حجي و اخرون ، الجمعية المغربية للنشر و التوزيع ، الرباط ، 1988 – 1989 م ، ج 2 . حميد آيت حبوش : الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية من خلال رحلتي الحسن الوزان و التمجروتي ،

وقد كان إشراف السعديين يعتمدون على خبرة الاتراك والاندلسيين وعلوج لإنشاء الاسلحة والسفن كما نجد عبد الملك يقوم بصناعة الأسلحة بأنواعها بنفسه التي تعلمها عن اتراك العثمانيين[1]كذلك امر بنسبة لصناعة السفن، كما وجد في باب الواد سوق البلاغجية تنتج فيه الاحذية مختلفة من جلود وفيلالي المجلوب من تافيلالت بجنوب المغرب الاقصى عن طريق القوافل التجارية وبالإضافة إلى ذاك يوجد في جزائر شارع يقيم فيه تجار مدينة سلا بالمغرب اسمه سلاوة، وهذا ما يؤكد على وجود اتصال بين القطرين وتبادل الخبرات[2] .

أسس تبادل التجاري :

أ-الطرق التجارية :

تعتبر الطرق التجارية الركيزة الأساسية في إقامة التجارة وتنشيطها ومن خلال تتبع كتب الرحالة وكذا مصادر والمراجع التي بين ايدينا نميز وجود ثلاثة طرق رئيسة بين البلدية وهي :

الطريق البحري: وهو ذلك الطريق الذي سلكه التمجروتي في رحلته من المغرب الاقصى الى الجزائر، وقد وصفه في كتابه النفخة المسكية في سفارة التركية 1589م حيث ينطلق من تطوان شمال المغرب وصولا ترغا، بادس، فوركة، جزر ملونة، آرزيو، مستغانم، تنس، شرشال، جزائر، دلس، بجاية، جيجل، مرسى القصب، القل، عنابة، ومنها الى بنزرت بتونس وطرابلس،[3] حيث كانت هذه الموانئ محطات لتزويد المسافرين والتجار بالمؤونة، فان هذا الطريق لم يكن آمنا سواء لكل من تجار أو القوافل تجارية أو للحجاج وذلك راجع إلى القرصنة الأوروبية الذين كانوا يستهدف غزاة البحر المسلمين في كلا البلدين[4].

اشراف حنفي هلالي ، اطروحة شهادة دكتورة ، تخصص تاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة جيلالي يابس ، سيدي بالعباس ، 2014 ، ص259.

[1]حميد آيت حبوش : الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية من خلال رحلتي الحسن الوزان و التمجقروتي ، اشراف حنفي هلال ، اطروحة شهادة دكتورة ، تخصص تاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة جيلال يابس ، سيدي بالعباس ، 2014 ، ص 259 .

[2]عبد القادر نور الدين :المرجع السابق ، ص134 .

[3]علي بن محمد التمجروتي : المصدر السابق ، ص ص 23-24 .

[4]موسى شرف :المرجع السابق ، ص 337 .

الطريق البري الجنوبي : فهو اطول طريق يلتقي المسافرين من المغرب الاقصى في سجلماسة[1] الى محطات توقف المسافرين منها فجيج وام حران وتارة وبعد خروج من المغرب ينقسم الى طريقين عند دخول الجزائر وهما[2] :

طريق القصور : مرورا بوسمغون، الغسول، عين ماضي، الاغواط، برج غيران، سيدي خالد، بسكرة، سيدي عقب، فتورز جنوب تونس[3]

الطريق الواحات : الطريق فبعد الخروج من المغرب يتوغل نحو الصحراء مرورا بإقليم توات لاستبدال العملة الان الذهب فيها ارخص ثم اوكرات، اولاد محمود، اولاد اميكيدن، قرية والا، قليعة، زيرارة، الجديد، الحماد، شمالا إلى ورقلة، مكوسة، وادي ريغ، بلدة، أكراد، تماسن، توقرت، سوفة، ماء الرباح، وصولا إلى تونس[4].

الطريق الشمالي (التلي): يمتد من الشرق وهذا الطريق متصل بالبايلك إيالة الجزائر فهو مراقب من قبل السلطة في الجزائر، حيث يكون انطلاق من فاس إلى تازة فوجدة، فتلمسان، فمعسكر، مازونة، فمدينة الجزائر، ومنها إلى بجاية فقسنطينة فعنابة،، ومنها إلى القطر التونسي، وهو الطريق الذي سلكه الوزان في رحلته نحو المشرق عام 921هـ/1515م[5]، اذ تتفرع منه طرق تجارية اخرى من قسنطينة الى بسكرة مرورا بالأراضي التونسية فقد كان ملتقى للحجاج الجزائريين والمغرب بإضافة الى انه معبر لقافلة التجارية التي تمر من مدينة قسنطينة إلى جنوب الجزائر وبلاد السودان والمغاربة الذين يتجهون إلى قسنطينة عبر بسكرة[6].

---

[1] فيصل محمد موسى : موجز تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر ، تح ميلاد المقرحي ، منشورات الجامعة المفتوحة ، بنغازي ، 1997 ، ص55.

[2] رشيد حفيان : الطرق و قوافل التجارية بين حواضر المغاربة و اثرها الحضاري في عهد العثماني خلال قرنيين 11-12هـ/ 17-18م ، اشراف خليفة حماش ، شهادة ماجستير ، تخصص التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة ، 2014م ،ص22.

[3] مولاي بالخميسي : الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981، ص 25 .

[4] رشيد حفيان :المرجع السابق ، ص 88 .

[5] موسى شرف :المرجع السابق ، ص 322 .

[6] عمار بن خروف :المرجع السابق ، ص ص 16-17 .

الطريق العرضاني: يبدأ من فجيج ليعبر إلى شلالة فالبيض فسيدي الشيح ثم الاغواط وبوسعادة وبسكرة من الاغواط يتفرع منه جزء الى ورقلة مرورا بغرداية ثم يتوجه شمالا توزرت و بتماسين وتوقرت كما انه يسير من الاغواط وصولا غمرة و سيدي عقبة و فيض.

فيمر عبر هذه الطرق ثلاثة قوافل تجارية ودينية (ركب الحج) وبحرية فأولى تجوب المغرب العربي لأجل متاجرة محملة بالبضائع ومستوردة متطلباتها لذا لا نستطيع حصرها في قافلة او قافلتين من حيث مواعيد انطلاقها و تنظيمها[1] اما بالنسبة الوسائل المستعملة في قوافل التجارية البرية الابل في درجة الاولى ثم يأتي الخيل و بغال[2] من بين أهم القوافل التجارية قافلة سلا التي تعبر تلمسان و الجزائر وقسنطينة ومعسكر محملة ببضائع المغرب و السودان و ادوات نحاسية والمنسوجات الصوفية والنقود الذهبية و عقاقير كزنجفر[3]، اما الثانية كانت قوافل الحج المغربية تمر على الجزائر في كل موسم حج كما انه لكل ركب حج أمير يكون من إشراف المغرب[4] تتمركز في شرق الجزائر اثنان من قافلتين في قسنطينة والثالثة في سيدي عقبة لينظم إليهم حجاج الجزائريين وفي هذه الأثناء يتم البيع و شراء وتنطلق جميع القوافل من مدينة فاس حاملة معها سلع ومصنوعات مغربية مختلفة[5].

تعتبر هذه القافلة أهم القوافل لما تحققه من ربح في كلا البلدين برغم من ان هدفها تأدية فريضة الحج إلا أنها تتألف من حجاج يرافقهم تجار وكانوا حجاج يتاجرون بما كانوا يحملونه من سلع من المغرب في ذهاب وما يجلبه من المشرق [6]، فلعبت بذلك دورا كبير في تنشيط المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب الأقصى، على طريق مرور ركب الحج بفضل ما كانت تتمتع به من حماية وإعفاء الجمركية كما يوفر لهم وسائل لنقل لوازمهم وبالتالي كان تجار يستغلونا مواسم الحج ويضاعف ماله أما ثالثة التي تستخدم السفن لنقل

---

[1] رشيد حفيان :المرجع السابق ، ص ص 19 ، 56 .

[2] عمار بن خروف :المرجع السابق ، ص 64 .

[3] محمد العربي الزبير : المرجع السابق ، ص ص 183-184 .

[4] احمد بوسعد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1530م) دراسة تاريخية و اجتماعية من خلال الرحلة الحجازية ، المشرف محمد حوتية، شهادة دكتوره ، تخصص تاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة احمد دراية ، ادرار ، 2018م ، ص 41 .

[5] محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص ص 183-184 .

[6] رشيد حفيان :المرجع السابق ، ص 59 .

بضائع ومسافرين والحجاج التي كانت قائمة بين البلدين وما يؤكد ذلك هو إرسال تجار الجزائر سلع إلى فاس عبر تطوان بواسطة سفن مجاذيف[1].

الأسواق التجارية:

بعدما تعرفناعلى الطرق التي تربط بين الجزائر والمغرب الأقصى سنحاول تسليط الضوء على دور الفعال لحواضر التي ازدهرت فيها التجارة و مثلت موضع مبادلات بين البلدين .

مدينة الجزائر: برزت كقوة اقتصادية بعد أن أصبح ولاية عثمانية حيث قال التمقروتي في هذا الصدد " و أفضل من جميع بلدان إفريقيا و اعمر وأكثر تجارا و فضلا وانقذ أسواقا واوجد سلطة متاعا حتى أنهم يسمونها اسطنبول الصغرى "[2]فهي أذن من أهم المراكز تبادل التجاري مع مدن المغرب الأقصى نذكر منها :

مبادلات مع تطوان: كانت لتطوان علاقات تجارية قوية مع الجزائر، إذ تشير المصادر إلى أن خير الدين بربروس قام في سنة 1531م بشراء القمح منها لمواجهة القحط وقلت الزرع،،[3]إذ مثل هذا الميناء محطة هامة الجزائريين فقد كانت السفن الجزائرية تتردد إلى ميناء تطوان من اجل تزود بالماء والخبز واتخاذه ملجأ عندما يكون يتعذر عبور المضيق جبل طارق وكذلك يجلب إليه البحارة الجزائر في بعض الأحيان الغنائم والأسرى، ولشك أن أعمال القرصنة الجزائر تعود بأرباح على المدينة وذلك بحصولهم على جزء من الغنائم أو مشاركتهم فيها،[4]بإضافة إلى مشاركة السفن تطوان إلى جانب السفن الجزائرية ضد السفن الاسبانية مما جعل فليب الثاني يقوم ببناء سد لمنع دخول أو خروج الرياس البحر الجزائريين إلى نهر تطوان إلا أن محاولته باءت بالفشل بفعل التيار الذي فتح ممر أخر قرب الزوارق،[5] بالتالي صارت تطوان مقصد لركب الجزائر المحملة بالبضائع وغنائم ويعود

---

[1] عمار بن خروف ،المرجع السابق ، ص ص 65-66 .

[2] علي محمد التمقروتي : المصدر السابق ، ص 159.

[3] موسى شرف : المرجع السابق ، ص 324.

[4] عبد العزيز سعود : تطوان في القرن الثامن عشر ، مطبعة الخليج ، تطوان ، 2007م ، ص 204 .

[5]مارمول كربخان المرجع السابق ، ص 65.

محملة بالبضائع المغربية من عسل وسكر وجوهر والصابون وفي بعض الاحيان يبعون غنائمهم ليعدون فورا لقرصنة[1].

مبادلات مع سلا: نشأة العلاقات منذ المشاركة في العمليات الجهاد البحري وتبادل الزيارات وفي بعض الأحيان يضطر البحارة الجزائر الادعاء بانهم بحارة من سلا تجنبا ملاحقة[2]، اذ شكلت مدينة سلا سوقا لرياس البحر الجزائريين يبيعون فيها غنائمهم التي استولوا عليها من سفن الأوربية من الأسرى وبضائع، وكان الأمر كذلك بالنسبة لسلاويون حيث يبيعون للجزائر سلع التي لا يمكن[3].

المبادلات مع فاس: كانت مدينة فاس تربطها علاقة مهم بالجزائر إذأن مبادلات تتم عبر قافلتين برية وإما بحرية التي في غالب تتعرض لمخاطر فتمر عبر المدن بادس وتطوان[4]مما ساهم هذا بتنشيط التجارة في المدينة فاس وعادت بأرباح على الصناعيين والحرفيين ومن خلال ترويج سلعهم والتي تمثلت في بلاغي وترابل ومنتجات الفخارية في الأسواق الجزائرية، وهذا ما يفسر استقرار التجار فاس في المدن الجزائرية كوهران وكذلك وجود تجار من الجزائر في فاس[5]فقد كانت الجزائر تصدر إلى مدينة فاس المنتوجات من سيوف وخناجر واقمشة هندية وتركية في مقابل تستورد الجزائر المنتوجات التي سبق ذكرها .

مدينة تلمسان: تمثل القلب النابض للتجارة الجزائرية خصوصا مع المغرب الأقصى فهي محطة تربط بين شمال إفريقيا وبلاد السودان فلا بد من تمر القافلة السودان عبرها لتوجه إلى المغرب، فقد كان لها علاقات كثيرة مع المدن كتازة وجسلماسة ودرعة وفجيج، فناحية تازة كانوا تجار تلمسان يجهون بمنتوجاتهم المختلفة في المقابل كانت تازة تصدر إلى تلمسان الحبوب والصوف والماشية وتستورد من سجلماسة الجلود[6]من فجيج منسوجات صوفية ومن درعة النيلة الزرقة فقد ذكر حسن الوزان أن اهل تيكوارين كانو يقتاتون من تجار تلمسان

---

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 82 .

[2] روجي كواندرو : قراصنة سلا ، تر محمد محمود ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، المغرب ، 1991م ، ص41.

[3] فيصل قاسم : المرجع السابق ، ص ص 73-74 .

[4]عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص ص80-81

[5] موسى شرف : المرجع السابق ، ص 77 .

[6]عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص ص84-85 ،

والملح والشحم[1]، اما صادرتها إلى هذه المدن من مصنوعات ومنسوجات المختلفة، ولكن تلمسان أخذة في تراجع في النصف أولى من قرن سادس عشر بسبب سيطرت الاسبان عليها وتغير الدولة السعدية محور تجارتهم مع السودان إلى مدنهم الجنوبية مثل مراكش[2].

محطات الاستراحة :

من اهم مراكز التجارية بين الجزائر والمغرب إذ مثلت كذلك أماكن الاستراحة لقوافل التجارية وتنعقد بها الأسواق فيتم البيع والشراء بين البلدين ، سنكتفي فقط بذكر البعض منها. .

تافيلالت (سجلماسة قديما) : بفضل موقعها الجغرافي جعل منها بوابة الصحراء اذ مثلت دورا كبير في اشرافها على المبادلات التجارية في جميع الاتجاهات[3]إذ كانت المنطقة مكان تتجمع فيها القوافل التجارية أو الحجاج لانطلاق كما أنها تحتوي على محطة لاستراحة الحجاج ويتزود بما يحتاجون إضافة إلى احتوائها على الماء وسوق كبير،[4] كما ان اهل تافيلالت اثنا مرورهم على المراكز التي تم ذكرها سابق كانوا يحضرونا معهم سلعهم من جلود وأحذ ية جدية وحبال وصابون وطفل واقمشة حريرية وخيول ويشترونا ما يحتاجونه من لوازم كطعام ولباس[5].

اقليم توات : يعتبر محطة تجارية هامة لسيطرتهم على الطرق التجارية التي تمر عبره الى الصحراء ومختلف الأقطار العربية الإفريقية وبتالي تربط المنطقة بباقي المناطق بفضل موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط الصحراء فتتجمع القوافل من البربر مع تجارة السودان بل وكل التجار القادمين من هناك كانوا يشتركون فيها[6] وذكر لنا حسن الوزان بعض السلع التي تباع هناك مثل اللحم وقال انه مرتفع مما يضطرون إلى شراء لحم الجمال والشحم المملح الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان[7]، كما ان اتخذ العياشي في رحلته الذي الى الحج الطريق

---

[1] حسن الوزان : وصف أفريقيا ، ص ص120 ، 134 .

[2] عمار بن خروف ، المرجع السابق ، ص 86 .

[3] الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1999م ، ص ص 302 – 303 .

[4] رشيد الحفيان : المرجع السابق ، ص ص 33-34 .

[5] عمار بن خروف ، المرجع السابق ، ص ص 86-87 .

[6]لمارمول كربخال : افريقيا ، تر محمد حجي و اخرون ،الجمعية المغربية للتأليف ولترجمة و نشر ، الرباط ، 1984 ، ج 3، ص 163 .

[7]حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 134 .

توات لما لها من مميزات التي احتوتها كماء طعام و كثرة الواحات فيها وتوفر على الأمن،[1]كما أشار الى الحياة التجارية التي كانت بتوات على أنها مزدهرة توجد بها سلع كثيرة منها الخيل والملابس والحرير كما أن الحجاج يشترونا ما يلزمهم من تمر وذهب لان ثمنها رخيص[2] .

ورقلة: تمثل المنطقة محطة هامة لتجارة السودان وتجمع القوافل والحجاج ذهابا وإياب، وبفضل موقعها جعلها سهلة لتوغل في صحراء وبالتالي تشرف على القوافل التجارية التي تمر إلى الصحراء فهي واقعة على الطريق الواحات فشكلت مركزا هاما لتجارة لكونها محطة استراحة لتلك القوافل فيمر عبرها طريق الذهب فيربطها شمالا بالمغرب العربي وجنوب السودان ان كثرة طرقها جعلها تحتوات على سبعة ابواب وهذا جعل منها مستودع وسوقا لاستهلاك المنتوجات التل والصحراء و السودان [3]كما ان العياش تحدث عن ازدهار المدينة تجاريا " ونزلنا في باب المدينة المعروف بابا سلطان ، وكان من لطف الله بالحجاج ان صادف دخولهم من اعراب الارباع قدمت بسمن كثير و غنم و ابل و زرع ..."[4]

غدامس: تقع هذه المدينة جنوب الغرب من طرابلس ضمن نطاق ليبيا وبقرب من الحدود الجزائرية والتونسية[5]ارتبطت تجاريا مع المدن سودانية[6]اذ انها تمتاز بموقع استراتيجي هاما جعلها مسلك لعبور القوافل ونقطة استراحة يتوقف عندها التجار القوافل التجارية فاطلق عليها اسم بوابة الصحراء تربط شمال افريقيا ببلاد السودان[7]، اشتهرت بصناعة الجلود[8] وجد فيها القمح واللحوم بأسعار باهضا .[9]

---

[1] مولاي بالخميسي : المرجع السابق ، ص 25 .

[2] عبد الله بن محمد العياشي : المصدر السابق ، ص 80 .

[3] رشيد حفيان : المرجع السابق ، ص ص 34-35 .

[4]مولاي بالخميسي : المرجع السابق ، ص 83 .

[5]الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق ، ص 296 .

[6]لمارمولكربخان : المصدر السابق ، ص 173 .

[7]رشيد حفيان : المرجع السابق ، ص 36 .

[8]الهادي المبروك الدالي : الرجع السابق ، ص 297 .

[9]لمارمول كربخان : المصدر السابق ، ص 174 .

*نوع من التراب كان يستعمل في التنظيف كالصابون ينظر الى عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 59 .

قسنطينة: من اهم المراكز التجارية الحيوية مع المغرب اذ كانت تصدر الى فاس عبر قوافل تجارية محمل بالبضائع من اقمشة مختلف الصنع من الصوف والحرير قطن وتستورد منها الجزائر أحذية جلدية وجلابيب والبراقع.

باب عزوز: يعد ملتقى تجمع القوافل والباب الذي تتفرق منه الطرق وتدخل إلى الفنادق محل نزول المسافرين والتي تحمل فواكه والخضر والزيت والدواب والحمير والابغال والابل بسكرة فان القوافل التجارية تمر من الطريق الوسطاني باتجاه فكيك تحتوي على منتوجات الحرير والمنسوجات واقمشة محلية المستوردة من تونس وأثناء العودة تأتي المشاط واقمشة القطنية الخيل والطفل* والأسلحة[1].

المواد التجارية المتبادلة :

ان المتأمل في المصادر المعاصرة يرى التنافس الخفي بين البلدين حول تجارة السودان باعتبارها مصدر لذهب والعبيد والزنوج فبعد استلاء احمد المنصور السعدي على الاقليم الصحراوية المتمثلة في منطقة التوات و سودان و التي تمكن من خلالها تغير الطريق التجاري مع بلاد السودان من الجزائر وتونس و ليبيا الى المغرب الاقصى[2]، كما نجد المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب شمل عدة مواد سلع، فقد كانت ايالة الجزائر تصدر الى المغرب الاقصى الخردوات وادوات الزينة والفضة الحرير[3]، كما كان القافلة الحجاج يتاجرون اثناء فترات استراحتهم في المدن الجزائرية مثلا في بسكر فكانوا يقتاتون تمر وزيتون والحناء وفواكه والخضر ولحوم والزيتون والسمن والقمح و الدقيق والدواب مقابلة ما يبيعونه من الذهب والكتب.[4]

إضافة إلى السيوف والخناجر والأقمشة الهندية والقسطنطينية والحرير المجلوب من تونس والمواد الصباغية من امريكا الاجواخ الانجليزية والاقمشة الصوفية الجزائرية كحياك والبرانس ولوازم السفر كرداع و الحبال[5]، فكانوا تجار المغرب ينقالونا من المغرب الى الجزائر العسل والصابون والاحجار الكريمة والسكر والذهب والجلود والأقمشة الحرير وقطنية

---

[1] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 23 .

[2] عمار بن خروف : ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين المرجع السابق ، ص 131 .

[3] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص104 .

[4] مولاي بالخميسي : المرجع السابق ، ص 29 .

[5] فيصل قاسم : المرجع السابق ، ص 84 .

إضافة إلى المشاط والخردوات والبخور وأنواع الشواش والسيوف والحديد[1]ونوع من نبات يشبه العظلم يعرف النيلة الزرقاء والقمح [2]وكذلك وكانت الكتب من بين أمواد التجارية المتبادل بين البلدين إذ ذكر العياشي "فمالت طائفة إلى عين ماضي و كان لي فيها ارب لبيع الكتب ولقاء الاصحاب لم يقدر ذلك"[3]و هذا يدفعنا إلى التخمين إلى المسافرين والحجاج يحملونا معهم سلع مختلفة و يضطرونا لبيعها أما ربحا أو لشراء حاجياتهم وكذلك مثل العبيد المسحيين مادة لتبادل التجاري مربحة في البلدين عندما لا يستطيعون بيعهم في بلدهم خوف من قيام حرب بين بلدهم وحكومة البلد الاسير[4].

هـ- طرق البيع والعملة:

إن النظام المالي المتبع رائجة في المبادلات التجارية بين المغرب والجزائر فالطرق الدفع كانت أما النقد أو المقايضة والتي كانت متداولة في نصف أول للقرن السادس عشر بسبب نقص انتشار النقود إلا أن هذا الأسلوب المقايضة[5] تراجع فيما بعد في نصف الثاني من القرن السادس عشر وذلك راجع إلى الازدهار النشاط البحري الجزائري و تدفق الذهب علي بغرب بعد سيطرتها على السودان وعليه فمن العملات المستعملة في التبادل التجاري داخل البلدين فهي المسكوكة داخل البلدين والعملات العثمانية والأوربية[6]:

السلطاني العثماني: التي تسك في المدينة الجزائر ومصنوعة من الذهب الخفيف بإضافة إلى الاسبر أو القبجة وهي عملة عثمانية وكذا الريال بأجزائه (الريال الرباعي و الريال الثمانية) وهي عملة الإسبانية[7].

الزياني التلمساني وهي أكثر تداولا بين البلدين خلال قرن السادس عشر و كانت تسك في تلمسان في عهد الزياني.

---

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص ص 59 -60.

[2] حسن الوزان :المصدر السابق ، ج 2 ، ص 120 .

[3] ابو سالم عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية 1661 -1663م ،تح سعيد فاضل و سليمان القريشي ، دار السويدي للنشر و توزيع ، أبو ظبي ، 2006م ، مج1 ، ص 546 .

[4] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 60 .

[5] فيصل قاسم : المرجع السابق ، ص 85 .

[6] عمار بن خروف: المرجع السابق ، ص 61 .

[7]موسى شرف : المرجع السابق ، ص 335.

المثقال الفاسي المغربي والدينار الذهبي الذي سك في عهد أحمد المنصور[1].

.....

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

المحاضرة الرابعة

العلاقات الاجتماعية الجزائرية المغاربية

أولا / العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية :

إن الروابط الاجتماعية تمثل بوضوح إحدى صور التواصل والترابط بين شعبي الايالتين الجزائر وتونس ، وقد ساهمت عوامل عديدة في توطيد العلاقات الثقافية والاجتماعية مثل العوامل الجغرافية والتاريخية والحضارية والدينية رغم وجود بعض العوائق مثل النزاعات السياسية والاحتلال الاسباني لبعض المدن والمناطق لكنها أثرها على بناء واستمرار العلاقات الثقافية والاجتماعية لم يكن كبيرا وعميقا.

1- تأثير قبائل الحدود في العلاقة بين حكام البلدين :

إن أهم نموذج الذي يجسد هذا الدور بشكل واضح وبفاعلية كبيرة

يتمثل في قبيلة الحنانشة الكبرى ، وليا ثلاثة فروع الشاوية وهوارة واخوانهم أداسة وعرب بني هلال وبني سليم لها تواجد في البلدين ، وقد ظلت تحركاتها تشكل ضغطا مستمرا على السلطة في الجزائر وتونس حيث بدأ منذ عيد الأسرة المرادية من خلال مساندتها لأحد أطراف النزاع في الحرب التي نشبت

بين محمد باي الذي استمال الى جانبه الحاج المرادسي شيخ قبيلة الحنانشة فرع أولاد نصر ضد عمه محمد الحفصي ، وظهر دورها مجددا مع قيام النزاع عن السلطة بين محمد باي وشقيقه علي باشا الذي صاهر هذه القبيلة وتزوج من ابنة سلطان بن منصر وتمكن بعدها من تحقيق الانتصار والوصول الى سدة الحكم سنة 1677 م .وكان لها دور في الحرب التي اندلعت بين الحسين بن عمي وابن أخيه علي باشا حيث انضم الشيخ بوعزيز شيخ اولاد نصر الى جانب عمي باشا بينما انضم شيخ الحنانشة من مناصر الشيخ أحمد الصغير الى حسين باي والتي انتهت بقتله 1740 م.

وقد تمردت هذه القبيلة على سلطة باي قسنطينة علي خوجة باي) (1692 م – 1700) عام 1694بسبب تحريض باي تونس محمد باي ورفضت أداء الضريبة والتي انخفضت

[1] فيصل قاسم : المرجع السابق ، ص 86 .

الى30000 ايكو ، وتتجلى تدخلاتهم أيضا من خلال دعم حممة مراد الثالث(بوبالة)على قسنطينة سنة 1700 م وكان لها الأثر البالغ عمى الايالتين . وقد تعرضت هذه القبيلة للضغط والحرب من طرفي السلطة تونس والجزائر في بعض الفترات كما حدث في 1714 م و 1724 م حيث دفعت نتيجة تمردها خسائر تجاوزت 8000 جمل وعدد من الأبقار والأغنام.

ظلت مسألة تجاوزات القبائل الحدودية بين الإيالتين من المسائل الهامة التي كان لها أثر واضح في توتر العلاقات بين حكام البلدين، ففي عهد الداي حسين ازدادت هذه الظاهرة حيث سجلت في سنة 1827م مجموعة من المراسلات بين أحمد باي قسنطينة وحسين باشا تونس بسبب استمرار الصراع على الحدود وفرار العديد من قاطني القبائل الحدودية، واستقرارهم بالطرف الأخر وكانت من بين هذه الرسائل تلك التي كانت في 24 رمضان 1242هـ/ 20 أفريل 1827م لتسليم رعايا جزائريين منتمين إلى عرش العواودة[1] وجاء في هذه الرسالة "... إنه من الواجب اللازم إعلامكم بمن هو باق إلى الآن ببلادكم، ومستقر في وطنكم من رعيتنا مثل العوادة (كذا) وغير أزيد من تسعين بيتا" وقد أظهرت لنا هذه المراسلة ذلك الترابط الاجتماعي والعلاقة المتينة التي ربطت قبائل الحدود على الجانبين والتي اتصفت بالتفاهم وحسن الجوار بالإضافة إلى المصالح المشتركة، حيث قامت هذه القبائل بالتستر على الفارين من القبائل الجزائرية المجاورة والوافدة، ما جعل الباي أحمد يطلب من حسين باي تونس إرسال من يتعرف عليهم ومكانهم لردهم إلى الجزائر "وإن أنكر هذا خدامكم الذي هم بجوارهم فنوجه من عندنا من يقف عليهم ويبينون مكانهم ويميزونهم فلان مع فلان"[2]. وأيضا عندما قامت بعض القبائل التونسية بتجاوز الحدود الفاصلة ودخلت الأراضي الجزائرية خاصة الشرقية منها مثل الزغالمة وأولاد بوغانم وأولاد خيار وغيرهم من القبائل، عبر الداي حسين على عدم قبوله وسكوته بمثل هذه التجاوزات قائلا: "ولا يمكن

[1]– سهام بودية:"أهمية الوثائق الأرشيفية في رصد التفاعلات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية بين بايلك الشرق الجزائري وإيالة تونس مطلع القرن التاسع عشر"، مجلة عصور الجديدة، مج11، ع3، جامعة وهران1، نوفمبر 2021، ص233.

[2]– محمد حلوان، كريم ولد النبية : "النزاعات الحدودية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال الفترة التي سبقت الغزو الاستعماري (1825–1830)"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج13، ع1، جامعة سيدي بلعباس، جويلية 2021، ص87.

السكوت عليهم ونحن إخوة و انبرم بينا أصدق صلح وأتم محبة ومودة، ونعلم أنك مع علو قدرك وكمال عقلك وحسن خلقك وتمام ودجك أنك لا يرضك ذلك لديك ما هنا لك"[1].

ومن جهة أخرى نجد تونس تتطلب بوشتاتة إحدى الفروع التابعة لقبيلة الحنانشة الحدودية، فبعد أن ثارت ضد القبيلة أضررت القبائل التونسية المجاورة لها وألحقت بهم الأدية والفساد، مما أدى بالباي التونسي تقديم شكوى لباي قسنطينة "بلغنا جوابكم في شأن وشتاتة وهم فرقة من وطن الحنانشة لهم عليهم عوايد من قديم الزمان محسوبون عن رعيتهم جاري عليهم حكمهم مختلطين مع غيرهم كثرت بهم الشكاية وفشا فسادهم وباتت منهم الأداية"، كما أشار الباي بأنه يعلم فساد هذه الفرقة لذلك وجد وجق الجزائر من أجل حماية رعايا قبائل تونس من أذيتها.[2]

وكذلك الأمر بالنسبة لتعدي قبيلة ورغة التونسية الحدود الفاصلة هذا ما أجبر أحمد باي إلى مكاتبة باي تونس حسين باشا في أمرهم "إن ورغة قد تعدى الحد الفاصل بينها وبين الحنانشة وهذا السبب يوقع بينهم الفساد وإن شئت فإبعث من يقف على الحد المعروف والرسم الفاصل المألوف"، كما يفهم من هذه المراسلة بأن الحدود بين البلدان كانت محددة وثابتة. وكان رد باي تونس مصطفى باي على رسالة أحمد باي في هذا الشأن "وقوله إن ورغة قد تجاوز الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنا لم تتجاوزه ولازلنا باقين على حد وها نحن موجهون من له خبرة وبصارة بأرضهم وحدودها فإذا وجدهم قد تجاوز حدهم ولو قدر فإنا نرجعه ونحكم فيهم"[3].

ولقد استمرت هذه التجاوزات وتعدي الحدود الفاصلة في توتر العلاقات بين السلطة في الإيالتين، واستمرت على هذا الحال إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر، فلقد اشتكى أحمد باي بعد سقوط قسنطينة من القبائل الذين لجأوا إلى التراب التونسي وعملوا على إثارة الاعراش ضده، فراسل باي تونس يخبره قائلا: "ونخبرك محبنا فإن الجوامع وقائدهم عمار الشايب أتوك هاربين ولكن أنت جعلت عليهم قائدا وينزلون في افريقية فإذا بهم أتوا بقائدهم

---

[1]– محمد حلوان: العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750–1830، المرجع السابق، ص125.

[2]– محمد حلوان، كريم ولد النبية: النزاعات الحدودية بين ايالتي الجزائر وتونس خلال الفترة التي سبقت الغزو الاستعماري (1825–1830)، المرجع السابق، ص87.

[3]– أحميدة عيمراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص ص16–17.

ونزلوا تبسة ويفعلون بالأمور الفاسدة التي لا ترضيك ويأتون بالخيانة ويسرقون من إبلنا وهو يرنا... وكذا محبنا تأمر قائدهم وينزلوا بهم في نواحي سراط وإن بقوا هنا فإن فعلت معهم العيب لا تلوم علينا"[1].

وفي بعض الاحيان لعب الجانب الفرنسي دور في هذه النزاعات الحدودية، حيث شرعت فرنسا لزيادة التوتر والاضطرابات بين بايات تونس وأحمد باي في بث نفودها على المناطق الحدودية الشرقية أواخر 1837م، فبسطت نفوذها على أراضي واسعة تونسية وأخذت بذلك جزء أو فخذ من قبيلة نهد المتوطنة غرب القطر التونسي كما ضمت فخذا أخر، لنفس القبيلة بالقالة.[2]

2-المصاهرة:

حيث كانت المصاهرة أو ما يطلق عليها الزواج السياسي من أبرز الظواهر التي ميزت الحياة الاجتماعية ببايلك الشرق خاصة وإيالة الجزائر عامة وكان الهدف من هذه الزيجات هو ربط مصير الأسر ذات النفود والمكانة السياسية والعسكرية والدينية بالسلطة المركزية الحاكمة لضمان ولائها للحكام.[3]

ساهمت في توطيد العلاقات بين الأسر والقبائل ومن الأمثلة عائلة الجديدي التي تنسب الى محمد الجديدي الفحقي القيرواني السالمي صاحب زاوية في القيروان سكن سوف وتزوج من أولاد يوسف وأصبح عضوا في العائلة .أولاد حداد وهم من أولاد عبيدي وقد تزوج أبو القاسم الحداد مسعودة بنت سيدي مسطور وانتسب الى سوف ، أما الاميهات ينسبون الى محل يسمى بأميهة قرب نفوسة بقابس وجاء جدهم الاميهي الى سوف وينتمي اليه أولاد ميداني وأصلهم من نفطة ، فصيلة النوابلية جاءت من نابل بسوسة ، الشرارة وأصلهم من وزر واستوطنوا سوف ، العوامر جدهم محمد وأصلهم من سوسة ، أولاد جامع أصلهم من جنوب تونس وهاجروا الى سوف.

---

[1]- عبد المنعم هامل: "مواقف القبائل الحدودية لبايلك الشرق الجزائري من النزاع الجزائري التونسي (1614-1821)"، المجلة المغاربية للدارسات التاريخية والاجتماعية، مج 13، ع2، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2021، ص73.

[2]- فارس العيد: طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830-1847)، المرجع السابق، ص336.

[3]-جميلة معاشي: المرجع السابق، ص206.

ومن صور المصاهرة أيضا قرية جديدة القريبة من قرية سيدي عبيد تشكلت من نسيج اجتماعي متنوع ذوي أصول جزائرية وتونسية دريد ، اليمامة ، الشابية ، أولاد معافي ، النمامشة ، أولاد سيدي عبيد ، السوافة ارتبطت هذه المجموعات بعلاقات مصاهرة . وقبيلة أولاد سيدي عبيد التي بدأت كعائلة مرابطية محدودة العدد حول منطقة قنتيس وجبل فوة لتتحول نتيجة المصاهرة الى نسيج مجتمعي متنوع باندماج قبائل الشابية واليمامة والسوافة والنمامشة وكان لها أثرها في الأحداث .وكان لها دور في اصلاح ذات البين بين النمامشة واليمامة والف ا رشيش ، كما للشيخ سيدي عبيد مكانة عملية ساهم في نشر المعرفة الدينية ومن العلماء الذين تتلمذوا عليه أحمد التميل وبمغيث القشاش . كما وجدت قبائل في الجزائر ذات أصول تونسية مثل العبادنة والخنافسة.

كان الحاج أحمد باي أكثر ميلا لسياسة مصاهرة الأسر الكبرى ، إذ كون لنفسه على غرار جده أحمد القلي شبكة من المصاهرات التي ربطته بمختلف الأسر المتركزة ببايلك الشرق وخارجه، كزواجه من ابنة مصطفى بومرزاق باي التيطري[1]، وفاطمة بنت الشيخ محمد بالضياف في ربيع الأول 1229هـ/1814م، ومن أسرة بن قانة* المنتصرة بنت شيخ نجع العرب في حمادي الثانية 1248هـ/1832م والأخرى كانت كرغلية الاصل خدوجة بنت عثمان خوجة أخت حمدان بن عثمان خوجة** في ربيع الاول 1227هـ/1812م[2] بالإضافة إلى زوجته خديجة إبنة قائد قبيلة الحراكته وعشوش بنت محمد بن عبد السلام المقراني، كما صاهر أيضا أسرة الحنانشة إذ تدعى زوجته الحنانشة وهي والدة ابنه محمد الذي بلغ عمره عند الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة حوالي 15 سنة، وبذلك اعتبر أحمد

---

[1] – Abdeljalil Temimi, Le beylik de Constantine..., op.cit, p61.

*تنحدر أسرة بن قانة حسب أغلب الظن من أصول بربرية قدمت من القبائل الكبرى واستقرت ناحية قسنطينة منذ ما يقارب مائة وخمسين سنة قبل الغزو الفرنسي للجزائر، غير أن أفرادها يدعون النسب الشريف، ينظر إلى ليلى تيتة:" دور بعض أفراد أسرة بن قانة في الثورة التحريرية من خلال الوثائق الأرشيفية والشهادات 1956–1959 "، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج10، ع1، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2019، ص28.

** ينتمي حمدان بن عثمان خوجة إلى أسرة جزائرية عريقة كانت تملك الأراضي الشاسعة في سهول منتجة، حدد تاريخ مولده سنة 1773م، ينظر إلى حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص ص11 –12.

[2]– جميلة معاشي: الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، اش كمال فيلالي ،رسالة مقدمة نيل شهادة الدكتوراه ،جامعة منتوري ،قسنطينة ، 2008، ص261.

باي الوحيد الذي صاهر هذه الأسرة في حين أخفق صالح باي في سعيه لمصاهرة الشيخ ابراهيم بن بوعزيز بن نصر، ما جعل صالح باي يأمر بسحبه إلى غاية وفاته[1].

وعلى خلاف بايات قسنطينة أقدم بايات تونس وبقوة على مصاهرة أسرة أحرار الحنانشة* القبيلة العربية التي تمركزت في نواحي الأوراس وتبسة وسوق هراس وشمال غرب تونس وكانت لها نفوذ واسعة على باقي القبائل وتكونت من ثلاثة قبائل رئيسية هي الشاوية الحركتة و النمامشة بالأوراس وقبيلة هوارة وعداسة، والعرب الهلاليين وبني سليم[2].

وكان لشيخ قبيلة الحنانشة مكانة مرموقة تضاهي مكانة الباي باعتبار كانت له امتيازات كارتدائه قفطان الباي واستعمال الختم الذهبي كما كانت له حرية الإشراف الإداري وقت السلم ووقت الحرب، وكانت لهذا الشيخ قوة عسكرية منها فرقة خاصة تسمى المزارقية.[3]

وصاهر بايات تونس أسرة الحنانشة طلبا للحماية من بايات قسنطينة والمنافسين على العرش من أبناء الأسرة الحاكمة في تونس وبالتالي كسب ولاء هذه القبيلة أقوى الأسر الحدودية. كما عمل بايات تونس على مهادنة هذه الأسرة وشيوخها بتقديم لهم الهدايا والامتيازات، كانت أول مصاهرة بين الطرفين تعود إلى عهد علي باي 1675م الذي تزوج من ابنت الشيخ سلطان بن محمد بن منصر حيث ساندته هذه القبيلة في حروبه ضد أخيه.[4]

لم تكن سياسة المصاهرة حكرا على البايات فقط بل نجد أيضا بعض الأسر سعت إلى كسب ود وتحالف أسرى أخرى عن طريق المصاهرة حيث عرفت القبائل التخومية كالفراشيش الواقعة بالوسط الغربي لإيالة تونس وقبائل أولاد سيدي يحي بن طالب بالشرق الجزائري حالة من التقارب نتج عنها مصاهرات بين الطرفين .[5]

---

[1]– محمد حلوان: العلاقات بين ايالة الجزائر وإيالتيتونس و ليبيا ..، المرجع السابق، ص235.

* أحرار الحنانشة وتعود أصولها حسب مرسيه إلى قبلتي نفزارة وهوارة، في حين أرجع العدواني نسبها إلى الخليفة عمر بن خطاب رضي الله عنه، ينظر إلى محمد بن محمد بن عمر العدواني: المصدر السابق، ص203.

[2]– محمد حلوان: المرجع السابق، ص233.

[3]– احميدة عميراوي : علاقات بايلك الشرق..: المرجع السابق، ص27.

[4]– جميلة معاشي: الأسرة المحلية الحاكمة في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص ص221–222.

[5]– ادريسي رائسي: المرجع السابق، ص24.

* العبادنة: نسبة إلى شخص تونسي اسمه عبدون التحق بأولاد سيدي يحي بن طالب. ينظر إلى: كوثر العايب: المرجع السابق، ص79.

ومن المصاهرة أيضا نجد قرية جديدة تبعد حوالي 7 كلم عن قرية سيدي عبيد تألفت من نسق اجتماعي غير متجانس حيث كان جزء كبير من سكانها من أصول تونسية كدريد والهمامة و الشابية في حين انحدرت الأجزاء الأخرى منها من أصول جزائرية كأولاد معافي ببسكرة و النمامشة وأولاد سيدي عبيد والسوافة، وقد ارتبطت هذه المجموعات بعلاقات مصاهرة، بالإضافة إلى علاقات تحاف ومصالح مشتركة ، كما وجدت في الإيالة الجزائرية العديد من القبائل ذات الأصول التونسية كالعبادنة* والخنافسة**، وهذه الزيجات السياسية التي جمعت بين قبائل القطرين تبقى من أجل توسيع دائرة النفوذ وزيادة الحكام الدعم المادي والعسكري كما أشارنا إليه سابقا.[1]

3_الهجرة:

تعبير الهجرة ظاهرة اجتماعية يلجأ إليها قصد كسب العيش أو العمل أو لطلب العلم أو الهروب من الأوضاع الصعبة. فالجزائريون عرفوا هجرات واسعة نحو العالم الخارجي لاسيما نحو تونس، و نميز شكلين مختلفين لظاهرة الهجرة هما:

– الهجرة الفردية: وتخص الأفراد الذين لهم أوضاع خاصة ؛ مثلا شخص في حالة متابعة من السلطة ، أو للالتحاق بمختلف المؤسسات والمعاهد العلمية كما لا ننفي أن معظم الهجرات الفردية كانت بهدف الكسب والتجارة.

– الهجرة الجماعية: وتتمثل في هجرة وتوافد العائلات والقبائل.[2]

ولقد شرعت الهجرة لقوله تعالى {الذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون}[3]. وأيضا{ و من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما}[4].

---

* الخنافسة: قبيلة جزائرية تسكن مع أولاد بن ناصر مدينة عين صالح وضواحيها، تعيش في صراع مستمر مع الطوارق. ينظر إلى: محمد العربي الزيبري: التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص161.

[1]– كوثر العايب: المرجع السابق، ص ص 78 –79.

[2]– فاروق جياب : "دور المهاجرين الجزائريين في تونس وتأثيرهم على الحركة الوطنية في الجزائر"، مجلة القرطاس، ع4، جامعة أبوبكر بلقايد ،تلمسان ، جانفي 2014، ص ص196– 197.

[3]– سورة التوبة الآية 200.

[4]– سورة النساء الآية 100.

واعتبر البعض أن الهجرة تحافظ على الدين، هذا ما أكدته لنا فتوى الشيخ المهدي ببلاد الزواوة سنة 1847م حيث نصح المسلمين بضرورة مغادرة الأرض المضطهدة وأن يهاجروا إلى الأراضي الإسلامية ليحافظوا على دينهم ودنياهم.[1]

أما المحدد لأسباب هذه الهجرة فيجد ان لتشابه الخصائص والظروف الطبيعية والجغرافية لبايلك الشرق وإيالة تونس دور كبير في الهجرة، حيث سهلت هجرة الأفراد والقبائل وجعلت حركة القوافل مستمرة، فهاجرت على إثر ذلك عدة قبائل و في بعض الأحيان قبيلة بأكملها ونقلت معها حتى خيامها وحيواناتها وأملاكها[2]. خاصة القبائل القاطنين بالنواحي الشرقية في قسنطينة، عنابة، بسكرة، واد سوف وبجاية...، فهجرة سكان واد سوف مثلا إلى الاراضي التونسية خاصة الجريد لم يكن يستغرق سواء مسافة السير لمدة يومين فقط.[3]

ومن الأمثلة هجرة بعض الفئات العمالية الجزائرية نحو تونس كهجرة بعض الأفراد من مدن جزائرية مثل مستغانم وقسنطينة ووهران وزواوة وتلمسان وميزاب ومارسوا حرف متعددة مثل صناعة الجلود والنحاس والأسلحة وغيرها ، كما شغل بعض الجزائريين مناصب عالية في تونس مثل أحمد البراناسي الجزائري الذي تقلد منصب باش مفتي وعلي الجزيري الذي تقلد منصب سامي في دار الجند في عهد حسين بن علي . وفي الجزائر وجدت فئات تونسية شغلت مناصب ادارية سامية مثل أبو حفص عمر بن محمد الذي تولى القضاء العسكري في عيد محمد بكداش ، ومحمد زينون الذي تولى القضاء الحنفي في عيد شعبان خوجة.

ووفد الى مدينة الجزائر جماعة من أهل جربة خلال القرن 16 م ووجد شارع تسمى باسم زنقة الجرابة وكذا سوق وفندق الجرابة وقدر عددهم بزهاء 300 أسرة ومارسوا التجارة وكان لديهم سفن لنقل البضائع بين المدن والبلدان .ولجأ للجزائر شخصيات تونسية معارضة مثل محمد بن عمار الفرجاني في 1812 م.

---

[1]– فتيحة عبد النور: "الهجرة العلمية للجزائريين نحو تونس خلال الحقبة الاستعمارية "مجلة المعارف للبحوث والدارسات التاريخية، ع5، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، ص287.

[2]– أحمد بن جابو : "أوضاع الجالية الجزائرية بتونس ما بين (1830–1881)"، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج3، ع6، مخبر التاريخ و الحضارة و الجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا ببوزريعة ، الجزائر، 2012، ص288.

[3]– بشير مديني: الجالية الجزائرية في تونس، السوافة نموذجا (1876–1954)، اش إبراهيم مياسي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائري، 2006، ص ص75 –76.

وقد تلجأ بعض القبائل المهجرة لصعوبة العيش أو تهربا من ضرائب فادحة ففي سنة 1781 م دخلت بعض القبائل التونسية الجزائر واستوطنت مناطق قريبة من تبسة وطالب صالح باي السمط التونسية بتعويضها عن الخسائر التي قدرت ب 40000 سكة . وفي 1787 م فرت بعض قبائل شرق الجزائر من الضرائب كاد يؤدي ذلك الى حرب بين الايالتين .وعقب المنازعات تلجأ بعض القبائل والشخصيات

الى الهجرة مثل تنقل أولاد سعيد ودريد والوزير ابن فطيمة للجزائر عقب أزمة 1705 م . وعندما تعرضت الجزائر للغزو الفرنسي تكثفت الهجرة الى البلاد العربية مثل تونس وطرابلس والمغرب وحتى مصر والحجاز والشام حيث هاجرت الأسر الميسورة والنافذة في البداية ثم تنوعت بعد ذلك.

كما لعبت الأسباب التاريخية والسياسية الدور البارز في حركة هجرة العديد من سكان بايلك الشرق نحو تونس، فبرغم من توتر العلاقات بين السلطة الحاكمة في القطرين إلا أنه نجد باي تونس يستقبل الآلاف من الجزائريين الذين لجأوا إلى التراب التونسي بعد سقوط قسنطينة بل وضم إلى جيشه من كانوا في صف الحاج أحمد باي الذين هربوا بعد الاحتلال الفرنسي وسياساته المطبقة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن 19م ؛ أي تزامنا مع فترة مقاومة كل من أحمد باي والأمير عبد القادر، ولجأ العديد من المقاومين أيضا آمثال الشيخ الحسناوي بن بلقاسم الحناشي وثوار مقاومة الزعاطشة الذين استقروا بمنطقة توزر و نفزاوة، وخليفة الأمير عبد القادر ومحمد الصغير بن عبد الرحمان الشريف محمد بن عبد الله وثوار الزواغة و فرجيوة سنة 1846م[1] وكذلك هو الشأن بالنسبة لأفراد بعض العائلات والأسر الكبرى كعائلة

---

[1]– فارس العيد: طبيعة العلاقات...، المرجع السابق، ص338.

* عائلة المقراني حيث يعتبر من المؤرخين نسب هذه الأسرة شريف يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق فاطمة الزهراء. ينظر إلى: العياشي روابحي: الإدارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837–1871م، اش صالح فركوس، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2– عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2015، ص13.

** وتنتمي أسرة بوعكاز إلى قبيلة الدواودة الهلالية من فرع رياح وكان استقرارها الأول بالشرق الجزائري ينظر إلى جميلة معاشي: الأسر المحلية...، المرجع السابق، ص31.

المقراني*، بوعكاز**وأبناء عزوز وأبناء زقوطة وغيرهم الذين فضلوا الهجرة على الخضوع للسياسة الفرنسية المجحفة.[1]

تنوعت أماكن استقرار الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس فسكان عنابة استقروا بها منذ وقت مبكر يعود إلى أوائل القرن 19م وأصبحت لهم ملكيات كثيرة بتونس العاصمة وكذلك في مدينة بنزرت كما استقر سكان النمامشة بالعاصمة وضواحيها ومنوبة، أما سكان خنشلة فسكنوا باب الجديد و القسنطينون سكنوا المراغنة والمناطق القبلية في حين استقر سكن الزواوة مناطق سيدي علي عزوز وباب سعدون والقشلة حيث كان يسكن الطلبة والأهالي في ثكنة زواوة.[2]

ووفد العديد من التونسيين أيضا إلى بايلك الشرق من أجل الاستقرار وخدمة مصالحهم الخاصة على رأسها ممارسة التجارة والحرف، كما أن استقرارهم بقسنطينة لم يخضع دائما للرغبة الفردية فقد ارتبط أحيانا بالظروف وتغيرات في السلطة والتي أثرت على البنية الاجتماعية بفعل الهجرة أو التهجير المفروض من قبل حكام الإيالة.[3] وبفضل هذه الهجرات المتبادلة نلاحظ ذلك التواصل الاجتماعي والانصهار الذي واضحه ذلك التشابه في الكثير من العادات والتقاليد بين الطرفين كالتشابه في المأكل وأصناف الأطعمة كوجبة الكسكس، و نتيجة للاحتكاك بين أهل سوف والجريد التونسي امتلكوا أدوات الطبخ مثل القدر وأطعمة جديدة[4]. وكذا التشابه في الملبس من حيث المسميات أو المواد التي صنعت بها هذه الملابس؛ ففي الريف الجنوبي التونسي مثلا يلبس الأعيان البلوزة وفوقها القشابية وهي جبة من الصوف البني ويلبسون فوق الرأس الشاشية التي يعلوها الزناز وهو المتصل بالقشابية من جهة الظهر، أما النساء فكن يلبسن ملاءتين زرقاوين واحد من الأمام والثانية من الخلف بحيث لا تتخالطان إلا عند الكتفين بمشبكين من الفضة، ويلبس عليها حزام أحرم يربط

---

[1]– أحميد عميراوي: علاقات بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص54.

[2]– محمد بوطيبي: "الهجرة الجزائريين إلى البلاد التونسية خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر"، مجلة الراصد العلمي، مج7، ع2، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، سبتمبر 2020، ص15.

[3]– سهام بودبية: المرجع السابق، ص ص236 –237.

[4]– كوثر العايب: المرجع السابق، ص85.

بحلقة من نحاس ويغطين رؤوسهن بعمامة يضفن عليها لثاما يغطي الرأس والكتفين وكن يحلبن أدانهن بحلقان كبيرة من الفضة.[1]

وبهذا نلاحظ ذلك التشابه الكبير في الملابس خاصة الرجال في كل من الإيالتين الذين كانوا يرتدون القشابية، البرنوس، الشاشية والبلوزة، أما الملابس النساء فيوجد اختلاف من حيث نوعية ولون اللباس والحلي حسب المناطق والطبقات الاجتماعية.[2]

كما تشابهت الاحتفالات الدينية والمناسبات بين الإيالتين لدرجة كبيرة، فكانوا يحتفلون بعيدين يحرم فيهما الصيام والحرب وهما عيد الفطر وعيد الأضحى و يتكرر الاحتفال بهما سنويا، ويطلق على عيد الفطر بالبيرام حيث يتم الإعلان عنه رسميا بقرار من المفتي، وبعد الانتهاء من صلاة العيد تفتح أبواب القصر للعامة والخاصة وتستمر الاحتفالات بالعيد لمدة ثلاثة أيام على التوالي.[3]بالإضافة إلى تشابه في بعض الطقوس الاحتفالية المتعلقة بالزواج خاصة فيما تعلق بمراحله و طقوسه، والجدير بالذكر أن الابن الذي يريد الزواج يرسل بعض النسوة نيابة عنه لطلب البنت من أهلها ادى توفرت فيها الصفات التى يريدها ، وبعد ببول الطرفين تقام حفلة صغيرة يتم فيها تقديم الهدايا والحلي و الفواكه ... للعروس .اما بخصوص عقد القران فيتم في المساجد وغالب لا يرى العريس العروس إلى نهاية حفل الزفاف الذي يحضره كل الأقارب و الأهل والجيران وتقرع فيه طبول الفرح والبهجة إلى غاية وصول العروس إلى بيت زوجها.

وفضلا عن التشابه في هذه العادات وتقاليد نجد التشابه أيضا في لهجة سكان المناطق الحدودية حتى لا يكاد في بعض الاحيان التميز بينهم نظرا لتشابه الكبير[4].

ثانيا / العلاقات الاجتماعية الجزائرية المغربية :

---

[1]– حسن محمد جوهر: تونس، دار المعارف، مصر، 1961، ص85.

[2]– كوثر العايب: المرجع السابق، ص86.

[3]– حصام صورية: المرجع السابق، ص ص171 – 172.

[4] – كوثر العايب :حركة القبائل الجزائرية التونسية على المناطق الحدودية خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي، اش محمد السعيد عقيب ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، 2021، ص ص 214 – 215.

تعود الروابط الاجتماعية التي ربطت ما بين الجزائر والمغرب إلى عهود القديمة، حيث أن هذه الروابط ليست وليدة الفترة قيد الدراسة وإنما هي ضاربة في التاريخ المنطقة، فلم تتأثر يوما بالحياة السياسية أو غيرها.

1. الروابط العرقية والتركيبة السكانية المشتركة:

ان أصل السكان بلدان المغاربة واحد منذ القديم، وهم البربر وهم نوعين برنس الذي يطلق عليه البرانسو مادغيس بالأبتر وهم من نسل مازيغ بن كنعان يعني أصولهم بربرية كنعانية مشرقية، و يشكل الأمازيغ العنصر مشترك في كامل القطر المغرب العربي عامة والمغرب الأوسط و الأقصى خاصة[1] ،وكذلك بالنسبة الحال للعرب الذين جاؤ إلى شمال إفريقيا مع الفتوحات الاسلامية وتكاثر مع مرور الوقت، ومع ذلك فإن البربر والعرب كلهم انصهروا في بوتقة واحدة هي بوتقة الاسلام[2].

التركيبة السكانية المشتركة في كلا البلدين:

عرفت كل من الجزائر والمغرب خلال الفترة قيد الدراسة توافدو استقرار عناصر أجنبية والتي تمثلت في العنصر الأندلسي وكذا العنصر اليهودي بإضافة إلى العنصر العثماني والأوروبي وقد حاولت كل هذه العناصر أن تساهم بما تملكه من خبرات و تقنيات التي حملوها معهم في تطوير المجتمعين ومن خلال ما سلف ذكره سوف نحاول الوقوف عند كل عنصر من هذه العناصر محاولين ابراز تفاعلهم داخل المجتمع الجزائري والمغربي.

أ .**الجالية الأندلسية** :أندمج العنصر الأندلسي بين سكان المغرب المنطقتين وأخذ في تزايد مستمر خاصة بعد سقوط غرناطة 1492م[3]، وقد شجع البلدين هجرات هذا العنصر للاستفادة بحكم مهارات وخبراتهم في شتى المجالات الحياة الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية بالتالي كان لهم آثار على البلدين فمثلا على المستوى الاقتصاد نجد بأنهم قاموا بتطور الزراعة والصناعة إذ عملوا على إدخال أساليب ومنتوجات التي جلبوها معهم كتقنيات الري وغرس أشجار الزيتون والتوت والقطن وتربية دودة القز، كما ساهموا في حفر الآبار

---

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصا الأخبار دول المغرب الأقصى ، (د، ط) ، ج1 ، تح جعفر الناصري ، محمد الناصري دار البيضاء ، (دن م) ، 1997م ، ص ص120-121.

[2] حسن وزان : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 40-41.

[3] زهرة نظام : مرجع السابق : ص 384.

والقناطير أما الصناعة فكان لهم مناهج خاصة لدباغة الجلود وصناعة الحرير والصوف وغيرها[1]، كما جلبوا معهم تراثهم من فنون وآداب وعلوم، اضافة الى دورها في دفاع عن البلدين ومن خلال مشاركة في صفوف جيوش في كل من الدولتين[2]، وقد رأينا سابق كيف أثر في العلاقات السياسية بين البلدين عندما تأمروا في الأتراك للإطاحة بالسلطان أحمد المنصور،[3]على العموم فقد اندمجت الجالية الأندلسية في كل قطرين حيث نشطوا و تفاعلوا مع المجتمع و اتخذوه موطن جديد لهم.

ب . الجالية اليهودية: يعود تواجد العنصر اليهود بكل من الجزائر والمغرب الأقصى الى العهود القديمة من تاريخ المنطقتين، وقد ازدادت توافدهم عبر مختلف العهود الإسلامية، إلا أنه بعد سقوط غرناطة عام 1492م آخر معاقل المسلمين في الأندلس وبسب اضطهاد اسباني فقد سمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية داخل المنطقتين[4]، كما مستوطنون أغلب الأسر اليهودية المدن لممارستهم التجارة والحرف مما سمح لهم هذا بالسيطرة على الحياة الاقتصادية، كما أنه كانت لهم علاقات مع بعضهم في كل من القطرين[5].

العنصر العثماني: يعود توافدهم إلى منطقة منذ الحاق الجزائر بالدولة العثمانية ،وأزداد عددهم بعد استقرار الحكم العثماني فيها، حيث شكلت فئة الحاكمة داخل المجتمع الجزائري، أما عن تواجدهم في المغرب الأقصى فكان في عهد المرابطين حيث استخدم كجنود وسط صفوف الجيش بحكم مهاراتهم وقدراتهم ظلت هذه العناصر منخرط على مر التاريخ، وعندما تولى محمد الشيخ أدخل اصبحوا عنصر من صفوف جيشه وكانت لهم دور في العلاقات ويظهر ذلك جليا عند اتفاقهم مع حسن بن خير الدين لاغتيال محمد الشيخ متظاهرين أنهم

---

[1] محمد زروق : المرجع السابق ، ص 266–267 . و ينظر الى ناصر الدين سعيدوني دراسات أندلسية مظاهر التأثيرالإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر ، ط2 ، البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013م، 21–22.

[2] مار بن خروف : المرجع السابق ، ص 177.

[3] أبي فارس عبد العزيز القشتالي : المصر السابق ، ص 41.

[4] عائشة غطاس : الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830م ، إش مولاي بالخميسي ، شهادة دكتورة ، دولة في تاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ، 2000–2001، ص37. و ينظر الى عطا علي محمد شحاته ريه ، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرنيين و الوطاسيين ، ط1 ، دار الكلمة للطباعة و النشر و التوزيع ، برامكة ، 2013م ، ص 202 .

[5] محمد حجي : المرجع السابق ، ج1 ، ص 267–268. و ينظر الى بغداد خلوفي، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، المركز الجامعي نور البشير ، البيض ، 2016م ، ص ص 34–35.

فرين من تعسف الباشا الجزائري فأدخلهم الى القوة التركية المتواجد في المغرب[1]، غير أن السلاطين السعديين رفضوا الحكم العثماني ومعادتهم لهم لتدخلهم شؤون المغرب الأقصى. وعلى العموم فقد سهام العنصر العثماني في كل من القطرين واثروا في مختلف المجال الحياة حيث نجد انهم في الجزائر نقلوا بعض العادات والتقاليد الاجتماعية كما كانت لهم بصمات في الجوانب السياسية والعسكرية ونلتمس ذلك في تقسيم الإداري والسياسي وتحديث الجيش وغيرهم[2]، أما في المغرب فهو الآخر قد تأثر بهذه الفئة داخل المجتمع، فعند استقرار أحمد المنصور في الجزائر كلاجئ نقل معه ما شهده وعينه في تلك الفترة إلى المغرب كزي العسكري للعثمانيين وكذا نظامهم الإداري، كما اخذ عنهم العثمانيون عادات تمثلت في أكل والملابس والشرب ولألقاب بإضافة إلى نظم الإدارية وحكم وجيش فقد عمل أحمد المنصور على نقل التجربة العثمانية إلى بلده حيث عمل على تربية صغار الأوروبيين مثل ما كان عند السلطة العثمانية لتكوين جيش مماثل لجيش الانكشاري* في الجزائر[3].

العنصر الأوروبي: يعد من بين العناصر الدخيلة على مجتمعين وفي الواقع فقد كانوا متواجدين من قبل الا انه خلال هذه الفترة تزايد نفوذهم فمنهم قناصل أو تجار أو أسرى أو رحالة كما كان البعض منهم جواسيس، حيث استغل كل من القطرين الأسرى في مختلف الأعمال سواء في الجيش أو الغزو البحري او الترجمة حتى التدوين كما كانوا عبارة عن مادة تسويقية اذ يتم بيعهم لجني أموال طائلة من ورائه، أما التجار الذين عرفوا تزايد في

---

[1] عمار بن خروف ، مرجع السابق ، ج1 ، ص 105. وينظر الى ابراهيم حركات : السياسة و المجتمع في العصر السعدي (د ، ط) ، دار الرشاد الحديثة ،المغرب ، 1987م ، ص147. و ينظر الى محمود علي عامر ، محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص ص44-45.

[2] عمار بن خروف ، المرجع السابق ، ص 105.

[3] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص ص 277-278. و ينظر الى ابراهيم علي الحسن : المرجع السابق ، ص 143.

المدن الجزائرية والمغربية نتيجة ازدهار النشاط الاقتصادي[1]، وكذلك كان لهم دور في تحريك العلاقة بين القطرين، حيث نلاحظ تأثيراتهم الثقافية في مدن البلدين[2].

2. الهجرة و الاستقرار بين منطقتين :

تعتبر الهجرة بين الجزائر والمغرب الأقصى من بين الروابط التي ساهمت في تمتين العلاقات الاجتماعية، إذ أن التغيرات التي طرأت في البلدين دفعت العديد من السكان انتقال، ما بين القطرين، فكانت هناك نوعين من الهجرة القسرية والطوعية وهو ما سنتطرق إليه.

- الهجرة القسرية: تتمثل في هجرة السكان من كلا البلدين نتيجة الاضطرابات والفتن سياسية داخل المنطقتين مما جعلتهم لا يشعرونا بالرحة[3]

هجرة المغربيين: كان هذا نوع من الهجرة قائمة قبل عهد أحمد المنصور إلا انه في عهد هذا الأخير كانت محدودة ونجد من بينها فرار ابن أخية الناصر إلى الجزائر الذي إعلان تمرد على عمه أحمد المنصور فكلف ابنه بالقضاء على ثورة الناصر[4].

هجرة الجزائريين: لقد هاجر عدد من العلماء صوب المغرب، بعد فشل الحملة السعدية على تلمسان معرضين لحكم العثماني ومن بينهم كما أسلفنا سابق ذكر هجرة محمد بن محمد التلمساني ومحمد الحاج بن أحمد المري التلمساني وغيرهم[5].

كما نجد هجرت بعض القبائل الغرب مثل الشراقة[6]التي كانت تستقر بقرب من تلمسان الى المغرب هروبا من سلطة التي ارهقتهم بالضرائب وهذا ما جعلهم يستوطنون المغرب

---

[1]عبد الجليل رحموني : المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520–1830م) ، ا ش عبد القادر صحراوي ، شهادة ماجيستر ، تخصص التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بالعباس ، 2015م ، ص 116. و ينظر الى عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص ص 280–281. و ينظر الى أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 1519–1830م ، المرجع السابق ، ص ص138،– 142.

[2] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 178.

[3] مسعود بقاي : هجرة علماء تلمسان الى فاس و دورهم الثقافي بين الجزائر و المغرب خلال قرن 10ه / 16م ، المرجع السابق ، ص195.

[4] ابراهيم علي الحسن ، المرجع السابق ، ص 91.

[5] ابراهيم حركات ، صلات الفكرية بين تلمسان و المغرب ، مجلة الأصالة ، ع 26–27 ، 1975 ، الرباط ، ص 189.

[6]كاملية دغموش : قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني و السلطة العثمانية (1509– 1792م) ، اش محمد دادة ، شهادة ماجستير ، تخصص تاريخ الحديث ، جامعة وهران ، 2014م ، ص124.

ويدخلون في خدمة الدولة السعدية[1]، اضافة الى ذلك هجرة قبائل العرب بنو عامر من البربر هوارة وبنو سنوس التي استطاعة بفضل سلطتها الروحية استمالتهم الى المغرب[2].

ونجد كذلك قبائل مديونة التي ارتحلت للعيش في المغرب وسكنت بين وهران وتلمسان بعد رفضها للحكم العثماني في بلاد واتصالها بمحمد الشيخ السعدي للاستلاء على المنطقة تلمسان فررت نحو المغرب الأقصى خوفا من السلطة العثمانية[3]،كما نجد دخول فرقة الزواوة*وأتراك في خدمة عبد الملك خلال سنة 1576م الذين تركهم رمضان آغا في المغرب عند تنصيب عبد الملك، إلى جانب هذه الهجرة القسرية هناك هجرة طوعية بين المنطقتين.

- الهجرة الطوعية: وهي التي تكون بدافع الفرد أو الجماعات وعادة ما تكون مؤقتة تنتهي بانتهاء أسبابها ومن أبرزها الاستكمال الدراسة أو العمل وغيرها ومن أهم الهجرات:

هجرت فئة من العلماء والمثقفين بين البلدين لأجل استكمال الدراسة لتوسيع ثقافته ومعارفهم من هؤلاء نذكر:

–سعيد احمد الفاسي ومحمد بن مزياني تواتي أحمد المقري ومحمد المقري التلمساني وغيرهم من العلماء[4].

أما بالنسبة للعلماء الذين ارتحلوا للعمل نجد من المغرب أحمد الفاسي وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي أما من الجزائر نجد ابن الوقار[5].

3. المصاهرات و العادات و التقاليد المشتركة بين الإقليمين :

- المصاهرات :

لقد ساهمت هجرة العلماء في كل من قطرين الى استقرار هذه الفئة واندماجها عن طريق المصاهرات وخاصة خلال فترة قيد الدراسة، وقد وجدنا حسب ما توفر لنا من مصادر ومعطيات تاريخية بأنه كانت هناك فقط نوعين من المصاهرات كزوج السياسي الباشا

---

[1] هوارية بكاي : المرجع السابق ، ص 604.

[2] كاملية دغموش : المرجع السابق ، ص 124.

[3] عمار بن خروف : المرجع السابق : ص 113.

[4] صالح أبو سالم ، المرجع السابق ، ص 39–40. وينظر الى سعود بقاي : المرجع السابق ، ص ص 193– 197.

[5] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص ص 115 ، 123.

جزائري حسن فنزيانو من أرملة عبد الملك من أجل الحصول على تبعية من المغرب،[1] أما المصاهرات البعيد عن أطماع السياسية كأسرى الزياتي التي رحلت ومستوطنة مدينة تطوان أنجبت الكثير من العلماء منهم الحسن بن يوسف الزياتي وأحمد من يوسف الزياتي[2].

- العادات و التقاليد المشتركة :

إن العادات والتقاليد ما بين البلدين لم تكن وليدة فترة قيد الدراسة انما تعود والى عهود سابقة بحكم وجود قواسم مشترك ما بين شعبين كالتشابه في العادات والتقاليد، غير أنه من صعب الإلمام بجميعها نظرا لقلة وندرة المادة التاريخية، من بين هذه العادات التي رصدتها لنا المصادر التاريخية نذكر:

التربية و نشأة الأطفال :

من بين المظاهر الاجتماعية الأخرى التي يشترك فيها إيالة الجزائر والمغرب السعدي هي تربية و نشأة الأطفال حيث يدفع أبائه بأبنائهم إلى الكتاتيب، قصد التعليم الأولي لهم ومتمثل في قرأة وكتابة، إذ يكتبونا على ألواح كبير من الآيات قرآنية من أجل حفضها، ويشرف على تعليم الأطفال معلم أو مأدبة حيث يعلمهم الى جانب القرآن بعض القواعد وكذا كتابة بإضافة إلى مبادئ الدين الإسلامي، اذ ختم الطفل قرآن كاملا يقوم الأب بوضع وليمة كبيرة يدعو فيهم جميع الأطفال والأصدقاء.انطلاقا مما سلف ذكره نستنتج أن كل من المجتمع كانت تربية ونشأة الأطفال تقوم على منهج اسلامي محضي حيث يتلقى الطفل منذ نعومة اظفره تعلم القرآن والسنة النبوية[3]

-الزواج: يعتبر النواة الأول لتكوين الأسرة، ويكتسي أهمية بالغة في مجتمعات الإسلامية، فقد كان هناك تشابه بين البلدين في طريقة الخطبة والزواج ، فبعد اعلان الولد ابيه و هو بدوره يبلغ والد البنت، اذ تمت الموافق يتفق في صداق* الذي يدفعه العريس فيما بعد[4] ،

---

[1] جلول بن قومال : المرجع السابق ، ص 94.

[2] صالح بن سالم : المرجع السابق ، ص 108.

[3] حسن الوزان : مصدر السابق ، ص ص 261-262. و ينظر الى عمار عمورة : المرجع السابق ، ص ص 139-140.

[4]عمر بالبشير : جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية في المغربيين الأوسط و الأقصى من القرن 6 الى 9 هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي ، اش غازي مهدي جاسم ، شهادة دكتوره ، تخصص تاريخ الإسلامي ، جامعة وهران ، 2010م ، ص ص 85-86.

ثم يأتي عقد القرآن والذي يتم في احدى الجوامع أو المساجد على يد قاضي ومن ثم يتفق على موعد الزواج ثم يأتي الاحتفال يوم الزفاف العروسة الى بيت زوجها فتقام ولائم للرجال ونساء وأغني متنوعة وتعلو الزغاريت النساء[1].

عادات المتعلق بأطعمة لقد وجد تشابه في وجبة الاكل ما بين الشعبين كطبق الكسكس والذي يعتبر الطبق الرئيسي ويتم تحضيره انطلاقا من القمح ويفتل حبات صغيرة عادة ثم يضع في كسكاس ويطهو بالبخار ويقدم في صحن ويسقي بالمرقة ويخلو من اللحم عند الأغنياء[2] أما الفقراء بعد نضجه يدهن بالسمن أو الزبدة[3]

الاحتفالات الدينية : تميز الاحتفالات الدينية بمكانة خاصة لدي شعبين وللإشارة فقد كانت هذه الاحتفالات موجودة منذ نشأة وليس مرتبطة بالفترة القيد الدراسة ومن بين تلك الاحتفالات نجد.

الاحتفال بمولد النبوي الشريف: حيث يعتبر من أهم الأعياد التي يحتفل بها كلا المنطقتين في يوم الثاني عشر من ربيع الأول بحكم مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه المناسبة يحتفلون السكان بإقامة العديد من الطقوس فيستعملون الطبالين والعياطين وذبح وكانت المنازل والكتاتيب القرآنية تزين وتضاء بالشموع المزخرفة كدليل على إحياء تلك الليلة هذه العادة التي نقلها أحمد المنصور عن العثمانيين[4].

ومن بين الاحتفالات نجد كذلك كعيد الفطر أو عيد الأضحى ولأداء الحج فمثلا في شهر رمضان حيث أننا نجد تشابه كبير بينهما فمثلا في كلا المنطقتين يحتفلون بشهر رمضان

---

[1] بلبروات بن عتو : نظرة استشراقية لعادات و التقاليد مجتمع الجزائري العثماني –مدينة الجزائر نموذجا– ، الحوار المتوسطي ، ع 2 ، 2010، جامعة سيدي بالعباس ، ص 88–89. وينظر الى حسن الوزان : المصدر السابق ، ص

[2] بلبروات بن عتو : المرجع السابق ،ص 82. وينظر الى الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 253.

[3] محمد بوشنافي : النظام الغذائي في الجزائر خلال عهد العثماني 1520–1830م، مجلة الدراسات الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية ، ع11 ، 2010 ، جامعة سيدي بلعباس ، ص 69 .و ينظر الى حين الوزان : المصدر السابق ، ص253.

[4] اسماعيل توتة : مداخلة الممارسة الدينية في الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الأجنبية ، جامعة جيلالي يابس ، سيدي بالعباس، 2018م ، ص 7 .و ينظر الى حميد آيت حبوش : المرجع السابق ، ص ص 278–279.

بقدومه إذ ثبتت الرؤية الهلال كما التزم كل من الشعبين بختم صحيح البخاري في يوم السابع و العشرين من شهر رمضان[1].

المقاهي: كثر ظهور المقاهي على طريقة العثمانيين بمدينة الجزائر والمغرب وهي عبارة عن مكان لشرب القهوة[2].

.....

المحاضرة الخامسة

العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية

أولا / التواصل الثقافي بين الجزائر و تونس:

لقد تنوعت أسباب ودوافع التبادل الثقافي بين علماء وطلبة إيالة الجزائر وتونس، والتي ايجازها في النقاط التالية:

* طلب العلم:

تميز علماء و مثقفو الجزائر والمغاربة بكثرة تنقلاتهم لإثراء المعارف العلمية وتنويع مصادرها، لذلك كانوا يتنقلون في أرجاء الدول العربية والإسلامية مشرقا ومغربا، ويلازمون خيرة شيوخها ومشاهير علمائها في المراكز الثقافية.[3]

* أداء فريضة الحج:

فأداء فريضة الحج يعد رحلة دينية امتثال لما جاء في قوله تعالى{وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميقا}[4].

وكذلك كان الحج عبارة عن وسيلة لاحتكاك العلماء والطلبة من مختلف البقاع مع بعضهم البعض، فيحدث هناك تبادل ثقافي وعلمي فيما بينهم. والجدير بالذكر أيضا أنهم كانوا

---

[1] عبد الكريم كريم : المرجع السابق ، ص ص296، 316. وينظر الى بلبروات بن عتو : المرجع السابق ، ص ص 86-87. وينظر الى اسماعيل توتة : المرجع السابق ، ص 54 .

[2]بلبروات بن عتو : المرجع السابق ، ص89. و ينظر الى ابراهيم حركات : السياسة و المجتمع في العصر السعدي ، المرجع السابق، ص 148.

[3]- أزرقي شويتام : "العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)"، مجلة الدراسات التاريخية، ع13، الجزائر، 2011، ص82.

[4]- سورة الحج، الآية 27.

يتوقفون بالعواصم العربية لأخذ العلم وتسجيل ملاحظاتهم والمسالك والمحطات التي مروا بها وأهم العلماء الذين التقوا بهم والأماكن التي زاروها في مؤلفات تعرف بالرحلات الحجازية.

* الهجرة الإجبارية:

حيث اضطر بعض العلماء والمثقفين المغاربة إلى ترك بلدانهم ليستقروا في أحدى الدول العربية أو الإسلامية، بسبب تعرضهم للمضايقات والاضطهاد بالإضافة إلى معارضتهم للنظم السائدة في بلدانهم.[1]

* أسباب تجارية وعائلية:

حيث كان رجال العلم من التجار الجزائريين يستغلون فرصة تواجدهم بالإيالة التونسية لزيارة مختلف المؤسسات العلمية والدينية بها ويتواصلون مع علمائها، ويستغلون أيضا الزيارات العائلية في ذلك والتقرب من العلماء.[2]

2- المراكز العلمية التي استقطبت علماء الايالتين:

لقد وجدت في كل من بايلك الشرق وإيالة تونس مجموعة من المراكز العلمية التي لعبت دور كبير في جذب العلماء والطلبة من مختلف النواحي فمن حواضر بايلك الشرق نذكر:

* مدينة قسنطينة: من اهم الحواضر الثقافية بالشرق الجزائري منذ عهد الحفصين حتى نهاية العهد العثماني وسقوطها في أيدي الفرنسيين، فأصبحت مقصد الكثير من الطلبة والعلماء من الجزائر وأقطار المغرب الإسلامي وتخرج عدد كبير من العلماء على يد كبار مدرسيها[3]. ويرجع فضل ذاع صيتها إلى تلك المراكز والمدارس العلمية والمساجد التي وجدت بها كمدرسة جامع سوق الغزل، جامع سيدي الأخضر وجامع سيدي الكتاني[4]، بالإضافة إلى مدرسة سيدي الكتاني، مدرسة يومية ومدرسة سيدي حيلوف[5]. إلى جانب ما قدموه العلماء الذين عاصروا فترة أواخر العهد العثماني تزامنا مع فترة أحمد باي الذي كان ميالا إلى العلم

---

[1]- ازرقي شويتام : العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربة (الفترة العثمانية)، المرجع السابق، ص83.

[2]- فوزية لزغم: "العلماء الجزائريون خلال عهد الدايات (1671-1830م) ودورهم في مد جسور التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس"، مجلة الخلدونية، مج 12، ع2، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، 2020، ص96.

[3]- فوزية لزغم: الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830، (د، ن)، (د.م)، (د.ت)، ص ص98- 109.

[4]- محمد حلوان:العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750-1830، المرجع السابق، ص ص209- 210 .

[5]- الطاهر بونابي : "ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني"، مجلة عصور الجديدة، ع18، جامعة وهران 1، أوت 2015، ص126.

والثقافة، حيث دفع هؤلاء عجلة الثقافة إلى الأمام وجعلوا قسنطينة مركز إشعاع وحاضرة علم ومعرفة على سبيل المثال لا الحصر محمد بن عبد الكريم الفكون، محمد الميلي الذي اشتهر بالتحقيق وأحمد بن المبارك بن العطار مؤرخ قسنطينة ...[1].

* مدينة عنابة (بونة): يعود الدور الكبير في بروز هذه المدينة كحاضرة علمية إلى أسرة البوني وبالخصوص إلى شيخها أحمد بن قاسم ابن محمد البوني، حيث كان يأتيه طلاب العلم من مختلف الجهات ومن أهم مراكز التعليم بالمدينة الجامع الأعظم المعروف باسم جامع أبي مروان الشريف وزاوية أولاد النوري البونية وهي أسرة عريقة جمعت بين السلم والصلاح وأنجبت الكثير من العلماء.[2]

* واد سوف: واشتهرت من الناحية العلمية والثقافية لكونها إحدى الحواضر التي تخرج منها طلبة وعلماء أجلاء أمثال خليفة حسن القماري[3]، الذي ولد بهذه الحاضرة وعاش حياته العلمية متنقلا بين مسقط رأسه وبسكرة وسيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي.[4]

أما عن الحواضر الثقافية في تونس فقد كانت معظمها مقصد العلماء الجزائريين إلا أن البعض منها كان أكثر استقطابا وعليه سنركز حديثنا عن هذه الحواضر وهي:

* مدينة تونس: وتعتبر أهم مقصد خاصة وأنها عاصمة الإيالة ويوجد على أرضها جامع الزيتونة[5]، أهم مؤسسة إسلامية عمت سمعتها المشرق والمغرب[6]، حتى قال عنه الورثيلاني "فإن الجامع المذكور – الزيتونة– قد انتشرت عليه الأنوار، وانبسطت عليه الأضواء والمعارف والعلوم والأذكار ... وفوائده وعوائده محققة مدققة..."[7]. والكثير من المدارس التي

---

[1]– بوعزة بوضرساية : الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830–1848، المرجع السابق، ص112.

[2]– فوزية لزغم: الإجازات العلمية لعلماء..، المرجع السابق، ص ص119 –120.

[3]– الطبيب يوسفي: العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التيجانية إلى أعيان الجنوب التونسي أنموذجا، اش مكحلي محمد ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي لياس، سيدي بلعباس، 2020، ص57.

[4]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830، ج2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ، 1998، ص77.

[5]– صالح بوسليم، عائشة محمة:" من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني (1519–1830م) هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع19، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، الجزائر ، 2018، ص59.

[6]– محمد بن خوجة: المرجع السابق، ص283.

[7]– الحسن بن محمد الورثيلاني: المصدر السابق، ص661.

استقطبت العديد من طلاب العلم الجزائريين من تبسة، عين البيضاء وقسنطينة وغيرها من المدن الشرقية.[1]

* مدينة القيروان: وتعد ثاني الحواضر التونسية التي جذبت الكثير من طالبي العلم الجزائريين في العهد العثماني لما تحويه من مراكز ثقافية أشهرها الجامع الأعظم.

* جزيزة جربة: وكانت هذه المدينة وجهة للعلماء المزابين وبكثرة أمثال أبو العباس أحمد بن رمضان المليكي الذي تتلمذ على يد أحمد شيوخها أبي عبد الله محمد ابن يوسفي المصعبي المليكي.[2]

كما اهتم وشجع بايات تونس الحسينيين بالثقافة والتعليم فشيدوا تبعا لذلك المدارس والمساجد والزوايا خاصة وأنهم كانوا من النخب المثقفة ومن رجال العلم والأدب لذلك حرصوا على نشر العلم والاعتناء بالعلماء.[3]

العلماء الجزائريون في تونس:

من العلماء الذين قصدوا إيالة تونس تجد محمد بن الشريف الجزائري ت 1738 م كان عالما ملما بالعموم رحل الى المشرق ومر بتونس ، العالم المالكي أحمد بن عثمان التلمساني أصله من الأندلس نشأ في تلمسان ، توقف في تونس وجالس علماءها ثم ذهب الى الحج وفي طريق عودته أدركته المنية في مصر 1738 م ، القاضي الفقيه محمد بن عبد الرحمن التلمساني قام برحمتين الى المشرق خلال القرن 18 م وتوقف بتونس ، الفقيه المالكي الرماصي قصد جامع الزيتونة ونال شهرة لقب بحامل راية الفقه المالكي توفي في 1724 م ، ومحمد العنابي الذي مكث في تونس ودرس علم الحديث كما أجاز العديد من علماء تونس ، وكذلك العالم الجليل أحمد البوني توفي في 1726 م كان من علماء

الحديث ذهب الى تونس طلبا للعلم ، أيضا عبد العزيز الثميني(1718-1808) من واد ميزاب قصد جزيرة جربة واتصل بالعالم الاباضي يحي بن صالح وأخذ عنو العمم وكان عونا لإصلاح أحوال الناس ، العالم الاباضي ابن عبدون(1745-1808) الذي برع في التفسير والتاريخ قصد المشرق ومر بتونس ، وخليفة بن حسن القماري زار تونس وكان فقيها مالكيا

---

[1]- فتيحة عبد النور: المرجع السابق، ص289.

[2]- صالح بوسليم، عائشة محمة: المرجع السابق، ص ص66 -69.

[3]- فوزية لزغم: بايات الأسرة الحسينية بتونس...، المرجع السابق، ص211.

ذو صيت ، والعلامة الفكون الذي كانت له مراسلات مع علماء تونس ، محمد الحفصي القسنطيني وكان من علماء الحديث مكث مدة في تونس وأخذ عن علماءها مثل الشيخ الكواشي التونسي ورجع الى موطنه وتولى القضاء توفي في1811 م ، محمد بن عبد الرحمن(1711-1794) مؤسس الطريقة الرحمانية زار تونس والتقى بالشيخ علي بن عيسى صاحب زاوية الكاف وكان سببا في انتشار الرحمانية في تونس.

و نتيجة لهذا التفوق الذي عرفته الإيالة التونسية من الناحية الثقافية والعلمية خلال هذه الفترة أقبل على زيارتها العديد من علماء وطالبي العلم من بايلك الشرق لأخذ العلم على يد شيوخها، آمثال محمد الصالح الرحموني (1739-1826م) الذي تعلم في تونس ثم عاد إلى بلاد القبائل واشتغل بالتدريس، والطولقي الحسن بن علي بن عمر (1830-1891) من أهل طولقة انتقل إلى تونس واستقر بها إلى غاية وفاته.[1]

وأبو العباس أحمد بن سعيد العباسي (ت1835م) الذي نشأ وتعلم بقسنطينة ثم سافر إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة[2]، مصطفى بن الشاوش القسنطيني (ت1836م) وكان أديب نحو وفقه من أهل قسنطينة تعلم بها ثم رحل إلى تونس لطلب العلم وبعدها عاد وتصدر التدريس والخطابة[3]. بالإضافة إلى الشيخ الحاج أحمد بن المبارك العطار والذي كان يتردد على تونس للتجارة وأثناء تواجده هناك تلقى بعض الدروس بجامع الزيتونة وبعد عودته من الحج استقر بقسنطينة وأخذ يمتهن التدريس بالجامع الكبير.[4]

العلماء التونسيون في الجزائر:

من العلماء الذين جاءوا لطلب العمم والتدريس وحصلوا على مناصب ومكانة تجد أبوحفص بن محمد الذي تولى قضاء العسكر في عهد الداي محمد بكداش ، و أيضا العالم محمد زيتونة التونسي لقب بمستجمع العلوم والمعارف (1671م -1726 م) بطلب من الداي بكداش وتولى منصب القضاء الحنفي في فترة الداي شعبان خوجة ، من العلماء أحمد بن

---

[1]- عمار هلال :" العلماء الجزائريون في تونس فيما بين القرنين الرابع والرابع العاشر للهجرة و العشرين للميلاد"، دراسات تاريخية، مج 8، ع1، 2000، ص ص63 -65.

[2]- الطيب يوسفي : المرجع السابق، ص151.

[3]- عادل نويهض: معجم اعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980، ص265.

[4]- مجموعة من الباحثين: مقاربات في تاريخ الجزائر العثماني، تنسيق و إش محمد أوجرنتي، منشورات ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، 2022، ص131.

مصطفى برناز التونسي (1664 م – 1726 م) يعد أكبر فقياء المذهب الحنفي درس بجامع الزيتونة قصد الجزائر زار عنابة وقسنطينة ومنطقة القبائل وجالس علماءها ، إضافة الى العالمين محمد الشافعي الباجي وأحمد الأصرم القيرواني كان لهما دور في نشر العلم في الجزائر.

ومن أشهر علماء تونس الذين وفدوا إلى الجزائر خلال القرن 13ه/19م العالم ابراهيم الرياحي الذي حظي باستقبال مميز وضخم من أهل سوف وتماسين وأيضا محمد بيرم الخامس التونسي الذي زار الجزائر في رحلته التي تزامنت مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر.[1]

الاجازات المتبادلة بين علماء الايالتين : تجسدت المبادلات العلمية بين علماء الايالتين أيضا فيما يدعى بالاجازات والإجازة تمثلت آنذاك في شهادة الكفاءة والتأهيل يلقب بها المجاز ؛ بالشيخ أو الأستاذ ، والجدير بالذكر أن عدد علماء الجزائر الذين زاروا تونس يفوق عدد علماء تونس الذين قدموا الى الجزائر ويعود هذا لوجود كوكبة من العلماء في جامعة الزيتونة تشد لهم الرحال ، ومن الأمثلة تجد

اجازة العالم الجزائري ابن عمار للشيخ ابراهيم السيالة ، كما أجاز ابن العنابي محمد بيرم التونسي ، وأجاز الشيخ التونسي حسين الشريف لأحمد بن السعيد العباسي أبو العباس القسنطيني توفي 1826 م، وتجد أبضا الأديب والنحوي محمد الصالح بن سليمان بن أبي القاسم الطالب الرحموني (1739م –1826م)الذي أخذ علما ومعرفة عن علماء تونس .

الطرق الصوفية:

تعد الطرق الصوفية شكل من أشكال وأساليب التواصل الثقافي بين الإيالة التونسية وبايلك الشرق خلال العهد العثماني إذ لعبت أدوار هامة في تقارب والتلاحم القائم بين الشعبين فنجد طرق ظهرت في الجزائر وانتقلت إلى تونس ونذكر منها:

– الطريقة الرحمانية: هي فرع من فروع الطريقة الأم الخلواتية وتنسب في الجزائر إلى مؤسسها محمد عبد الرحمان القشتولي الجزائري. انتشرت هذه الطريقة في تونس بداية أواخر القرن 18م، حيث عين الشيخ عبد الرحمان تونس وبعد وفاته سنة 1776م عين مكانه أحمد

[1]– الطيب يوسفي، المرجع السابق، ص ص 159 –160.

بن علي بوحجر الذي نجح في بث أصول الطريقة في أوساط تونس بتأسيسه زاوية في الكاف سنة 1785/1784م.[1]

– الطريقة التيجانية: وتنسب إلى مؤسسها سيدي الشيخ أحمد بن محمد بن سالم المختار التيجاني الشريفي الحسني أصيل بلدة عين ماضي، ووصل إشعاع هذه الطريقة إلى تونس بعدما التجأ أحمد التيجاني إلى فارس وهناك التقى ببعض التونسيين أمثال ابراهيم الرياحي (ت 1850)، الذي تأثر كثيرا بالشيخ أحمد التيجاني وطريقته، وساهم في دخول هذه الطريقة إلى تونس بعد اعتناقه الطريقة التيجانية سنة 1801م وكانت زاويته التي تحمل اسمه أول زاوية للطريقة بالبلاد التونسية، وبلغ عدد أتباع هذه الطريقة في القطر التونسي حوالي 16.094 مريدا ينتسبون إلى 24 زاوية على غرار زاوية الكاف.[2]

أما فيما يتعلق بالطرق التي وفدت إلى الجزائر (بايلك الشرق) عن طريق تونس فتكتفي بالذكر الطريقة الشابية: وتنسب هذه الطريقة إلى أحمد بن مخلوف الشابي نسبة إلى بلدية الشابة بالساحل التونسي، التي ولد وترعرع بها فلقب نفسه بالشابي[3]، ويعتبر من أنصار الشيخ ناصر الدرعي مؤسس الطريقة الناصرية هذا ما جعل كل من ديبون وكوبولاني يعتبران أن الطريقة الشابية فرع من فروع الطريقة الناصرية إلا أنه من المرجح أصلها يرجع إلى الطريقة الشاذلية شأنها شأن الكثير من الطرق، ولقد اصطمدت بمعارضة شديد من طرق الأتراك ما أدى إلى تشتتها، وعاد ظهورها من جديد في منطقة الجريد تحت مسمى "بيت الشريعة"[4]. الذي أسسها محمد المسعودي الشابي بالصحراء الجزائرية التونسية، فتوجه إلى سوف لانتشال أهلها من الضلال، وكذلك كان له دور كبير في مدينة الوادي التي أقام فيها مسجدين الأول في الوادي والثاني بقمار. كما لجأ هذا الأخير إلى خنشلة وبالتحديد إلى جبل ششار وأقام فيها زاوية وامتدت نفوذه إلى كل من القالة، سوق هراس وتبسة، وعمل على

---

[1]– كوثر العايب : العلاقات الجزائرية التونسية ...، المرجع السابق، ص107.

[2]– حمزة بو قادوم :"الحضور الصوفي الجزائري بمدينة الكاف خلال القرن 19م"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج5، ع2 ، الجزائر، 2021، ص601.

[3]– عبد القادر ولد أحمد: "مساهمة التواصل الصوفي في انتشار الطرقية بين الجزائر وتونس الطريقة الشابية نموذجا"، مجلة مالك بن نبي للبحوث والدراسات، مج2، ع2، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020، ص43.

[4]– التليلي العجيلي : الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881–1939)، منشورات كلية الآداب، منوبة، 1992، ص ص48 –49.

توطيد علاقته مع أكبر الأسرى المؤثرة في العلاقات بين الطرفين كتحالفه مع قبيلة الحنانشة.[1]

بالإضافة إلى الطريقة الرحمانية و التيجانية و الشابية نجد ايضا كل من القادرية و الطيبة و الزيانية منتشرة في عين البيضاء ، طولقة ، نفطة ، الكاف ، تماسين و جرجرة وغيرها ، وكانت زواياها في كل الأنحاء لخدمة العامة من تعليم و إطعام وغيرها[2] .

ولابد لنا من أن نشير إلى هجرة شيوخ الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر بسب سياسة بعض البايات التونسيون اتجاه هؤلاء الشيوخ ، ولعل الشيخ سيدي على النفطي يمثل أهم نموذج لهذا السياق ،و الذي هاجر إلى الجزائر وتوفي بالأوراس في قرية غوفي [3]، وكان اتباعه يأتون من الجنوب التونسي إلى هذه القرية للممارسة طقوسهم الدينية ويزورونا قبره إلى غاية الثلاثينيات من القرن العشرين ،و بهذا كانت الطرق الدينية و مقامات الأولياء والطرق الصوفية عامل من أهم العوامل التي وطدت أوصار التواصل الترابط بين الشعبين[4].

ثانيا / التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى :

شكل العلماء المغاربة منذ عهود الإسلامية مكانة مرموقة، احترام كبير في المشرق والمغرب، قد كان الإنتاج العلمي في بلاد المغرب ثريا و متنوعا مما ساهم انتقال العلماء المغاربة بين القطريين وتبادل المعارف وانعكس ذلك على الحياة الفكرية والثقافية سواء في الجزائر او المغرب و اعمار المراكز الثقافية وتنشيطها ، وهو ما نميزه في حركة العلماء بين البلدية و تبادل الرسائل و الاجازات .

حركة انتقال العلماء بين البلدين :

---

[1]– كوثر العايب: العلاقات الجزائرية التونسية ... ، المرجع السابق، ص ص111– 112.

_[2]احميدة عميراوي : علاقات بايلك الشرق بتونس أواخر العهد العثماني ...، المرجع السابق ، ص30.

_[3]عبد المنعم هامل : مواقف القبائل الحدودية ...، المرجع السابق، ص76.

[4]_ جمعة بن زروال:" هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر و نشاطهم السياسي و الديني الشيخ سيدي على نفطي و الحاج محمد لخضر السهلي أنموذجا"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مج1، ع2، جامعة باتنة ، الجزائر ،2010، ص74.

– ابو قاسم بن عبد الجبار الفجيجي (ت 1011هـ/1603م) : يعد من أشهر علماء فجيج تعلم في البداية على يد والده ثم على علماء مراكش وفاس كما رحل إلى تلمسان الاستكمال دراسته[1] التقى خلالها بكبار العلماء اخذ عنهم و اخذو عنه و تبادل اجازات[2].

– سعد بن مسعود الماغوسي(1016هـ/ 1607م):أديب لغوي تلقى تعليمه في المغرب والمشرق على العلماء كبار وأجازه عدد منهم، له تأليف عدة لغوية و أدبية منحها لأحمد المنصور منها فهرس ذكر فيه أشياخه مغاربة والمشارقة وشرح مقصورة المكودي [3].

– محمد السوسي الفاسي: قدم من فاس واستقر بمدينة قسنطينة [4]ثم ارتحل إلى الجزائر من اجل التعلم على علماء البلاد استقر بها إلى غاية وفاته (1023هـ/ 1614م) [5]وقد تولى وظيفة التدريس بها الا انه كان يريد منصب الفتوى من اجل ذلك راح يمدحه الباشا وقيل فيه شعرا [6].

– عبد الواحد بن محمد اللمطي الميموني المكناسي: قدم إلى الجزائر واستقر بها إلى أن توفي في سنة (988هـ/ 1580م)،كان فقيها نحويا ولكن لم يذكر سبب قدومه الى الجزائر[7].

– احمد الفاسي: قدم من فاس إلى الجزائر ثم ارتحل إلى مدينة قسنطينة لتعلم ،اصبح مدرسا، كما تقرب من البايات وقواد و الشيوخ وكان كاتب لبعض امراء بني عباس* لذلك انتقده عبد الكريم الفكون بانه يبحث عن الشهرة و المناصب اكثر من تحصيل العلمي[8].

– ابي عبد الله محمد بن مزيان التواتي: أصله من المغرب انتقل الى قسنطينة وتولى التدريس ذاع صيته تخرج على يده الكثير من العلماء ارتحل لزوادة ليتزود من علمائها الا

---

[1] هوارية بكاي : المرجع السابق، ص 607 .

[2] زهرة النظام : المرجع السابق ، ص 410 .

[3] محمد حجي : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين : دار مطبعة فضالة ، 1978 ، ص 398 .

[4] سعد الله ابو قاسم : تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830م) ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1998م ، ص 442.

[5] صالح بن سالم : التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب (1549 –1664م) ، اش اسماعيل سمعي ، شهادة ماجستير ،تخصص العلاقات و الاقتصادية الثقافية بين الجزائر العثمانية و دول المغرب الكبير ،جامعة الامير عبد قادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة ، ص 39 .

[6] سعد الله ابو قاسم : المرجع السابق ، ص 442 .

[7] ابن قاضي : المرجع السابق، ص 96 .

[8] صالح ابو سالم : المرجع السابق ، ص40.

ان اهل قسنطينة منعوه مفضلين بقائه الا انه بعدها انتقل الى تونس بسبب مضايقة الاتراك له وذلك الان افكاره معارضة للأتراك وتوفي هناك 1621م [1].

– احمد بن ابراهيم الراسي البطوني(ت1039هـ/ 1630م): من علماء المنطقة البطوية تعلم في بداية في بلده ثم في تازة و تلمسان و استقر هناك عدة سنين بعدها رجع الى منطقته في 1588م و واصبح مدرسا بها [2].

– عيسى بن محمد البطوني (1040هـ/ 1630م) : من كبار العلماء زمنه كان عارف بالعلوم القرآن والحديث و التصوف، ثم ارتحل إلي فاس لدراسة سنة1595م و مكث فيها ثلاث سنوات ثم انتقل إلى تلمسان، فأخذ العلم على يد محمد ابن مريم المؤلف كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ثم عاد إلى المغرب وعملا مدرسا في البطوية ومن تأليفه مطلب الفوز وفلاح[3].

– محمد السوسي العباسي: ارتحل إلى الجزائر في وقت غير معلوم، صار مدرسا في المدينة الجزائر والذي توفي بها خلال (1023هـ/1610م).

علماء الجزائر في المغرب الاقصى :

– محمد بن محمد التلمساني (ت1001هـ/ 1593م):عرف بابن الوقار[4] ولد وتعلم في تلمسان ثم رحل الى المغرب مع الامير السعدي عام 1560م[5]، نزل تارودانت واشتغل بها قضاء ستة اشهر ثم تخلى عنها لأنه لا يعرف لغة البربر ثم انتقل إلى سجلماسة فاصبح قضيا خطيبا ثم توجه الى مكناسة الزيتون فمكث بها فتولى كذلك الخطابة ثم ارتحل الى فاس اشتغل في خطابة في جامع الاندلس ومنها الى تارودانت فولى فتوى و الخطابة وراح ينشر علمه وكان مولاى المنصور يتحدث عنه ويقول لا يوجد اخطب من ابن الوقار فكان له شان عند الملوك[6].

---

[1] عمار بن خروف : المرجع السابق : ج 2 ، ص162.

[2] زهرة النظام : المرجع السابق، ص411.

[3] محمد حجي : المرجع السابق ، ص 456.

[4] ابي القاسم محمد الحنفاوي : تعريف الخلف برجال السلف ، ص 74 .

[5] مسعود بقادي :هجرة علماء تلمسان الى فاس و دورهم الثقافي بين الجزائر و المغرب خلال القرن 10هـ/16م ،

[6] ابي القاسم محمد الحنفاوي : المرجع السابق ، ص 78،

– محمد الحاج بن أحمد المري التلمساني (ت 989هـ/ 1581م):ولد في تلمسان[1] ، اديب وفقيه عارفا بمختلف العلوم الدين، قصد فاس لدراسة رفقة بعض العلماء الذين نصبه خطيبا في الجامع ومكث في فاس خمسة سنوات ثم توجه الى مراكش لتحصيل العلم فعمل مدرسا بها الى غاية ان توفي1581م[2].

– أبو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت 999هـ/ 1591م) : فقيه المعقولي، توجه الى فاس فتلقى العلم على يد المنجور وتخرج عليه وعلى طبقته، ثم لجئ إلى المشرق لينتفع علما بعلمائها ثم رجع الى المغرب واستقر في تطوان والتي تولى فيها الخطابة و التدريس بالجامع القصبة[3].

– أحمد بن يوسف الزياتي (ت 1003–1591) : عالم مشارك في مختلف العلوم متمكن من الفقه ونحوى، درس في مدينة فاس على علمائها ثم ذهب الى تطوان حيث تولى هناك وظيفة التدريس و الخطابة في جوامعها الى غاية و فاته[4].

– أبو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني ابن الوقاد (ت1075–1649م) : عالما واديبا[5] خلف والده بعد وفاته في تروادنت فتولى الخطابة والفتوى والتدريس كانت له مكانة خاصة عند ملوك السعديين[6]، تتلمذ عليه كل من احمد بابا التنبكتي وابي عثمان سعيد الهوزالي و من أحسن تلاميذه أبو زيد عبد الرحمان محمد[7].

– الحسن بن يوسف الزياتي (ت1023هـ/1614م): من الاسرة الملكية بني زيان ولد عام 964هـ، انتقل الى فاس فتلقى التعليم هناك على كل من عبد الواحد الحميدي و ابو

---

[1] العباس بن ابراهيم السملالي : اعلام بمن حل مراكش و اغمات من اعلام ، ط2 ، مرا عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1999م ، ص 217.

[2] كمال الفيلالي : هجرة علماء غريس تلمسان الى فاس في العهد العثماني ، مجلة الموافق لبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، ع خاص ، 2008م ، جامعة قسنطينة ، ص ص 375–376.

[3] زهرة النظام : المرجع السابق ، ص 416.

[4] محمد بن الطيب القادري : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني ، تح محمد حجي ، احمد التوفيق ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، 1977م ، ج1 ، ص 43.

[5] مسعود بقادي : العلماء الجزائريون بالمغرب الاقصى و دورهم في الحياة الثقافية خلال القرن 10هـ/16م ، اش محمد الزين ، شهادة دكتورة ، تخصص الحديث و المعاصر ، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بالعباس ، 2020م ، ص 187.

[6] عمار هلال : العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنيين العاشر و العشرين ميلادي (4هـ/14م) ، ص114 .

[7] مسعود بقادي : المرجع السابق ، ص 187.

العباس القدومي وابو محاسن يوسف الفاسي[1]، كما اجازه* محمد بن القاسم القصار، وبعد انهاء دراسته عمل مدرسا في فاس و الف العديد من كتب في مختلف العلوم[2].

– عبد العزيز بن حسن الزياتي (ت1055–1645م) : من بني عبد الواد، ملوك تلمسان، اخذ العلم بفاس و تطوان و على يد خاله محمد العربي الفاسي، وفي مراكش درس على شيخ قراء المغرب محمد بن يوسف التملي ثم تفرغ لتدريس و تأليف في تطوان عقود السنين[3].

– محمد بن احمد بن الراس العين : زار مراكش فمدح سلطان احمد المنصور ببعض القصائد الشعرية فنال محبة ومكانة مرموقة عند المنصور.

– محمد المقري التلمساني : نزل بفاس ثم رحل الى مراكش و استقر بها فنصبه المنصور في وظيفة الافتاء و التدريس[4] و قد تخرج عليه علماء وابناء الامراء و وزراء و من امثال عبد العزيز القشتالي و بقية هناك الى غاية وفاته 1618م[5].

– أبو العباس أحمد بن محمد المقري (ت 1041هـ/ 1631م) : ولد بتلمسان عام 1578م و المتوفي في سنة 1631م من عائلة المقري العريقة اشتهرت بالعلم وتنوعت علومها ومكتباتها والتي تعود اصولها من قبيلة قريش [6]، حيث انه اخذ العلم على يد عمه سعيد المقري في مسقط راسه أرسله عمه الى فاس لاستكمال الدراسة [7]انتقل الى مدينة فاس سنة1009هـ/1600م فأخذ عن شيوخها من بينهم الشيخ بن عمران السلاسي ولقي هناك تقدير في اواسط الشعبية والمثقفة وانتشرت شهرته في المغرب ثم توجه الى مراكش في 1601م فاستدعاه الخليفة احمد المنصور و قربه اليه و كرمه، و ظل المقري ينتقل بين مدن المغرب اخذ عن علمائها واجازه البعض الاخر كبابا التنبكتي1601م، وابي العباس

---

[1] هورية بكاي : المرجع السابق ، ص 22 .

[2] زهرة النظام : المرجع السابق ، ص 56 .

[3] محمد حجي : المرجع السابق ، ص 421.

[4] صالح بن سالم: المرجع السابق ، ص ص 47–48.

[5] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص ص 153–154.

[6] احمد المقري ابي العباس : رحلة المقري الى المغرب و المشرق ، (د، ط) ،تح محمد بن معمر، دار مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2004م ، ص ص 5–6.

[7] سعد الله ابو قاسم : تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830م، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1998م ن ج2 ، ص 213.

ابي قاضي في 1600م،وفي عام 1601 عاد الى فاس واسند اليه الامامة والخطابة بجامع القرويين[1] ثم رجع إلى تلمسان ثم عاد إلى مدينة فاس وظل مستقرا في مغرب الى غاية وفاة احمد المنصور انتقل الى المشرق[2].

إضافة إلي هؤلاء العلماء الذين كانوا ينتقلون بين حواضر البلدين فهناك صنف من العلماء يقومونا بسفارات اما عن السلطة السعدية او عن الاتراك في الجزائر ولهذا الغرض استقبلت الجزائر عدد من العلماء المغرب الاقصى او العكس ونذكر من بينهم:

- ابو طيب البسكري (ت بعد 987هـ/1579م) : مفتي مدينة الجزائر وخطيب في جامع الاعظم ارتبط البسكري بالعثمانيين كلف للذهاب الى المغرب في مهمة سياسية فالأولى كانت سنة 1571م والتي كانت من قبل السلطان سليم الثاني للتوسط من اجل اقامة صلح بين عبد الملك واخيه عبد الله الغالب، وأما البعثة الثانية كانت عام 1579م للتهنئة السلطان المنصور بانتصار الذي احرزه في معركة واي المخازن و توليته الحكم[3].
- علي بن محمد ابن علي التمكروتي(ت 1003هـ-1595م):عالم و اديب تولى التدريس بزويتهم التمكروت[4] ، ارسله مولاي احمد المنصور السعدي سفيرا في سنة 1589م الى خليفة العثماني مراد الثالث من اجل توطيد العلاقات وقد دونة رحلته في كتاب نفخة المسكية في السفارة التركية[5].
- أبو العباس أحمد بن يحي الهوزالي و أبو العباس أحمد بن وردة : الذي قام برحلة سفارية الى الجزائر خلال 1581م من قبل السلطان احمد المنصور السعدي الى باب العالي لاعتذار عما بدر منه[6].

موقف حكام الجزائريين و احمد المنصور السعدي من هجرة العلماء اليهم:

---

[1] احمد المقري ابي العباس : روضة الاس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيتهم من اعلام حضرتين مراكش و فاس ،ط2 ، مكتبة الملكية ، الرباط ،1983م ، ص88 .

[2] احمد المقري ابي العباس : رحلة الى المغرب و المشرق ، ص ص6-8.

[3] مسعود بقادي : المرجع السابق ، ص192.

[4] محمد حجي : المرجع السابق ، ج2، ص 548.

[5] محمد حجي : الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ،الرباط ، 1976م ، ص26.

[6] هورية بكاي : المرجع السابق ، ص 615.

موقف السلطان احمد المنصور : لقد شهدت فترة حكمه التي تزيد عن ربع قرن ازهى فترات العلمية فكثرت المؤسسات الثقافية وكان السلطان نفسه عالم و اديبا[1]، اذ انه ربطته علاقات مع علماء الجزائر من بينهم محمد شقرون بن هبة الله الذي كان يحضر دروسه[2]، فكان يقدم مساعدات للعلماء إليه ويحضر مجالسهم بالقرويين و يكرم العلماء[3]، اذ نجده رحب بالعلماء الجزائر وقربهم إليه وتولى بعضهم التدريس والإفتاء والخطابة والقضاء ومن بين تلك العلماء احمد المقري و ابن الوقار.

موقف الحكام الجزائر: اشتهر حكام الجزائر بكونهم رجال حرب لم يظهر اهتمام كبير للعلماء، إلا أنهم كان يحترمونا العلماء، ومن خلال ما تقدم ذكره من العلماء المغرب الذين زار الجزائر خلال فترة دراسة حيث نجدهم لم يتقلدوا مناصب عالية كإفتاء والخطابة وقضاء وذلك لانتمائهم الى المذهب المالكي والدولة العثمانية إلى المذهب السني، و كان أقصى ما حصلوا عليه العلماء المغرب في الجزائر وظيفة التدريس[4]، كما نجد بعض الحكام الذين قرب اليهم العلماء مثل أحمد الفاسي وبعض الاخر من العلماء الذين استقروا في الجزائر عارضوا الحكم العثمانيين من أمثال محمد بن زيان التواتي وعلى العموم فان الحكام الجزائر لم يعارضوا او يمنعوا من قدوم العلماء المغرب الاقصى الى الجزائر كما لم يمنعوا العلماء الجزائر من انتقال الى المغرب الأقصى[5].

دور الحج في الحياة الثقافية بين البلدين:

تعتبر الرحلة لطلب العلم فالحج ليس مجرد أداء للفريضة، وإنما للعلم والتعلم، والسياحة والاطلاع، الكثير من الجوانب الحياة[6]فمعظم العلماء أقطار العربية الذين كانوا يتجهون لإداء فريضة الحج يحدث بينهم احتكاك مما يأدي ذلك الى تبادل ثقافي وعلمي فيما بينهم، فكانوا

---

[1] فوزية لزغم : الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830 ، (د، ط) ، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية ، (د ، م) ، 2011م ، ص ص 165-166.

[2] مسعود بقادي ، محمد الزين : هجر التلمسايين الى المغرب خلال قرن 10هـ/16م- العلماء أنموذجا- ، مجلة الحكمة لدراسات التاريخية ، ع 13 ،2018م ، جامعة سيدي بالعباس ، ص ص 138-139.

[3] ليلى غويني : التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال رحلات الحجازية الجزائرية ، اش عائشة غطاس ،شهادة ماجستير ، تخصص تاريخ الحديث ، جامعة الجزائر -2- ، الجزائر ، 2011م ، ص 125.

[4] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 123، 120.

[5] صالح أبو سالم: المرجع السابق ، ص 65 .

[6]أحمد بوسعيد : المرجع السابق ، ص 221.

علماء المغاربة يتوقفون بالمدن الثقافية لأخذ العلم وكان البعض منهم يسجلونا ما صادفهم وهو ما يسمى بالرحلات الحجازية و التي تفيد اي باحث في تطلع على تاريخ بلاده [1]. **اهم الحواضر العلمية التي استقطبت العلماء بالجزائر و المغرب الاقصى:**

من بين الاسباب التي شجعت العلماء الى انتقال بين البلدين وهو وجود مراكز ثقافية التي ادت الى تنشيط الحركة العلمية فكانت من ابرز هذه المراكز مدينة فاس ومراكش في المغرب الاقصى اما في ايالة الجزائر تلمسان والجزائر.

المراكز الثقافية في الجزائر:

مدينة تلمسان: كانت مركز إشعاع ثقافي في العالم الاسلامي فهي تمثل حلقة وصل بين فاس وتونس من جهة وبين المدن الصحراوية وهذا جعل منها ملتقى لكل الثقافات المشرقية والمغربية التي كانت عاصمة الزيانيين، الا انها شهدت منذ مطلع القرن 16م بكثرة الاضطرابات السياسية والفتن الداخلية بين افراد الاسرة الحاكمة[2] والتي سقطت في سنة 1554م بعد دخول الاتراك الى تلمسان اضافة الى نقل عاصمة الحكم الى مدينة الجزائر وهذا كله انعكس سلبا على مدينة فجعل العلماء المنطقة يهجرون إلى الخارج وخصوصا المغرب الأقصى، الا انها حافظت على منارة العلمية لاستمرار مؤسسات الثقافية كمساجد والزوايا والمدارس وقد ساهمة في بروز عائلات اشتهرت بالعلم كعائلة القباني وبالتالي اصبحت من بين اكبر بيوتات العلم في البلاد الجزائرية و من ابرز علمائها سعيد المقري[3]

ومن ابرز العلماء الذين قصدوا تلمسان لطلب العلم مثل نجد أجمد بن ابراهيم الراسي البطوني و عيسى بن محمد البطوني[4].

مدينة الجزائر: برز إشعاعه الثقافي بعدما أصبحت عاصمة الجزائر العثمانية حيث اصبحت من بين اكبر ومن أهم المؤسسات المراكز الثقافية[1]بها الجامع الكبير إمامه مالكي و فيه

---

[1]شويتام أرزقي : العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية) ، مجلة الدراسات التاريخية ، ع1 ، 2011م ، جامعة الجزائر -2- ، ص 82.

[2]عبد الرحمن الاعرج : الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني ، مجلة القرطاس ، ع 2 ، 2015م ، (د، م) ، ص ص 125-126.

[3]حسين بو خلوة : عبد الكريم بن فكون القسنطيني حياته و اثاره (988هـ-1072هـ)/ (1580م-1663م) ، اش الجيلالي سلطاني ، شهادة الماجستير ، تخصص التاريخ و الحضارة الاسلامية ، جامعة السانية ، وهران ، 2009م ، ص 42.

[4] زهرة النظام : المرجع السابق ، ص 411.

ثلاث خطب واوجد للترك وهو حنفي وقد انتشر بها عدد كبير من المساجد في المدينة قدر حوالي 100 مسجد كما كان لها دور الديني والتعليمي والاجتماعي وحظى باهتمام كبير من طرف السكان أو السلطة الحاكمة[2]وغالبا ما كانت المكتبات تلحق بالمساجد وتوقف على الطلبة ولأساتذة إضافة إلى وجود كتاتيب لتحفيظ القرآن والزوايا كما وجدت بالجزائر مؤسسات اخرى منتشر بها من مدارس ومعاهدات التي كان يتعجب الزوار من كثرتها مما ساهمة في نقص نسبة الامية فيها و زوايا التي العبت هاما في انتشار التعليم[3]فبرزت بها العديد من البيوت العلمية اشهرها بيت قدورة و ابن العنابي، وان هذه المكانة جعلتها محطة انظار ومقصدا للعلماء و الطلبة من مختلف اقطار العربية [4] و خصوصا علماء المغرب الاقصى و من بين العلماء الذين شدوا رحالهم الى مدينة الجزائر نذكر عبد الواحد بن محمد اللمطي الميموني وابي عبد الله محمد بن علي القشتالي الذي نزل بالمدينة سنة 1588م مع السفير التمقروتي المبعوثين من قبل سلطان احمد المنصور الى سلطان العثماني[5] .

مدينة قسنطينة: كانت احدى المدن التابعة لدولة الحفصية وبدخول الحكم العثماني أصبحت عاصمة بايلك الشرق[6]تعتبر مدينة قسنطينة من اكبر مدن الجزائرية[7]،مما جعلها تكتسب مكانة سياسيا وعلمية وقد استوطنت بالمدينة العديد من العائلات الكبيرة و التي يسند اليها عدة مهام من بينها الحفاظ على الامن وربط العلاقات بين العامة في المدينة وكان بعض العائلات تعمل في الزراعة والتجارة والعلم، كما انها تعتز بتراثها العلمي فمعظم هذه العائلات تولت مهام التدريس والافتاء والقضاء ومن اشهر العائلات التي احتفظت بهم

---

[1] فوزية لزغم : البيوت و الاسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي و السياسي (920هـ-1246هـ)/(1520-180م) ، اش محمد بن معمر ، شهادة دكتوره ، تخصص في تاريخ و حضارة الاسلامية ، جامعة واهران ، وهران ، 2014م ، ص 44.

[2]حسين بو خلوة : المرجع السابق ، ص 87 .

[3] أبو قاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص ص246-274.

[4]فوزية لزغم : المرجع السابق ، ص 46.

[5] صالح ابو سالم : المرجع السابق ، ص 112.

[6] الحاج احمد بن المبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة ، تح : عبد الله حمادي ، دار الفائز للطباعة و النشر و التوزيع ، قسنطينة ، 2001م ، ص ص 43-49.

[7] أبو قاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص 174.

المدينة خلال العهد الحفصي الفكون وابن باديس ... اخ[1] ، وهذا ما جعلها محطة هامة لدى الكثير من العلماء المغرب فنذكر منهم : سعد بن مسعود الماغوسي ومحمد السوسي الفاسي[2].

مدينة فاس: تعبر مدينة من اهم المدن الثقافية في المغرب، و بالرغم تقلص دورها السياسي وذلك من خلال انتقال العاصمة الى مراكش الا ان ذلك لم يؤثر سلبا على الحياة الفكرية[3]، وقد وجدت مدينة الاهتمام من قبل السعديين الذين قاموا بتجديد مدارسها المشهورة وجوامعها في النصف الثاني للقرن 16م، ومن اهم المراكز العلمية التي وجد بها جامع القرويين*الذي اعتنى به السلطان احمد المنصور، حيث انه استبدل قبة من الذهب ومدرسة العطارين وبوغنابية[4]واصبحت في عهد السعديين يختص في التعليم العالي كما وسع أحمد المنصور خزانته في اواخر القرن 16م ، اذ كانت تلقن بفاس مختلف العلوم من فقه ونحو و الحديث و البيان و النحو... الخ[5] وهذا ما حفز العلماء والطلبة من كل انحاء العلم الى انتقال اليها خصوصا الجزائر ومن بينهم : أحمد المقري والحسن من يوسف الزياتي[6].

مدينة مراكش: شهدت المدينة في عهده الموحدين والمرابطون ازدهارا في الحياة الثقافية الا انها تراجع مكانها بعد ان هاجرها المرنيين و الوطاسيين، لتسترجع المدينة انتعاشها العلمي في عهد السعديين و الشيء الذي ساعدها على ذلك هو ان ملوكها رجال علم كما ذكرنا سابق ان احمد المنصور كان عالما واديبا مولعا في لمختلف العلوم[7] والتي لقت عناية من

---

[1] فوزية لزغم : المرجع السابق ، 164.

[2] صالح أبو سالم : المرجع السابق ، ص ص 114-115.

[3] هوارية بكاي : المرجع السابق ، ص587.

*وهو اعظم جامع بفاس في غاية الكبر ، يبلغ محيط دائرته نحو ميل ونصف وله واحد و ثلاثون باب كله كبيرة و عالية (ينظر الى : حسن الوزان : المصدر السابق ، ص51 .

[4] عبد الله طويلب : المؤسسات العلمية المرينية السعدية –دراسة تاريخية ثقافية – : أش بودواية مبخوت ، شهادة دكتورة ، تخصص التاريخ السياسي و الثقافي للمغرب الاسلامي ، جامعة أبي بكر بالقايد ، تلمسان ، 2018م ، ص ص 70-89.

[5] روجي لوطورنو : فاس قبل الحماية ، (د، ط) ، ج2 ، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1996م ، ص ص 653-654.

[6] زهرة النظام : المرجع السابق ، ص417.

[7] محمد حجي : المرجع السابق ، ج2 ، ص375.

قبل السلاطين السعديين فكثرت فيها المدارس و مساجده اكمدرسة الجامع الاشراف970ه بقرب من جامع المواسين عام 1562م التي انشأهم السلطان عبد الله والجامع الفنا التي قام ببنائه أحمد المنصور[1].

وقد وصل مدينة مراكش اوج ازدهارها في عهد احمد المنصور حيث اولى اهتمام كبيرا بالعلم[2] و من اشهر العلماء الدولة السعدية في تلك الفترة هو ابو القاسم بن الشاطبي (ت 1002ه – 1594م)[3] ، اما من ابرز العلماء الجزائر الذين وفدوا الى فاس ابو قاسم بن سلطان القسنطيني وأبو العباس احمد بن محمد المقري[4].

تارودانت : تعتبر بمثابة العاصمة الثانية لدولة السعدية، وقد قام محمد الشيخ بإعادة بنائها كما انشأ جامع كبير ومدرسة قريبة منه اضافة الى جامع القصبة السلطانية فنسبت المدينة له و سمية على اسمه المحمدية، من بين اشهر علمائها نجد سعيد بن علي الهوزالي (ت1001ه-1592م)[5] ، واستقبلت عدد من علماء تلمسان من بينهم ابن الوقار و ابنه[6].

1. تبادل الاجازات بين اهل العلم في كلا البلدين: الاجازة هي شهادة كفاءة تأهيل التي كان يمنحها العلماء لطلبة العلم، وهي تمثل تصريح بان المتحصل عليه له كفاءة تمكنه من تلقين ما تعلمه من العلوم[7]، كما ان المجاز يحمل لقب الشيخ او الاستاذ في العلوم المجاز فيها[8]، وقد كان الاجازات متداولة بين البلدين قد كانت قبل فترة موضوع دراسة وعلى سبيل المثل نجد اجازة احمد محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي للشيخ محمد ابن عسكر الشفشاوني عام 969ه بفاس واجازة احمد بن محمد الدقون للشيخ محمد شقرون

---

[1] عبد الله طويلب : المرجع السابق ، ص 114 .

[2] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ص 152.

[3] تولى منصب القاضي في مراكش لمدة عشرة سنين و خطيبا و مدرسا في الجامع المنصور بالقصبة السلطانية . ينظر الى : محمد حجي : المرجع : السابق ، ص 375 .

[4] زهرة النظام : المرجع السابق ، ص ص 416-417.

[5] اشتغل والي قضاء الجماعة في تارودانت و مدرسا لعلوم الشريعة اللغوية كان متصوفا في اوقاف التعليم في المدينة . ينظر الى : محمد حجي : المرجع السابق ، ص ص 406-407 .

[6] صالح ابو سالم : المرجع السابق ،ص 87 .

[7] بالخميسي مولاي : المرجع السابق ، ص 34.

[8] أبو قاسم سعد الله : المرجع السابق ، ج2 ، ص 39.

بن أبي جمعة المغراوي بفاس[1] أما عن ابرز الاجازات التي تحصلوا عليها علماء الجزائر من علماء المغرب في عهد أحمد المنصور السعدي قد وجدنا :

- اجازة سعيد المقري بعد زيارة ابن أحيه المقري لأحمد بن قاضي* وأحمد بن القاسم التادلي* وذلك في سنة 1009هـ بعد أن راسلوه[2] .
- اجازة عبد الكريم بن يحي الفكون لسعيد بن مسعود المغوسي حيث اجازه في مختصر السعيد و مختصر الحاج الأصلي[3].

ومن بين العلماء الجزائر الذين تحصلوا على الإجازات من العلماء المغرب نذكر:

أحمد المقري الذي اجازه أبن القاضي في نثر بفاس[4] ومرتين بمراكش عام 1009هـ في ما أخذه عن شيوخه وتأليفه وما له في منظمة ونثر.

وتلقى كذلك أحمد المقري اجازة من أبي القاسم التادلي يوم خروجه من مراكش في منزله في كل تأليفه و روايته ما أخذه عن شيوخه.

كما اجازه ابي عبد الله محمد القصارو ذلك في سنة 1010هـ بفاس[5].

- كما أجازه أبو فارس عبد العزيز القشتالي حيث طلب منه المقري اجازته في كل نظمه ونثره فأجازه لفظا دون كتابة[6].

****

المحور الثاني : العلاقات الجزائرية المشرقية

---

[1] صالح أ]و قاسم : المرجع السابق ، ص ص79 -81.

[2] فوزية لزغم : المرجع السابق ، ص 180.

*أبو العباس أحمد بن محمد ابن ابي العافية الشهير ابن القاضي من أهل فاس رحل الى بلا المشرق للحج و احتكا مع العلماء ثم رجع الى بلاده بعد سنتين . (للمزيد ينظر الى : أحمد بن محمد المقري : روضة الآس العاطرة الأنفاس ... ، ص ص 240-241.)

*أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي عالم عارف لكل العلوم يستغرق نهار وليل بأنواع الطاعة له عدة تأليف منها المفيد السني (للمزيد ينظر الى : أحمد بن محمد المقري : روضة الآس العاطرة الأنفاس ... ، ص 300.)

[3] أحمد بن محمد المقري : روضة الآس العاطرة الأنفاس ... ، ص 227.

[4]عبد الله بوطلب : المرجع السابق ، ص 130.

[5] فوزية لزغم : المرجع السابق ، ص ص185 ، 189.

[6] صالح أبو سالم : المرجع السابق ، ص81.

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

المحاضرة السادسة

ركب الحج

تعريف ركب الحج : يعرّف ركب الحج اصطلاحا بأنه جماعة الحجاج الذاهبين إلى مكة المكرمة وبالضرورة العائدين منها لاحقا ، أو قافلة الحجاج من راكبي الإبل وغيرها من الدواب ، الذين يحملون معهم زادهم وأمتعتهم ، أو هو مسير قافلة الحج أو الحجاج أو الحجيج القاصدين بلاد الحرمين الشريفين مكة والمدينة من أجل أداء وإتمام مناسك الحج المقررة والمعهودة . وهناك من يرى بأن الركب يحمل كذلك معنى الموكب المتكوّن رأسا من مجموعة قوافل الحج المنطلقة من وطن معين ، وكذا المنضمة إليها أثناء السير والتي تقصد في سفرها الوصول إلى مكة المكرمة لأداء الحج [1].

وبما أن الذهاب إلى بلاد الحجاز لأداء ركن الحج قد يكون غالبا عن طرق البر، وأحيانا تكون بعض مراحله عن طريق السفن الحاملة للركاب والركبان على حد السواء ، فإنه يمكن القول بأن ركب الحج بمعنى أوسع يشمل القوافل التي تقصد بلاد الحجاز برا وكذا الجماعات التي تركب السفن نحو موانئ مصر وخاصة الإسكندرية ، ومنها تواصل سفرها إلى الحجاز برا أو بحرا في بعض الأجزاء ، بما أن المحطة الأخيرة وهي مكة المكرمة ليست ميناء على البحر وهذا النوع يمكن أن نسميه مجازا بالركب البحري[2].

لقد تعددت الاشتقاقات التي أطلقها المغاربة على هذه الرحلة الجماعية إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فهناك من استعمل ركب الحج أو ركب الحاج أو ركب الحجيج وهناك من وظّف مصطلح الركب النبوي لأن الركب يزور المسجد النبوي أيضا ، بينما فضل آخرون استخدام لفظ ركب الحجاز الذي يشمل الحرمين الشريفين المقصودين بحكم أن القافلة متوجهة لبلاد الحجاز[3].

---

[1] محمد جمال الدين ابن منظور: لسان العرب ، د ط ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ، مادة ركب الحج ، ص171 .

[2] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي : الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ط1 ، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ، دار السويدي لنشر والتوزيع ، أبوظبي ، 2006 ، ص75 .

[3] عبد المجيد القدوري : ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت ، د ط ، مطابع منشورات عكاظ ، الرباط 1991 ، ص127 .

وركب الحج في العهد العثماني هو الإطار الرسمي أو الحيز المحمي الذي كان يحرص كل من رغب في أداء مناسك الحج على الانتماء إلى قوافله ومصاحبة أفراده لأن المنقطع عن الركب في رحلة الحج الشاقة الطويلة ، والمسافر من الجزائر إلى بلاد الحجاز بمفرده ما وصل إليها قط سالما الا من عصمه الله وصانه، لذلك فقد أضحى الركب بمثابة المحلة أو الحامية المتنقلة التي تؤمن الحجاج قدر المستطاع ، وتجعل بعض أمراء البلدان الواقعة في طريقها يرتابون منها فيتجسسون على الركب ويطوفون به ويختبرونه حتى إذا ما أيقنوا أنه ركب حجاج خلوا سبيله[1].

دلائل تميّز الركب الجزائري وخصوصيته:

لقد تكرر استخدام لفظ الركب الجزائري أو ركب الجزائر في متون الرحلات الحجازية في الكثير من المواضع ، ونقل الحجاج الرحالون أخباره باستمرار طيلة فترة الحكم العثماني للجزائر من ذلك خبر مفاده أن ركب الجزائر في موسم حج 1653م قد أمن في رحلته في القفار ولم يتعرض لقطاع الطرق ، على خلاف ما حدث في المدن التي مر بها، وذكره الرحالة المغربي العياشي في أكثر من موضع وذلك في موسم حج 1661م مثل قوله " وبعد أن خرجنا منها لقينا ركب الجزائر القافلين من الحجاز ..."[2]

تمكن الركب الجزائري من أن يحافظ على شخصيته واستقلاليته طيلة الرحلة إلى الحج وحتى في المقطع الأخير من طرق الحج أي بين مصر والحجاز ، حيث كانت العادة في ذلك الزمان أن يتقدم الركب المصري ويسود أركاب بلاد المغرب كلها التي كانت ترغب معظمها السفر في النهار بخلاف الركب المصري، لكن الأمور انقلبت تدريجيا وأصبح الركب المصري الضخم يحسب للركب الجزائري ألف حساب.حيث كان حريصا على إبراز مدى هيبته وقوته حماية للحجاج الجزائريين ، وترهيبا للمعتدين ونكاية في أركاب الحج الأخرى المزاحمة له . ورغم وجود شيخ أو وكيل للحجاج المغاربة أجمعين في الحجاز خلال العهد العثماني الا أن الجزائريين كان لهم ممثل خاص هو رئيس طائفة الجزائريين ، وجرت العادة أن في آخر مقطع من مقاطع السفر المسمى درب الحجاز ينطلق الركب المصري ثم تنضم

---

[1] فاطمة الزهراء قشي ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة منتوري قسنطينة، 2007/2006 ، ص 76 . خليفة حماش : الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث ، إشراف أ د

[2] أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ط خ ، دار البصائر ، الجزائر 2007 م ، ج4 ، 213 .

اليه أركاب المغرب فاس تونس الجزائر طرابلس فتتضاعف أعدادهم ويؤلفون ركبا مغاربيا كبيرا لكن كان بالإمكان دائما تمييز بعضها عن بعض سواء في الانطلاق أو أثناء السير[1].

إن تميّز الركب الجزائري لا يعني أبدا أنه لا يحمل سوى الجزائريين أو أنه يرفض المسير جنبا إلى جنب مع الأركاب المغاربية ، فقد انضم بعض الحجاج من إقليم برقة الليبي وثلاثة حجاج مغربيين إلى الركب الجزائري في أحد المواسم ، في حين التقى بعض الحجاج الجزائريين بركب فزان الليبي في مصر وتعرفوا على حاكم فزان فرحب بهم وآثروا مواصلة السفر معا إلى الحجاز ، وذكر العياشي خبر عالم من المغرب الأقصى :" ولقيت صاحبنا سيدي سحراوي وكان حج معنا ثم قدم قبلنا مع ركب أهل الجزائر..." . كما أن التقاء أركاب المغرب العربي في طريق الحج أمر وارد إذ حدث وأن التقت خمسة أو ستة أركاب دفعة واحدة في مدينة طرابلس الليبية في الذهاب والإياب ، وإن المرحلة الأخيرة بين مصر والحجار يظهر بين أركاب المغاربة عادة التواد والتشاور والاتفاق في أمور كثيرة[2] .

أجزاء الركب الجزائري البري اقليميا:

رغب أن الركب الجزائري يشكل وحدة مترابطة قائمة بذاتها ، إلا أنه في أصله تجمع وتكتل مجموعة من قوافل الحجاج الجزائريين ، من مختلف جهات الايالة الجزائرية ، ويمكن اعتبار تلك القوافل بمثابة أركاب جزئية أو إقليمية وأسمائها تبقى على المستوى المحلي فقط ، كانت تلك الأركاب تنطلق من حواضر الجزائر المعروفة مثل بجاية ، قسنطينة ، الزاب ، الجزائر ، مجاجة ، مازونة ، ونشريس ، تلمسان ، معسكر، توات ، ورجلان .. وذلك لتسهيل تجميع حجاج الركب وتحفيز الجزائريين على الذهاب إلى حيثما كانوا. أقام الجزائريون على فترات مجموعة من الزوايا والمحطات يجتمع فيها الحجاج بالتدريج الى أن يحين وقت مرور الركب المعتاد فيلتحقون به من كل الجهات المجاورة[3].

يقول الرحالة الورتلاني عن إحدى تلك المحطات :" وبتنا فيها ثلاث ليال ، ليلحق بنا من بقي من التالي... فمثلا قد اجتمع في ركب جزائري واحد في أحد المواسم حجاج من

الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ الأخبار (الرحلة الورثلانية) تعليق ابن مهنا القسنطيني ، الحسين بن محمد

[1] تقديم محفوظ بوكراع وعمار بسطة ، ط خ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ج01 ، ص 412 .

[2] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي : الرحلة العياشية (ماء الموائد)، المصدر السابق، ص496 .

المناطق والقبائل التالية : قسنطينة ، سطيف ، بجاية ، زواوة ، قصر الطير ، أهل عامر ، أولاد عبد النور ، أولاد سعيد بن سلامة ، أهل بسكرة ، أهل المسيلة ، أهل أمدوكال ، أهل الزاب ، أهل الصحراء ، توات... [1]

وبالتالي فإن تجزئة الركب الجزائري إقليميا إن بدت فإنما تكون في الانطلاق لأجل التشكل ثم يتوحد الركب في محطات الطريق الخارجية ثم تظهر التجزئة مرة أخرى على مشارف الوصول إلى الجزائر في العودة لضرورة الفراق[2] ، فمثلا في موسم حج 1766م ضم الركب عدة أقاليم وقبائل لكنه رحل موحدا ثم عاد موحدا وفي الايالة التونسية انقسم إلى ركبين:

ركب التل الذي رغب في المرور على مدينة تونس ودخول الجزائر من شرقها وركب الهضاب والصحراء الذي رغب في المرور على مدينة توزر قاعدة بلاد الجريد ودخول الجزائر من جهة الجنوب الشرقي[3].

ركب الحج البحري: ويقصد به جماعات الحجاج التي تسافر عبر البحر ممتطية السفن الشراعية ذائعة الصيت وقتئذ ، على أن الركب البحري لا يمكن قطع صلته بالركب البري فرحلة الحج من الجزائر قد تبدأ برا ثم تؤول إلى البحر والعكس صحيح. وعندما تكون السفن جاهزة للإبحار نحو ميناء الإسكندرية ينادي المنادي في مدينة الجزائر معلنا ميعاد إقلاعها فينتهز كل من نوى الحج في ذلك العام الفرصة بسعادة للسفر بحرا [4]. وكانت الجزائر تلجأ عادة إلى كراء السفن الأوروبية ذات الأحجام الكبيرة التي تصلح لنقل الحجاج الجزائريين

فالنسي لوسيت : المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790 – 1830 م ، ط01 ، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1980 ، ص110. ينظر : أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، المصدر السابق ، ص80 . [1]

الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ الأخبار (الرحلة الورثلانية) تعليق ابن مهنا القسنطيني ، الحسين بن محمد ، 01 ج تقديم محفوظ بوكراع وعمار بسطة ، ط خ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ج01 ، ص ص 412 . [2] 189 ص.

خليفة حماش : كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي ، ط2 ، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 2016 ، ج1 ، ص40 . ينظر : أحمد بن مبارك بن العطار ، تاريخ بلد قسنطينة ، ط خ ، تحقيق عبد الله حمادي، دار الفائز للنشر والطباعة والتوزيع ، قسنطينة ، 2011 ، ص125 . [3]

الحسين بن محمد الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ الأخبار (الرحلة الورثلانية) ، المصدر السابق ، ص 412 . [4]

فمثلا في سنة 1685 تم استئجار سفينة هولندية لحمل الحجاج من العامة والمسؤولين الأتراك ، وكان الحجاج أيضا يقصدون ميناء حلق الوادي بتونس للسفر بحرا[1].

دور ركب الحج الجزائري في التواصل الثقافي:

المزاوجة بين الحج والنشاط العلمي: مثلت الرحلة لطلب العلم في ذلك الزمان أحد البدائل التي أوجدها الجزائريون لتعويض تقصير الحكام العثمانيين الثقافي ، فأضحت بذلك مفخرة لصاحبها لذا حرص الجزائريون على إقرانها برحلة الحج ، ولا تكاد تطلع على تراجم وسير الأعلام من الجزائريين في ذلك الزمان إلا قابلتك العبارات مثل :"رحل إلى المشرق وحج" أو "أخذ عن علماء مصر والشام والحرمين" أو" أخذ عنه جماعة من علماء المغرب والمشرق" [2].

في الديار المصرية كان الحجاج يقصدون مواطن العلم والتدريس ويزاحمون طلبتها والطلبة الوافدين عليها من مختلف البلدان بالركب، أما بلاد الحرمين الشريفين فكانت معاهد مفتوحة أمام الحجاج تفد عليها الكتب والمؤلفات وتتبادل فيها الرسائل والإجازات ، وما يحيط بركب الحج من نشاط علمي يشمل رحلة الإياب كما الذهاب والبلدات الصغيرة كما المدن الكبيرة يقول الرحالة الورتلاني عن ذلك :" ... وفي الرجعة اجتمعنا بهذه البلدة مع علماء الوقت كالفقيه الأديب سيدي سالم وإخوانه وطلبته ، وقد عمّر أوقاته بتدريس العلم نحوا وفقها ".

لا تكاد تخلو معظم مواسم سفر الركب الجزائري إلى الحج من نماذج لحجاج جزائريين أعلام اشتهروا بنبوغهم وفرضوا أنفسهم ومكانتهم في أقاليم المشرق الإسلامي نذكر منهم: علي ولي بن حمزة الجزائري ، أحمد المقري التلمساني ، عيسى الثعالبي ، يحي الشاوي ، عبد العزيز التواتي ، عبد الرحمن الجنتوري ، محمد المنور التلمساني ، محمد البليدي ، عبد

عائشة غطاس: أوقاف الحرمين الشرفين بالجزائر إبان العهد العثماني من مظاهر التواصل بين الجزائر وبلاد الحجاز أعمال المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول حول " العلاقات بين دول الخليج والمغرب العربيين الواقع والمستقبل" تقديم [1]عبد الجليل التميمي وفهد بن عبد الله السماوي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس، 2005 ، ص221 .

الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، د ط ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية [2]للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974م ، ص119 .

الرحمن التتلاني ، الحسين الورثلاني ، أبو العباس الصحراوي ، أحمد بن عمار، أبوراس الناصري، علي الميلي المغربي.[1]

.....

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

المحاضرة السابعة

العلاقات الثقافية الجزائرية والمشرقية

إن العلاقات الدينية والثقافية بين الجزائر والمشرق قديمة ووطيدة ودائمة نتيجة لوجود العتبات المقدسة والمؤسسات الثقافية الفاعلة ، وكان للنخبة المثقفة الجزائرية علماء وطلبة علم دور كبير ومؤثر في ازدهار الحياة الثقافية في المشرق الإسلامي.

علماء الجزائر في المشرق :

علي ولي بن حمزة الجزائري : المعروف بالنسّاب توفي أواخر القرن 16م ، وهو عالم نابغة في علم الرياضيات ، وقد درس في مدينة اسطنبول بفضل إتقانه اللغتين العربية والتركية ، ثم عاد إلى الجزائر ومنها توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وفي مكة كان ابن ولي يعلم الحجاج علم الفرائض والحساب ألف فيها كتابه الرائد في الحساب الموسوم " تحفة الأعداد لذوي الرشد والسداد".[2]

أحمد المقري التلمساني : توفي في 1631م ويعد من أشهر أعلام الجزائر وحفاظها جال المغرب أولا ثم المشرق للحج والمجاورة ، حج المقري خمس مرات وكان كثير التردد خلالها على الشام ومصر فأقام علاقات مع علمائهما كرستها الإجازات والمكاتبات الشعرية والنثرية الوفيرة بينه وبينهم ، وفي المشرق عاش المقري حياة حافلة بالنشاط العقلي وألّف معظم كتبه هناك منها: موسوعته نفح الطيب وفتح المتعال وأزهار الكمامة وإضاءة الدجنة ، وأظهر حفظه الواسع وموهبته الأدبية فوجد تقديرا كبيرا من علماء الشام وغيرهم.وكان من ضمن الذين أجازهم العلامة المقري الشيخ شهاب الدين المصري أحد أجلاء علماء مصر في زمنه

---

[1] أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 -1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، المرجع السابق، ص ص201 - 204 .

[2] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، تقديم إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية ، 2015 ، ص ص235 - 240 .

والشيخ حنيف الدين بن مرشد مفتي الحنفية بالديار الحجازية والشيخ تاج الدين بن ابراهيم المالكي المكي الخطيب والمدرس بالمسجد الحرام.[1]

عيسى الثعالبي : المتوفي في 1669م وهو أبومهدي عيسى الجعفري الثعالبي الجزائري من أكبر فقهاء المالكية في عصره أصله من نواحي وادي يسر وطن قبيلة الثعالبة درس بالجزائر ثم ارتحل الى تونس ومنها إلى المشرق والحج والمجاورة حتى وفاته ، استقر الثعالبي في مكة المكرمة زمنا طويلا وألف فيها فهرسته كنز الرواة المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع ، وكان يتردد على المدينة من وقت لآخر ويقرئ في الحرم النبوي حيث مجلسه حافل غاص بأهل العلم ، كما امتلك الثعالبي خزانة هامة للكتب النادرة بمكة المكرمة جعلت بيه مقصدا للطلبة والعلماء. [2]

يحي الشاوي: توفي في 1682م وهو يحي بن محمد بن عيسى بن أبي البركات المليانى الشهير بالشاوي يضرب به المثل في ملازمة الشيوخ وتحصيل العلم ، ورحل مع ركب الحج الجزائري ولما قضى حجه رجع إلى القاهرة مواظبا على التعلم والتعليم واجتمع به فضلاؤها وأخذوا عنه وترقت به الحال فتصدر للإقراء بالأزهر وتولى قضاء المالكية بمصر، وكانت له سفريات الى اسطنبول حاضرة الخلافة وهناك اجتمع عليه الوزراء للتقرب منه والعلماء للبحث والإجازة ، وألف الشيخ الشاوي كتابا في النحو جعله باسم السلطان العثماني محمود الأول أتى فيه بكل غريبة.

عبد العزيز التواتي: توفي أواخر القرن 17م وهو عبد العزيز بن حسن بن عيسى القوراري التواتي من علماء ركب الحج الجزائري المغمورين جال بلاد المغرب وقرأ على كثير من علمائها ثم رحل الى المشرق سنة 1631م ودخل القاهرة ومنحه مقرئها الشيخ سلطان الإجازة لإتقانه علم القراءات وهو من العلماء الذين أغفل مؤرخو الحجاز ذكرهم على الرغم من أنه كان يعد من النابغين في علم القراءات في زمن إقامته بالحجاز. انتقل الشيخ بعد الحج إلى

أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 –1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال [1] الرحلات الحجازية، المرجع السابق ، ص ص223 – 225 .

حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، تقديم إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية [2]، الإسكندرية ، 2015 ، ص ص244 – 245 .

الطائف ولقيه فيها الرحالة العياشي الذي نزل بداره فيها ووصفه برئيس المقرئين وأستاذ المجودين.

عبد الرحمن الجنتوري : توفي في 1747م وهو أبو زيد عبد الرحمن الجنتوري التواتي من أجلّ علماء في توات التقى أثناء رحلته لأداء الحج بعلماء كثيرين أفادهم واستفاد منهم .

محمد المنور التلمساني : توفي في 1760م وهو محمد بن عبد الله بن أيوب من علماء الحديث الجزائريين ، أخذ عنه مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس عندما التقى به بمناسبة سفره للحج ، كانت له شهرة لا تضاهى في الأزهر الشريف لقدرته على الجمع بين علوم شتى ، فاجتمع عليه خلق كثير من مصر وبلاد أخرى ، اشتهر بمناظراته العلمية. [1]

محمد البليدي : توفي في 1763م وهو محمد بن محمد الشريف البليدي أحد أعيان المالكية بالجامع الأزهر الشريف العامر، ممن استقروا بالمشرق بعد أدائهم الحج عدّه المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي من أشيخ الوقت في مصر في القرن 18م مضاهيا بذلك شيوخها الملوي ، الجوهري ، الحفني ، الصعيدي وغيرهم ، ألف الشيخ البليدي في التفسير والقراءات والمنطق وتتلمذ على يديه كثيرون منهم العلامة مرتضى الزبيدي.

عبد الرحمن التنلاني : المتوفى في 1775م وهوأبو زيد عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي من أكثر شيوخ منطقة توات تأليفا ، ذاع صيته في مصر بعد دخوله إليها في رحلة عودة الركب الجزائري ، رغم أنه لم يستقر فيها زمنا طويلا وتوفي بعدها بزمن قليل.

الحسين الورثلاني: المتوفى في 1779م وهو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين صاحب الأسفار والرحلات إلى الحجاز لأداء الحج في ثلاثة مواسم متفرقة من ثلاثة عقود متتالية ، ومن العلماء البارزين الذين التقى بهم أثناء حجه مفتي بلاد الهند الشيخ المحقق محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن ، وقد اجتمع بطلبة الأزهر مرارا وأعجب بدروسه الشيخ علي الصعيدي.

أبو العباس الصحراوي : توفي في 1788م وهو أبو العباس أحمد الجزائري المعروف في المشرق بأبي العباس المغربي ، وأصله من صحراء الجزائر ذكر الجبرتي:" ... جاور بالحرمين سنة واجتمع بالشيخ أبي الحسن السندي ولازمه في دروسه وباحثه " ثم راج أمره بعد قفوله من الحج لفصاحته وقوة حفظه. أحمد بن عمار: توفي في 1791م وهو أبو

العباس أحمد بن عمار مفتي المالكية في الجزائر في عصره من المبدعين القلائل الذين جمعوا بين الفقه والأدب ، وتنقل إلى المشرق عدة مرات فجاور بالحرمين وأقام بمصر وأجاز طلبة كثيرين أشهرهم مفتي الشام في وقته الشيخ المرادي ، وتوفي بالحرمين[1].

أبوراس الناصري : توفي في 1823م وهو الحافظ أبوراس محمد بن أحمد بن أحمد الناصري المعسكري الراشدي ، وكانت بداية اشتهار أمره من جامع الزيتونة في تونس، لقي جل علماء الحجاز ومصر في رحلتيه إلى الحج وتبادل معهم الإجازات والتقاريظ إنتاجه العلمي وفير بلغ 140 مصنفا في مختلف العلوم.

علي الميلي المغربي : توفي في 1832م وهو الشيخ علي بن محمد الميلي الجزائري المالكي سافر الى الحجاز ثم الى مصر وأضحى من علمائها المحققين ينزل عندهم الأعلام من الحجاج الجزائريين ، استقر بمصر وصار له فيها شأن.

ومن أعلام الركب الجزائري كذلك الذين أشاعت رحلتهم للحج عطاءهم العلمي في بلاد المشرق قاطبة نذكر الأسماء التالية : عبد الرحيم العصنوني التواتي الذي حج في القرن 16م وزار مصر والتقى بكبار علمائها قبل أن يرجع الى بلده. أحمد مقداد البسكري فقيه من بلاد الزاب بقي في مصر لفترة طويلة بعد حجه كان لا يتخلف عن مجالس شيوخ مصر ويجالسهم ويدارسهم. سليمان القشي النقاوسي رحل إلى مصر بقصد الحجاز ، فأقام بها مدة واشتغل بالاقراء مخالطا شيوخها ثم عاد الى الجزائر لاحقا. أبو حسن علي بن ناجي من بلاد الزاب من عائلة ابن ناجي الشهيرة كانت له شهرة ومكانة في المشرق .عبد اللطيف التلمساني المسن الفاضل الذي نزل بمصر بعد الحج بالزاوية الناصرية . أحمد التليلي من شرق الجزائر له يد في العلوم كلها وبصفة خاصة التاريخ والسير. عبد القادر بن السنوسي بن دحو كان عالما عاملا له لكل علم وصول من حديث وفقه ونحو وأصول ، رجل للحج وطلب العلم فطار صيته بمصر حتى صار من نخبة أهل العصر. مصطفى بن المختار

---

[1] أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 –1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية ، المرجع السابق ، ص ص244 – 255 .

الغريسي توفي في رحلة العودة من الحج ببرقة . ويمكن أن نضيف الى أولئك الأعلام المذكورين العشرات من الشيوخ والقضاة والعلماء المتقلدين مهام إمارة ركب الحج.[1]

مجاورة المؤسسات الثقافية والدينية في المشرق:

1- مجاورة جامع الأزهر:

كان الحجاج الجزائريون لا يعدلون بقرب الأزهر مكانا حيث كانوا يقومون كراء الدور والغرف القريبة من الجامع لملاقاة المشايخ ومزاحمة هل المجالس ، فبمجرد وصول الركب إلى القاهرة يطرح الحجاج أمتعتهم بالوكالات المخصصة لذلك مثل وكالتي قايت باي وبولاق ثم يسرعون إلى البحث عن منازل قريبة من الأزهر للكراء ، وفي حالة ما إذا تعذر على الحجاج الجزائريين إيجاد منازل قريبة من الجامع الأزهر ، فإنهم كانوا يحضرون إلى الجامع يوميا ولا يعودون إلى الفنادق محل نزولهم في منطقة بولاق سوى لتحصيل الطعام والشراب ثم يؤوبون إلى الأزهر لتحصيل العلوم والإجازات[2].

وبما أن مقصد الحجاج الجزائريين في الجامع الأزهر هو رواق المغاربة فلقد أصبح هذا الرواق أوفر عددا وأكثر حركية مقارنة ببقية الأروقة وذلك بسبب توافد الحجاج عليه بأعداد كبيرة ، ويعد أكبر وأقدم رواق في الجامع الأزهر . وطلبة رواق المغاربة فهم تحت رئاسة شيخ الرواق أو وكيله وبدوره تحت رئاسة شيخ المالكية وشيخ المالكية تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر مباشرة. ويعرف وكيل رواق المغاربة باسم النقيب ويتم انتخابه من بين العلماء المغاربة المجاورين به وتحفظ كتب التاريخ أسماء بعض هؤلاء النقباء أو الوكلاء فمنهم الشيخ أبو الحسن الجزائري ، الذي استقبل بعض الحجاج الجزائريين عام 1766م وأعارهم كتاب شرح الشيخ الحطاب على مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي.

ويجذب الأعلام من الحجاج الجزائريين الى رواق المغاربة وجود مكتبة ضخمة من المصنفات الفقهية والأدبية والتاريخية وغيرها بالإضافة الى باعة الكتب المتجولين على غرار أحدهم المشتهر بالدمشقي دلال الكتب، كما كان الحجاج الجزائريون يستأنسون بوجود شيوخ صالحين لهم مكانة في مصر من أمثال الشيخ المتصوف عبد الرحمن البجائي الخلاّدي الملقب بأقطال. من أشهر الأعلام الجزائريين الذين تبوءوا مكانة مرموقة في الأزهر الشريف

---

[1] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر المرجع السابق ، ص ص 245 – 248 .

[2] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر المرجع نفسه، ص ص 227 – 234.

العالم محمد الأمير المازوني المتوفى في 1817م الذي استقر أسلافه في مصر، فنشأ واشتهر فيها وتمكن من نيل أهم منصب علمي وهو منصب مشيخة السادة المالكية ، وطار صيته في المغرب والشام والعراق[1].

لقد كان بعض مريدي العلوم من الحجاج ينفصلون عن ركب الحج ، مفضلين مجاورة جامع الأزهر نذكر منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري مؤسس الطريقة الرحمانية بقي بجواره ثلاثين سنة ، درس خلالها مبادئ الطريقة الخلوتية ، والشيخ علي بن محمد الجزايرلي المعروف بابن الترجمان. وبفضل أركاب الحج المتتالي ورودها على مصر من موسم لآخر تزايد عدد المجاورين بالجامع الأزهر من الطلبة والمشايخ الجزائريين وساهمت كثرة الأوقاف على رواق المغاربة في تيسير أعباء بقائهم في مصر وكان للأثرياء الجزائريين المستقرين في مصر دور في وقف الأملاك على رواق المغاربة وطلبة العلم منهم الحاج شعلان التلمساني[2].

2- مجاورة الحرمين الشريفين:

ومن أوائل الأعلام المجاورين الشيخ طاهر بن زيان الزواوي الجزائري توفي في 1543م حج ونزل

بالمدينة المنورة حيث اشتهر وألف كتابه نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد، أما أحمد المقري التلمساني فقد ألف كتبه في السيرة وهو في الحرمين الشريفين ، ومن العلماء في القرن 17م نذكر أبومهدي عيسى الجعفري الثعالبي الجزائري ، الشيخ محمد الفقيه الزواوي ، والحاج علي العنابي ، والشيخ خالد الجعفري المالكي الذي تصدر الإفادة والإقراء ، والشيخ عاشور القسنطيني ، والشيخ إبراهيم بن جلاب الريغي ، والحاج عبد الرحمن الغريسي الجزائري ، وخلال القرن 18م تضاعف نشاط المجاورة ليشمل علماء جزائريين آخرين منهم محمد العنابي فقد كان عالما فاضلا حج وجاور مكة سنة ومات بها في 1728م ، والشيخ محمد بن أحمد الشريف الجزائري توفي بمكة في 1746م ، والقاضي محمد بن عبد الرحمن التلمساني الذي ودع وطنه واستقر في مكة حتى وافته المنية. أما طلبة العلم الفقراء منهم فقد انتفعوا من حلقات الإقراء التي كان أثرياء مكة يقيمونها في رمضان ومن الزوايا التي أنشأها

[1] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي : الرحلة العياشية (ماء الموائد)، المرجع السابق ، ج 1 ، ص222 .

[2] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، المرجع السابق 2015 ، ص 238.

بعض السلاطين العثمانيين في المدينة المنورة. وكان علماء الجزائر ينطلقون من الحرمين إلى بلاد إسلامية أخرى مثل الشام والعراق لتحقيق أغراض مختلفة.[1]

لقد انعكس التوجه الفكري السائد بالجزائر وغيرها من الأمصار الإسلامية في ذلك العهد على مبتغى الحجاج الجزائريين في إطار رحلتهم المشرقية المقدسة ، فالتأليف أو العلوم التي كان يبتغيها الحجاج ويحرصون على نيل الإجازة فيها لم تكن تخرج عن نطاق فنون الفقه والأصول العقائد والتفسير والقراءات والتاريخ والبيان والحديث والكلام ... وما شابهها من علوم الوقت التي فرضت نفسها فرضا. وبما أن مدينة القاهرة أهم محطات الركب الجزائري ذهابا وإيابا ، فقد كان أعلام الفكر من الحجاج يقصدون علماءها البارزين فيقرؤون عليهم ويطلبون منهم الإجازة ، ومن تلك الأسماء اللامعة المقصودة الشيخ مرتضى الزبيدي الذي توفي في 1790م علم اللغة والنحو والحديث بمصر. وتأتي رواية الحديث في مقدمة الفنون التي كان العلماء الجزائريون يشدون الرحال نحو المشرق من أجل الإجازات فيها وقد أقرّ ابن أبي محلي السجلماسي الساوري بذلك. وتكون إجازات علماء المشرق لمن يطلبها من الطلبة والعلماء مكتوبة بخط يد المجيز رأسا ، وقد يكتفي العالم المجير بأن يأمر أحد تلامذته بكتابتها إملاء لسبب من الأسباب غير أنه في الأخير يختمها هو بخط يده ويطبع بخط يده عليها بطابعه. وفضلا عن الإجازات المخطوطة كان الأعلام من الحجاج الجزائريين يرجعون من رحلتهم ببعض المصنفات في علوم شتّى مثل فتوح البلدان للبلاذري . وإذا أردنا المفاضلة والمقارنة بين واقع الثقافة في المغرب والمشرق من منظور علماءنا يرى البعض يرى البعض بأن أهل المغرب يفضلون أهل المشرق في تلك الأزمنة بأمرين هما أنهم لا يعرفون تلك الصراعات المذهبية الحادة المنتشرة بالمشرق ، وكذلك أن المناصب الدينية مثل القضاء والفتوى والتدريس والإمامة والخطابة والشهادة لا تباع ولا تشترى بينهم كعادة أهل المشرق. لكن ممارسة الدجل والشعوذة وغيرها من السلوكيات الدنيئة من طرف بعض أهل المغرب جعلت نظرة أهل المشرق للمغاربة عامة تشوبها الحذر والاحتقار. وقد أقر المغاربة بسبق أهل المشرق في بعض الأمور وتمنوا مجاراتهم فيها ، منها الاعتناء بالمساجد

أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 –1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، المرجع السابق ، ص ص200 – 205 .[1]

وتعظيمها وتزيينها على خلاف أهل المغرب ، كذلك تكريهم للعلماء في حياتهم وبعد وفاتهم [1].

تأثير الطرق الصوفية :

إن الحجاج والمتصوفة كانوا يغتنمون فرصة دخول القاهرة لزيارة الصالحين فيها الأحياء منهم والميتين وقد عد الرحالة العامري التلمساني أشهرهم فمنهم : الحسان والعارف والشعراني والصحابي وسارية والإمام الشافعي وابن قاسم وأشهب وأصبغ والست نفيسة وابن عطاء الله وأبي جمة والشاطبي وخليل والمنوفي ....، وكان الحجاج الجزائريون يتلقون من أعلام التصوف الذين يقصدونهم في المشرق الأذكار والإجازات ، ويجددون عليهم العهد في الطرق الصوفية المتباينة كل حسب مراده . وبسبب ذلك السياق الصوفي الطاغي امتلأت بلاد الحرمين الشريفين بالمزارات من أضرحة وقباب الأولياء الصالحين القدامى والمحدثين ، الذين أضحى العامة والغوغاء من الناس يغالون في تقديسهم وتنزيههم ، وقد نقل الرحالة الورثلاني مثلا عن أحدهم يدعى سيدي عمر العرابي، ولاحظ بأن غالب السائلين بمكة المكرمة والمستصرخين إنما يهتفون باسمه[2] .

والملاحظ أن كثير من الطرق الصوفية التي وفدت الى الجزائر كان لها وجود وأصل في المشرق العربي مثل القادرية والخلوتية وأثرها على الطرق الصوفية التي نشأت في الجزائر كبيرا وعميقا مثل الطريقة الرحمانية والطريقة التيجانية، كما أن طرق صوفية أخرى كان مؤسسيها وزواياها الأولى في المغرب العربي ثم شهدت انتشارا في بلدان المشرق العربي مثل الطريقة الشاذلية والطريقة السنوسية وغيرها من الطرق الصوفية[3] .

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

المحاضرة الثامنة

العلاقات الاجتماعية الجزائرية المشرقية

---

[1] أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 -1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، المرجع السابق ، ص ص206 – 207 .

[2] أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 -1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية ، المرجع نفسه ، ص ص247 – 248 .

[3] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ، 2015 ، ص ص 223 – 224.

ملاحظة : أتناول في هذه المحاضرة العلاقات الاجتماعية بين الجزائر ومصر، ولتنبيه كلمة مغربي تعني الجالية المغاربية بصفة عامة .

مناطق انتشار القبائل المغربية في ريف مصر:

نتيجة لعوامل الطرد والجذب جاءت بعض القبائل المغربية ، سواء أكانت من أصول بربرية أم من أصول عربية إلى مصر في فترات مختلفة سابقة للعصر العثماني ، وقد استمر مجيء القبائل المغربية في العصر العثماني كذلك ، وأتيحت لهذه القبائل فرصة الاستقرار في مناطق الريف المصري ، بينما آثر بعض هذه القبائل حياة التجوال والترحال بين أرجاء هذا الريف وقراه وعلى أطرافه[1].

- **القبائل المستقرة** : إن منطقة الشمال الغربي من الدلتا ، وبخاصة منطقة البحيرة كانت المنطقة الأولى لاستقرار الموجة الأولى من القبائل المغربية التي وفدت إلى مصر ، وهذا أمر طبيعي يتوافق ومنطق الأحداث حيث أن هذه المنطقة أقرب المناطق المصرية الى بلاد المغرب والمعبر الرئيسي بين مصر وبلدان المغرب العربي[2] ، ولذا فإن قبائل مزانة وزناتة والهوارة ودنانة وبني يزان والرماحنة اتخذت من منطقة البحيرة والمناطق الممتدة غربي الإسكندرية وعلى أطرافها مستقرا لها في بادئ الأمر[3]، ثم حدث تحرك بعض فروعها الى مناطق الدلتا الأخرى أو إلى الصعيد.إن القبائل المغربية التي وفدت إلى مصر في العصر العثماني مثل قبائل أبو كريم ، محارب ، ابن وافى ، ترهونة ، المغاربة ، أولاد علي آثرت الاستقرار في جوار القبائل التي سبقتها فاستقرت في معظم قرى البحيرة[4] .

كما أن بعض القبائل انتشرت في مناطق أخرى حيث نجد قبائل سليم متواجدة في المنطقة الممتدة من الإسكندرية الى برقة غربا بينما انتشرت قبائل بني وهيب في المنطقة الممتدة من الإسكندرية إلى العقبة شرقا ، هذا إلى جانب وجود فروع لهذه القبائل في قرى

---

[1] جومار ، أ : العرب والعربان في مصر الوسطى ، الترجمة الكاملة وصف مصر، مجلد 02 ، ترجمة زهير الشايب ، ص ص 195 – 243 .

[2] –عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) ، المرجع السابق ، ص 32 .

[3] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ، ص ص 17 –37 .

[4] عبد المجيد عابدين : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي ، مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1961 م ، ص ص132 – 140 .

الغربية ، والدقهلية ، والشرقية والقليوبية والمنوفية . كما أننا نجد انتشار فروع القبائل المغربية مثل الهوارة والعبابدة والهنادي وسليم وبني هلال في جميع مناطق الصعيد من أسوان حتى مشارف القاهرة [1].

– **القبائل المتجولة :** إن هذه القبائل الرعوية أو المتجولة قد اتخذت من معظم الأراضي المصرية مرتعا لها ، فهم لا يعترفون بحياة الاستقرار ولا يرغبون في امتلاك الأراضي ولا يدفعون ضرائب[2] ، وهؤلاء العربان يؤثرون

تغيير مناطق إقامتهم إذا ما بدت لهم منطقة أخرى أكثر تحقيقا لبغيتهم ، وأكثر مواتاة لمشروعاتهم القائمة على السلب والنهب والاغتصاب بالقوة ، وهم دائما على أهبة الاستعداد للهروب إلى مشارف الصحراء أو التوغل في أعماقها . وأشهر هؤلاء العربان المتجولون هم الذين ينتمون إلى قبائل أولاد علي ، ترهونة ، زناتة ، محارب ، كرايم وغيرهم وكانت مناطق تجولهم غير محددة ، بل إنها تشمل معظم أطراف الريف المصري[3].

المغاربة في مدن مصر:

إن استقرار أبناء المغرب في المدن المصرية المختلفة وبخاصة القاهرة والإسكندرية وتشكيلهم جالية لها كيانها في هذه المدن سابق على دخول العثمانيين مصر بفترة طويلة[4]، وكانت تكّون ثقلا له وزنه ساعة دخول السلطان سليم الأول القاهرة . إن حجم هذه الجالية أخذ يزداد بصورة واضحة منذ بداية القرن 16م، وتسجل المصادر معلومات كافية عن التنظيمات المغربية في أهم الأحياء الحضرية في القاهرة مثل بولاق القاهرة ، مصر القديمة ، قناطر السباع ، الغورية ، الأزهر ، الحمزاوي ، الكعكيين ، البندقيين ، الأشرفية ،

---

[1] خورشيد عبد الله : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ،دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 م ، ص ص 227 – 240 .

[2] جومار ، أ : العرب والعربان في مصر الوسطى ، ترجمة زهير الشايب ، الترجمة الكاملة وصف مصر، مجلد 02 ، " العرب في ريف نصر وصحراواتها " ، ط2، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1980 ، ص 217 .

[3] محمد عبد الحميد الحناوي : دور عرب المغاربة في الإسكندرية والبحيرة منذ الفتح العثماني لمصر 1517 حتى جلاء الحملة الفرنسية 1801 م ، ماجستير ، قسم التاريخ كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، 1980 ، ص ص 36 – 45 .
وأيضا ينظر: عبد الرحمان بن حسن الجبرتي ، عجائب الأثار في التراجم والأخبار ، ج1 ، القاهرة ، 1322 – 1904 م ، ص ص 323 – 344 .

[4] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1982 ، ص 51 .

النحاسين ، المغربلين ، قوصون ، الجملون ، باب الشعرية ، باب النصر ، باب الحديد ، باب الخرق[1] .

ونتيجة للنشاطات المتعددة التي مارسها أفراد الجالية المغربية في داخل القاهرة ، وامتداد تنظيماتهم إلى كل خطط هذه المدينة أصبحت كثير من الأحياء والشوارع تحمل أسماء مغربية ، أما عن الهيكل التنظيمي للجاليات المغربية داخل المدينة فإنه كان قائما على أساس طائفي ، فكل طائفة كانت تشتغل بعمل واحد تجارة أو حرفة ، ويختارون شيخا لهم متحدث باسمهم ومدافع عن حقوقهم أمام السلطات الحاكمة [2]. وقد أصبحت تنظيمات الجالية المغربية قوة لا يستهان بها ولها دورها في توجيه سياسة النظام الإداري في المدينة ، ويرجع هذا إلى الثراء الضخم الذي أصبح عليه كثير من أفراد هذه الجالية وبخاصة فئة التجار وانتماء كثير من أفرادها انتماء عضويا إلى أوجاقات الحامية العثمانية للتمتع بامتيازاتها المادية والأدبية[3] . ولم يكن الدور الذي لعبته الجالية المغربية في بنية مدينة الإسكندرية الذي يعتبر الثغر المصري الأول على البحر المتوسط ومدن الثغور الأخرى مثل رشيد ودمياط والسويس والقصير ، وكذلك في المدن الداخلية مثل المنصورة وقيلوب ومنوف والمنيا وأسيوط وجرجا بأقل أهمية من دورها الذي كان لها في مدينة القاهرة [4].

الجزائريون والحياة الاجتماعية في المدينة:

إن اشتغال أبناء الجالية الجزائرية الذين استقروا في المدن المصرية بالعمل التجاري والحرف المهنية الصناعية وحرف الخدمات وطلب العلم والاشتغال بالتدريس جعلهم على علاقة واسعة وقوية بمختلف طوائف المجتمع المصري آنذاك [5]، ويمكن أن نرصد حالات الاندماج الاجتماعي بين الجزائريين والمجتمع المصري في النواحي التالية :

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) ، المرجع السابق ، ص 41 .

[2] عبد الرحمان الجبرتي : عجائب الأثار في التراجم والأخبار ، ج1 ، ص 33 .

[3] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، القسم الأول العصر العثماني ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد (10 –11) ، يناير 1978 م ، ص 53 .

[4] عبد القادر أحمد :المجلة التاريخية المصرية ، العدد 14 ، 1968 ، ص ص 324 – 403 .

[5] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ، ص ص 38 –48.

1 – التزواج والتصاهر: لقد أثبتت المصادر أن أبناء الجالية الجزائرية لم يكونوا منغلقين اجتماعيا فبجانب علاقة أبناء الجالية القوية فيما بينهم ، فإنهم اندمجوا اجتماعيا مع فئات المجتمع المصري ، وأصبحت ظاهرة التزاوج من مصريات وشاميات منتشرة وبصورة واسعة ، وكذلك تزويج بناتهم لمصريين وشاميين أصبحت شيئا عاديا ، فمثلا نجد السيد علي بن الشريف أحمد بن محمد بن سعيد المغربي البجاوي يتزوج بالحرمة زكية بنت عثمان عبد الله المصرية ، ونجد أن الحرمة عائشة المرأة بنت السيد محمد المغربي الجزيري تتزوج من عمر بن رمضان ديب المصري[1]. ونتيجة للرفاه الاقتصادي الذي تمتع به بعض الجزائريين فإنهم اشتروا الجواري وأعتقوهن وتزوجوا بهن سواء أكانوا جواري بيضا أو سودا ، وبما أن الجزائريين عاشوا في معظم أحياء المدن المصرية ينتج عنه أن عملية التأثر والتأثير في العادات والتقاليد والأعراف بين هذه الأسر المتصاهرة كانت واسعة وعميقة [2]. ومن الملاحظ أيضا أن بعض الأسر الغنية أبقت المصاهرة داخل نطاقها وبقي ذلك تقليدا لفترات طويلة . كذلك تم التزواج بين كثير من طلبة العلم والعلماء الجزائريين ومصريات بخاصة أولائك الذين استقروا بمصر واتخذوها وطنا ثانيا لهم ، فأحمد المقري بعد أن استقر به المقام في مصر 1619م تزوج بمصرية [3].

2– الاشتغال بالحرف المهنية والخدمات وأثره في انتشار العادات والتقاليد الجزائرية :

لقد اشتغلت الجالية الجزائرية بالحرف المهنية والصناعية وحرف الخدمات في معظم أحياء المدن المصرية التي عاشوا فيها ، وكانت هذه الحرف التي تمس حياة المجتمع بصورة واضحة مثل الطحانة والقصابة والقبانة والسمسرة والصيرفة والدولبة وعصر الزيوت وصناعة المنسوجات وغير ذلك من الحرف التي تحتاج دائما إلى الاحتكاك المستمر بين أفراد المجتمع والتعامل فيما بينهم وهذا ما حدث مع أبناء الجالية الجزائرية المشتغلين بهذه الحرف ، فقد توطدت علاقاتهم بفئات المجتمع المصري وتعاملوا معها بيعا وشراء وتأدية خدمات ،

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) .. ،المرجع السابق، ص ص 113–119 .

[2] عمر كامل توفيق : الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصور الوسطى ضمن أبحاث " مجتمع الإسكندرية عبر العصور " جامعة الإسكندرية ، 1975، ص 254 .

[3] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، تقديم إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية : 2015 ، ص ص 120 – 128 .

وأصبحت حوانيتهم ووكالتهم تتعامل مع أبناء المجتمع المصري ، وعن طريق هذه المعاملات أثروا في هذا المجتمع كما تأثروا به ، وانتشرت العادات والتقاليد الجزائرية نتيجة لهذا الاختلاط بصورة واضحة في مجتمع المدينة المصرية حتى انتشار الزي الجزائري أصبح شائعا بين كثير من فئات الشعب المصري ، وكذلك انتشرت الأطعمة الجزائرية في أحياء المدن المصرية ، وبصفة خاصة في مدينتي القاهرة والاسكندرية ، كما أن قطاعا كبيرا وبخاصة في مجتمع الاسكندرية تأثروا الى درجة كبيرة باللهجة الجزائرية التي لا تزال تأثيراتها واضحة حتى يومنا هذا ، وقد كانت عمليات التزواج التي سبقت لنا معالجتها أكثر ما تكون بين قطاع هؤلاء الحرفيين نتيجة لارتباطهم الشديد بغالبية المجتمع [1].

وليس هذا فقط بل إن تأثيرات المشتغلين بهذه الحرف نظرا لانتشارهم الواسع امتدت لتشمل قطاعات أخرى خارج مجتمع المدينة ، فامتدت الى المناطق المحيطة بهذه المدن ، وقد ظهر ذلك واضحا في الدلتا حيث انتشر كثير من أبناء الجزائر في معظم مدن الدلتا حيث تركوا تأثيراتهم الذي شمل أيضا أبناء الجاليات الأخرى التي كانت تعيش في المجتمع المصري ، مثل الشوام والسودانيين . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التأثير كان متبادلا فكما أثّر أبناء هذه الفئة في تلك النواحي ، تأثروا هم في بعض جوانبها بالعادات والتقاليد والأعراف المصرية وغيرها من الطوائف الأخرى، وفي كثير من الأحيان نقلوها إلى بلادهم[2].

3 – فئة التجار ودورها في التأثير الاجتماعي :

لقد أصبحت فئة التجار تلعب دورا ضخما في الحياة الاقتصادية المصرية ، وتعددت مجالات استثماراتها لرؤوس أموالها ، وتشابكت مصالحها مع مصالح الطبقات العليا في المجتمع المصري وبخاصة مع الأمراء المماليك ورجال الإدارة وباشوات مصر وعلمائها ، وتفيض المصادر في تضخيم دور هؤلاء التجار والمكانة الاجتماعية التي أصبحوا فيها حتى كونوا فئة ذات تمايز اجتماعي واضح وبخاصة أولئك الذين ينتمون إلى أسر مغاربية مثل الشرايبي والمحروقي وحدق والكهن والسقاط ، وينعت أفراد هذه الأسر بألقاب وصفات مثل "

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) .. ، المرجع السابق ، ص ص 115–116 .

[2] عبد الرحمان الجبرتي : عجائب الأثار في التراجم والأخبار ، ج2 ، ص ص 217 .

عين أعيان الكرام " : فخر التجار المكرمين " تدل على علو المكانة الاجتماعية التي حصلوا عليها وتأثيرهم في المجتمع المصري[1].

كذلك حصلت فئة كبار التجار بالإسكندرية على نفس المكانة الاجتماعية المتمايزة وعن طريق هذه المكانة استطاعت أن تلعب دورها في التأثير الاجتماعي على بنية المجتمع المصري الاجتماعية ، نتيجة لاتساع دائرة علاقاتها الاجتماعية التي اشتملت كل الفئات من فئة الأمراء ورجال الإدارة إلى الفئة الفقيرة المعدمة ومد يد الإحسان لها حتى حظيت بتقدير الجميع[2] .

4 – العلماء وطلبة العلم :

كان العلماء وطلبة العلم الجزائريين الذين أتوا للدراسة والتدريس بالأزهر والمدارس المصرية أحد القنوات المؤثرة في المجتمع المصري خلال العصر العثماني المتأثرة به ن فقد حاز العلماء منهم على مكانة علمية عالية جعلتهم قبلة فئات لمجتمع يؤمونهم ليفتونهم في مسائل دينهم وأحوالهم الشخصية ، ولينتفعوا بعلمهم ويأخذوا عنهم ، وأصبح لهؤلاء العلماء روادهم وطلابهم من المصريين الذين لا شك أنهم تأثروا بهم ونقلوا هذا التأثير إلى محيط أسرهم [3]، وقد تولى العلماء الجزائريين بعضا من المناصب المؤثرة منها نيابة القضاء وغيرها مما جعل أثرهم يبرز في محيط المجتمع المصري في القاهرة والإسكندرية وغيرها ، وكذلك كان تأثير الفقيه الجزائري وكاتب التمائم في مجتمع الريف المصري ، لا يقل حجما عما عليه حجم تأثير العلماء في مجتمع المدينة ، هذا فضلا عن العلماء الذين تولوا مشيخة رواق المغاربة ونظارة أوقافه وجمع ريعها أصبحوا أكثر احتكاكا بفئات الشعب التي كانت تنتفع بهذه الأوقاف ، وكان لهم أثرهم على هؤلاء المنتفعين ، ولم يجعل من هؤلاء العلماء من أنفسهم طبقة متميزة عن الشعب بل شاركوه همومه ومشاكله التي كان يعيشها واندمجوا معه على

---

[1] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ، ص ص 115 – 120.
عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) ، المرجع السابق ، ص ص 115–116 .
عبد الرحيم عبد الرحمان : دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، القسم الأول العصر العثماني ، المجلة [2] التاريخية المغربية ، العدد (10 –11) ، يناير 1978 م ، ص 64.

[3] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر المرجع السابق ، ص ص 221 – 233.

السراء والضراء ، فزاد تأثيرهم قوة بل أن هناك من العلماء الجزائريين الذين اتخذوا من مصر وطنا لهم عاشوا عيشة المجتمع المصري بكل مقوماته[1] .

أما طلبة العلم فقد كان اختلاطهم بأساتذتهم وبزملائهم من المصريين له آثاره البعيدة عليهم فقد تأثروا بالعادات والتقاليد المصرية وأثروا فيها ، وخاصة أن بعض هؤلاء الطلاب طالت مدة اقامتهم بمصر ، ولم تعد اقامتهم قاصرة على طلب العلم ، بل اشتغلوا ببعض الحرف التي تدر عليهم بعض الربح كما رأينا ، هذا فضلا عن تكوينهم أسر داخل هذا المجتمع وزواج كثير منهم من مصريات[2] ، مما جعلهم يتعبون بالحياة الاجتماعية المصرية بأوسع معانيها . وأصبح الكثير منهم يحترف القراءة على القبور وفي المساحد نظير أجر معين ، كما تولى بعضهم وظائف النظر على مثل هذه الأمور مما جعلهم أكثر ارتباطا بطوائف المجتمع المصري[3].

5 – المغاربة والحامية العثمانية :

كان لاوجاقات العثمانية منذ بداية العصر العثماني امتيازاتها المادية والأدبية الكبيرة في المجتمع المصري في المدينة والريف على السواء ، ومنذ القرن 17م بدأ الانتماء الى هذه الاوجاقات من بعض طوائف المجتمع المصري للتمتع بامتيازات هذه الأوجاقات ، وقد شاعت هذه العملية حينما بدأت عملية بيع تذاكر العلوفات تصبح شيئا معترفا به من قبل الادارة[4] ، وقد استغلت فئة التجار هذه الفرصة وبدأت تشتري هذه التذاكر وتنسب نفسها إلى أوجاقات الحامية المختلفة ، كذلك استغل العربان الجزائريين في الريف فرصة الانتماء الى الحامية فادعواالانتماء الى بعض أوجاقاتها للتمتع بامتيازاتها على السكان[5] .

6 – التأثير الاجتماعي عن طريف علاقات الانتاج :

---

[1] محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1378 هـ / 1958م ، ص ص17 – 18 .

[2] عبد الرحيم عبد الرحمان : دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، القسم الأول العصر العثماني ، القسم الثاني القرن التاسع عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد (12) ، يوليه 1978 م ، ص 186.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي : الأزهر في ألف عام ، ج2 ، القاهرة ، ص ص 2–21.

[4] يوسف الملواني : تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، نسخة الكترونية ، مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي رقم 80 ، ص237 .

[5] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) ، المرجع السابق ، ص ص 120 –125 .

رأينا كيف أن فئة كبيرة من التجار من التجار الجزائريين ومن المشتغلين بالحرف الصناعية ، استثمروا فائض رؤوس أموالهم في التزام الأراضي الزراعية ، وامتلاك العقارات وتشغيل بعض المصريين لانتاج بعض السلع لحسابهم الخاص ، وقيام علاقات انتاجية واسعة بين قطاعات كبيرة من الشعب المصري ، ومايدل على تأثير المغاربة القوي على المجتمع المصري أن كثيرا من أحياء وشوارع وحارات ودروب وأسواق ووكائل المدن الكبرى وبخاصة القاهرةوالاسكندرية ومدن الثغور الأخرى أصبحت تحمل اسم المغربي ، المغاربة .. وقد قدرت الادارة دور هذه الجالية في المجتمع المصري ، فلم تعد تصدر أمرا يخص حياة هذا المجتمع ومصيره الا بحضور أعيان المغاربة[1] .

الجزائريون والحياة الاجتماعية في الريف المصري :

نقصد بهذا الدور ، دور العربان المغاربة (بني وافى ، أبو كرايم ، محارب...) على الحياة الاجتماعية في الريف المصري ، وقد كان العربان يتجولون في ربوع مصر شمالها وجنوبها ، وقد تميز دور هؤلاء العربان على الحياة الاجتماعية في الريف المصري في معظم جوانبه بالسلبية ، وكانت شاملة للعربان المتجولين وومعظم العربان المستقرين ، فقد جعل هؤلاء العربان من أنفسهم طبقة متميزة على أبناء البلاد من الفلاحين وتعالوا عليهم ، أما العربان المتجولون والذين كان يطلق عليهم عرب الخيش فقد أصبحوا مصدر رعب وارهاب للفلاحين ، ونهبوا وسلبوا مزروعاتهم وحيواناتهم ورغم ذلك كان الفلاحون يحترمونهم كسادة لهم [2].

ومع تمتع هؤلاء العربان بكل هذه الامتيازات التي فرضوها على الفلاحين ، فانهم لم يكونوا يشاركونهم لا في تطهير الترع ولا في اقامة الجسور ، أو غير ذلك من المشروعات العامة التي تسهل على الفلاحين عملهم ، اعتقادا منهم أنهم يقدمون للفلاحين حمايتهم نظير ما يقدمونه لهم من هبات وخدمات ، مع أن هذه الحماية في غالب الأحيان ضارة بالفلاحين. لكن دور العربان الذين احترفوا الزراعة كان ايجابيا في المناطق التي استقروا فيها ، حيث

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم: الريف المصري في القرن الثامن عشر، القاهرة ، جامعة عين شمس، 1974 م، ص 93 .

[2] جومار: المرجع السابق : ص ص209 – 213 .

عمّ قرى هذه المناطق الأمن والاستقرار والرخاء الاقتصادي مثل منطقة مصر العليا التي عمها الرخاء بسبب تواجد عربان الهوارة [1].

أتناول في هذا القسم من المحاضرة العلاقات الاجتماعية بين الجزائر والحجاز .

التواصل الاجتماعي : من مظاهر التلاقي والتواصل بين الجزائريين والمشرق نذكر أمثلة دالة على العلاقات الدافئة بين هذه الأطراف .

– في الريف المصري تعرف الحجاج الجزائريون على النيل عن كثب ، وشاركوا الفلاحين المصريين سعادتهم بفيضان النيل ، وإقامتهم الأفراح بعد انحسار مياهه التي غمرت الأرض أربعين يوما، وتعد بركة الحاج من نقاط التماس المباشر بين الحجاج وغيرهم نظرا لخروج الجميع إليها حجاجا لمواصلة السفر وسكانا للتنزه ومرافقة الركب ، كما يتعارف الحجاج بحجاج الشام في محطة رابغ ، حيث يخيمون بالقرب منهم ثم ينفضون أخبيتهم ويرحلون قبلهم . وعلاقات الحجاج في رحلة الحج لم تكن مقتصرة على المسلمين فقط فقد التقى الحجاج في إحدى رحلاتهم بنصارى مصر الأقباط منعزلين في كنائس بوادي الرهبان في الريف الغربي المصري لا يدخل عليهم أحد من غير جنسهم .

– وفي الحواضر تعتبر المحطة المصرية أهم المحطات الحضرية في طريق ركب الحج نظرا لميزتها من جهة ، وطول فترة الإقامة في الذهاب والإياب من جهة أخرى ، فالقاهرة في نظر المغاربة هي المدينة الجامعة لكل خير ، ويشجع الحجاج على زيارة أحياء القاهرة والتواصل مع مجتمعها وجود عائلات جزائرية من قسنطينة والجزائر وتلمسان ووهران استقرت في مدينتي القاهرة والإسكندرية منذ مطلع القرن 16 م منها عائلات ابن فسنطيني وبن منديل وبن قريش والقرموني وبوزيان وبونهار والصباحي والحناوي والوهراني والصباغ والتمراني والسايح وشعلان .

– ويقوم الحجاج بزيارة مسليات المدن المصرية ويشاهدون عجائبها المتعددة مثل أهرامات الجيزة حيث اندهشوا من شكلها وضخامتها. وقد نزل بعض الحجاج الجزائريين بالقاهرة ضيوفا على نقيب كسوة الكعبة المشرفة في أحد المواسم واطلعوا على ظروف نسج الكسوة الشريفة .

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : الريف المصري، المرجع السابق ، ص ص 157 – 167 .

– وتوجد بمدينة القاهرة أسواق لبيع الإماء والجواري على اختلاف أصولهن وأعمارهن ويقبل على شرائهن ميسورو الحال من الحجاج كما فعل شيخ الركب الجزائري ذات موسم حيث قام بشراء أمة علجية أوروبية من أحد الأسواق بمبلغ كبير من سكة العصر الفضية .[1]

– ومما يدل على جرأة الحجاج الجزائريين في تفاعلهم مع مستجدات محيطهم أن وفدا منهم أصر على لقاء شريف مكة الأمير مساعد بن سعيد (ت1770) طلبا لتعويض إبلهم التي أغار عليها عرب الحجاز عند أحد الآبار وحصلوا على مرادهم .[2]

– ويتميز أهل الحرمين الشريفين ببعض العادات التي أثارت انتباه الحجاج منها التهنئة بحلول الشهر أي شهر كان ، ولا يقصرونها على الأعياد وما شاكلها، فيهنئ الواحد منهم أقاربه وأصحابه في أول يوم من كل شهر وعادات أخرى في الزواج تأثر بها الحجاج.

– وكان تواصل الحجاج بالمدينة المنورة مع فئة مميزة تتولى خدمة الروضة الشريفة والمسجد النبوي ، إنهم عبيد أغوات موقوفون على ذلك لا يشاركهم غيرهم وشيخ الحرم المدني هو كبيرهم ، والأغا يقصدون به هناك الخصي من العبيد أو الطواشي . وقد يقوم البعض من الجزائريين بإرسال عدد من هؤلاء العبيد الخصيان مع أركاب الحج الى الحرمين الشريفين تحبيسا. ونظرا لوجود قبور شهداء أحد بالقرب من المدينة المنورة فإن الحجاج رافقوا أهل المدينة في خروجهم المعتاد كل يوم خميس لزيارة قبر حمزة (ض) وبقية الشهداء.

– شكلت الملاقية التي كانت تقام لأركاب الحج عند عقبة أيلة في الدرب الحجازي فضاء لاجتماع الحجاج بالسكان الحضر من أهل الشام وغزة ومصر ، وتنصب أثناءها سوق كبيرة بين الحجاج ومستقبليهم .أما سكان مدينة القاهرة فإنهم كانوا يستقبلون الحجاج بالفول والدقيق وأصناف الطعام الأخرى ، فيخرجون الى بركة الحاج لملاقاة الركب المصري والجزائري وغيرهما ، والتبرك بمقابلة الحجاج العائدين من الحرمين الشريفين[3].

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) ، المرجع السابق ، ص ص 126 –127 .

[2] الحسين بن محمد الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ الأخبار (الرحلة الورثلانية) ج03، المصدر السابق ، ص 231 .

[3] أبوراس الناصري : فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، د ط ، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص115 .

مجاورة الحرمين الشرفين : كانت ظاهرة المجاورة بالحرمين الشريفين بالنسبة للحجاج الجزائريين تكاد تكون مقتصرة على الأعلام من العلماء من ركب الجزائري ذكرنا عدد منهم سابقا ، وكان منهم أيضا تجار يساهمون في أعمال الخير والحملات التطوعية في الموسم مثل الحاج علي العنابي التاجر الذي انتفع المجاورون المغاربة من إنفاقه وكرمه. والشيخ إبراهيم بن جلاب الريغي أحد أقارب بني جلاب بتقرت حيث جاور بالحرمين عدة سنوات ختمها سنة 1664 م . والحاج عبد الرحمان الغريسي الجزائري الذي كان يستقبل الحجاج الجزائريين والمغاربة في المدينة المنورة ، ومن ثم يعرفهم بمشايخها الأفاضل ويجمعهم بها، والتاجر الحاج حسن الجزايرلي الذي مكث بالحرمين الشريفين لسنوات من أجل الاتجار ، ثم قدم بعائلته الى مصر وصار من أغنياء لبلاد. أما طلبة العلم الفقراء منهم فقد انتفعوا من حلقات الإقراء التي كان أثرياء مكة يقيمونها في رمضان ، ومن التكايا التي أنشأها بعض العثمانيين بالمدينة المنورة .

إن معظم المجاورين الجزائريين كانوا يستغلون وجودهم بالحرمين الشريفين لزيارة الأقاليم المجاورة ، والمدن المشهورة فيخرجون من مكة مع الركب العراقي العائد الى بلده أو من المدينة المنورة بمعية الركب الشامي فنجد أحمد المقري وأبوراس الناصري ممن اشتهروا بزيارة بلاد الشام ومصاحبة علمائها وأمرائها بعد أداء فريضة الحج ، في حين فضل الأمير عبد القادر ووالده محي الدين زيارة العراق والنزول بمدينة بغداد. والملاحظ كذلك أن البقاء في الحرمين الشريفين أو المغادرة يرجع الى نوعية المجاورين وأسباب مجاورتهم فإن كانوا ممن فروا بدينهم من الناس والفتن وحكام الجزائر فإنهم يرغبون في البقاء هناك حتى يقضي الله أمره ، وان كانوا ممن قصده طلب العلم أو انتظار موسم الحج الموالي فأكثر هؤلاء يقطع جواره بعدما ينال مراده ، ورغم ظروف المجاورة القاسية وتقلبات الأوضاع الأمنية والسياسية في الحجاز بسبب الصراع المتجدد بين أشراف مكة على الحكم الا أن المجاورين الجزائريين كانوا يتمنون البقاء في رحاب الحرمين الشريفين أطول مدة ممكنة ولو أعوزهم المال وسوء الحال[1] .

---

[1] أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 –1830م)، المرجع السابق ، ص ص200 – 205 .

أوقاف الحرمين مكة والمدينة:

هي نموذج لعلاقات التضامن الاجتماعي بين الجزائر والحجاز، ومن أشهر مؤسسات الوقف الجماعية في الجزائر إدارة سبل الخيرات الحنفية، وكانت مؤسسة كبرى شبه رسمية، وأما إدارة أوقاف مكة والمدينة فهي لا تقل أهمية عن مؤسسة سبل الخيرات رغم أن الأولى أكثر ثروة حتى قال بعضهم إنها كانت تشمل ثلاثة أرباع الأوقاف العامة، ويذهب بعضهم أن مؤسسة مكة والمدينة قديمة فقد كانت موجودة قبل العهد العثماني[1].

كانت مؤسسة مكة والمدينة تدار من قبل مجلس من أربعة أشخاص وقد تتسع لأعضاء آخرين، وقد كان مجلس هذه الأوقاف يتكون في العادة من اثنين تركيين عسكريين واثنين مدنيين من أهل الحضر، وغالبا من أهل الأندلس ، وكان على رأس المجلس وكيل يعينه الباشا كما الباشا كان لها وكلاء في المدن الجزائرية الأخرى ، وكانت مؤسسة مكة والمدينة تدير بعض الأوقاف المحلية سواء مالكية أو حنفية ، وهي الأوقاف التي يؤول فائضها الى فقراء المدينتين الشريفتين[2].

وتدل الإحصائيات التالية على أهمية مؤسسة مكة والمدينة في الحياة الاجتماعية فقد ثبت أن هذه المؤسسة كانت تملك في آخر العهد العثماني الأوقاف التالية : 840 منزلا ، 258 دكانا ، 33 مخزنا ، 82 غرفة ، 3 حمامات ، 11 كوشة ، 4 مقاهي ، فندق واحد ، 57 بستانا ، 62 ضيعة ، 6 أرحية ، 201 إيجار. ولمؤسسة مكة والمدينة أهمية سياسية أيضا فقد كانت تمثل وجه الجزائر في العالم الإسلامي وكان ركب الحج الجزائري يحمل كل سنة كمية هائلة من النقود والذهب والفضة والألبسة وغيرها الى فقراء مكة والمدينة وخدام الحرمين الشريفين. وكان لعواصم الأقاليم أيضا أوقاف خاصة بأملاك مكة والمدينة على غرار ما كان في مدينة الجزائر، وكان ركب حجيج كل إقليم يحاول أن يفوق على نظرائه في الثروة والجاه

عائشة غطاس: أوقاف الحرمين الشرفين بالجزائر إبان العهد العثماني من مظاهر التواصل بين الجزائر وبلاد الحجاز أعمال المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول حول " العلاقات بين دول الخليج والمغرب العربيين الواقع والمستقبل" تقديم عبد الجليل التميمي وفهد بن عبد الله السماوي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس، 2005 ، [1] ص 209.

خليفة حماش : دكان الحرمين الشرفين في مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدارة ، العدد 1 ، دار الملك عبد [2]العزيز ، الرياض ،2009م ، ص99 .

. ومن أشهر من حمل صدقة مكة والمدينة من قسنطينة بعد عبد الكريم الفكون القاضي أحمد العباسي[1].

.....

المحاضرة التاسعة

العلاقات الاقتصادية الجزائرية المشرقية



قدر لأبناء الجالية الجزائرية الذين استقروا في المدن المصرية قبل العصر العثماني أو الذين وفدوا إليها خلال هذا العصر ، أن يكون لهم دور المشاركة الفعالة في أوجه النشاط الاقتصادي المصري طوال العصر العثماني ، سواء أكانت نشاطات تجارية داخلية أو خارجية ، أم كانت نشاطات صناعية وحرفية أو استثمارية ، وقد كان دور أبناء الجالية الجزائرية في هذا المضمار دورا ايجابيا ومؤثرا[2] .

1- الوكالات والأسواق كمنظمات تجارية مغربية : تم إحصاء 123 وكالة تجارية ومهنية كانت قائمة في القاهرة خلال الفترة العثمانية ، واتضح أنه لا تكاد تخلو وكالة في القاهرة والإسكندرية من وجود طائفة من التجار المغاربة وأصحاب المهن الصناعية ، بل إن كثيرا من هذه الوكالات سيطر عليها المغاربة سيطرة كاملة ، مثل وكالة الزيت ببولاق فقد كانت بمثابة منظمة لتصنيع الزيت وتجارته ، كذلك مثّلت وكالة الماوردي منظمة تجارية مغربية ضخمة للمتاجرة في مختلف أنواع السلع ، وأيضا وكالة الجراكسة التي كانت متخصصة في تجارة البن ، ووكالة الكعكيين التي اشتهرت ببيع الدهانات ، ووكالة السكر ببولاق ووكالة المرجان بالقاهرة ، ووكالة المغاربة بخط طولون ووكالة فتح الله الناضوري بالإسكندرية ، وفي وكالات الإسكندرية الأخرى التي أصبحت تمثل منظمات مغربية تجارية وكالة سنان باشا ووكالة الحدادين وغيرها[3] .

---

[1] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 210 .

[2] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 -1798)، المرجع السابق ، ص 62 .

[3] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، تقديم إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية ، 2015 ، ص ص 140 - 142 .

استهلاكية ، لا يستطيع أي مجتمع الاستغناء عنها فكلها من الضروريات وليست من الكماليات ، ولذا فإنها عادت بالربح الوفير على المشتغلين بالمتاجرة فيها[1].

وقد اتسع نشاط التجار المغاربة وبخاصة تجار الأقمشة وتجار البن وأصبحوا يقومون بعمليات الاستيراد والتصدير بين موانئ مصر وبلاد الحجاز واليمن والموانئ الهندية من جانب ، وبين موانئ مصر على البحر المتوسط والموانئ المغربية والأوروبية والشامية ، وأصبح لهؤلاء التجار وكلاء مقيمين في هذه الموانئ لتصريف أمورهم نيابة عنهم ، وبذلك اتسعت دائرة نشاطهم التجاري ، ولم تعد قصرا على النطاق المحلي بل شملت النطاق الخارجي مما مكنهم من جمع ثروات ضخمة[2] .

3 – الاستثمارات :

كانت المجالات التي اتجه التجار الى استثمار فائض رأسمالهم فيها : مجال التزام الأراضي الزراعية ، اسقاطا ، ورهنا ، ومجال شراء العقارات سواء أكانت معدة للسكن أم كمحال تجارية ووكائل وخانات .

لجأ الأمراء المماليك الى كبار التجار ليقترضوا منهم الأموال بضمان التزاماتهم الزراعية ، فكانوا يقومون باسقاط هذه الالتزامات للتجار نظير الأموال المقترضة ، وحتى تظل الالتزامات بأيديهم يقومون في نفس الوقت باستئجارها منهم مرة ثانية ، وتصبح قيمة الايجار بمثابة الربح الذي تدره الأموال المقترضة باسم اسقاط الالتزامات ، ولذا فإن معظم التجار أصبحت بأيديهم التزامات عديدة وفي مناطق مختلفة ، دون أن يذهبوا الى مواقع الالتزامات أويرونها ، وهي واردة في سجلات الرزنامة الرسمية ومزاد الديوان العالي .[3]

أما المجال الثاني الذي ولجه التجار لاستثمار الفائض من رأسمالهم التجاري فهو مجال امتلاك العقارات بمختلف أنواعها في القاهرة والمدن المصرية الأخرى ، فاشتروا الدور والخانات والوكائل والحمامات والدكاكين والمخازن والحواصل ، لاستعمال بعضها الاستعمال الخاص ، وتأجير البعض الآخر نظير إيجار سنوي أو شهري حسب العقد الذي يتم بين

---

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، القسم الأول العصر العثماني ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد (10 –11) ، يناير 1978 م ، ص68.

[2] عبد الرحمان الجبرتي : عجائب الأثار في التراجم والأخبار ، ج1 ، المصدر السابق، ص ص 87 – 88 .

[3] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) ،المرجع السابق ، ص ص 90 –93 .

الطرفين المؤجر و المستأجر، ومن المفيد أن هؤلاء المالكين قاموا بوقف الكثير من هذه العقارات اما على أنفسهم حال حياتهم ، ثم على ذريتهم من بعدهم أو على أوجه البر وطلبة العلم أو رواق المغاربة أو قراءة القرآن الكريم أو على فقراء المسلمين والحرمين الشريفين [1].

المغاربة والأنشطة الصناعية والحرفية :

استطاع أبناء الجالية المغربية منذ مطلع العصر العثماني في مصر أن يلجوا أبواب معظم الحرف المهنية والصناعية التي كانت سائدة في مصر آنذاك ، وفي مختلف المدن المصرية بل أنهم نقلوا إلى مصر حرفا جديدة واحتكروا الاشتغال بها واستطاعوا عن طريق احتكارهم لهذه الحرف أن يكونوا رأسمال ضخم .

الحرف الصناعية وراتباطها بالتجارة : وتمثلت في عصر الزيوت ، صناعة الصابون ، غزل وصناعة الأقمشة ، صناعة الأحرمة ، صناعة الشيلان المغربية ، صناعة العطور ، صناعة السكر، صناعة القفاص ، صناعة الحصر ، صناعة الأدوات الحديدية ، دباغة الجلود ، صناعة الأدوات الخشبية ، النجارة ، صباغة الملابس ، صناعة المجوهرات والأحجار الكريمة ، صناعة السروج ، صناعة القزازة ، صناعة المخلل ، صناعة الملابس الصوفية والقطنية البلدي منها والرومي وحياكتها ، وصناعة المنسوجات الكتانية بأنواعها والسجاد[2].

تلك هي أهم الصناعات التي اشتغل بها المغاربة في القاهرة والإسكندرية والمدن المصرية الأخرى . وقد كان المغاربة المتخصصون في هذه الصناعات يتدرجون في مراتب هذه المهن الطائفية طبقا لنظام الطوائف من صبي في الصنعة إلى استا إلى المعلم ، حتى وصل الكثير منهم إلى مشيخة الطائفة سواء في الحي أو في المدينة . وكان لأبناء المهنة الواحدة من المغاربة شيخهم ونقيبهم ووكيل لهذا الشيخ الذي يشرف على اشتغالهم بهذه المهنة ، ويحصل الضريبة المفروضة على الطائفة ، ويفض المنازعات التي تحدث بين أفرادها ملتزما بقواعد المهنة . لقد استطاع أصحاب ورش انتاج السلع المختلفة تكوين ثروات

---

[1] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ، ص 95 .

[2] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798)، المرجع السابق ، ص ص 80 –85 .

ضخمة نتيجة للأربح التي درتها عليهم عملية انتاج هذه السلع وأسلوب تسويقها وبدأوا يستثمرون فائض رأسمالهم هذا في نفس المجالات التي استثمر كبار التجار فائض رؤوس أموالهم زراعة وعقارات وغيرها[1] .

الحرف غير الصناعية وحرف الخدمات: وتتمثل في الدلالة ، الطحانة ، القصابة ، البياضة ، الصرافة ، القبانة ، التراسة ، الدولبة في المقاهي ، البوابة ، العتالة ، النظارة بالحمامات ، الحلاقة ، الغربلة ، الحياكة ، اللبانة ، الشواية ، الحلوانية ، النحاتين ، النشارين ، والسمسرة ، معداوية الميناء . وأصبحت هذه الحرف شبه وراثية طبقا للنظام السائد وكانت إدارة هؤلاء الحرفيين إدارة شبه ذاتية ، وعموما فإن المشتغلين بهذه الحرف كانت دخولهم منها تكفي معاشهم وأسرهم ولم يكوّنوا منها ثروة كبيرة ، وكان معظمهم لا يملك عقارات خاصة بهم[2] .

أتناول في هذا الجزء من المحاضرة العلاقات الاقتصادية بين الجزائر والحجاز .

التجارة مع الحجاز :

– ارتبط الحج على مر العصور بالنشاط التجاري الموازي لخط مناسكه في كل موسم ، فالمزاوجة بين الحج والتجارة كانت ولا تزال وثيقة في سفر أركاب الحج الى الحجاز هذه الأركاب التي وجدت نفسها مجبرة على ضمان مصادر لتموين أفرادها بالزاد والمعاش وتعويض المصاريف المالية المطردة منذ مغادرة البلاد . وقد كان حجم رؤوس الأموال الموظفة في تجارة الحج أواخر العهد العثماني كبير، فقد تجاوزت قيمته مليوني فرنك سنويا في الرحلة الواحدة [3].

– لم تكن هناك في الواقع علاقات تجارية بين الحجاز والجزائر، ولكن كثيرا من السكان وجزءا من التجار يتوجهون سنويا الى مكة والمدينة يحجون بيت الله الحرام ، ثم يبيعون ما حملوه معهم من بضائع جمعوها من مختلف البلدان التي مروا بها ، ويشترون مكانها

---

[1] حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر المرجع السابق ، ص ص 100 – 112 .

[2] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 –1798) .. ، ص ص 80 – 85 .

أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 –1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه ، اشراف محمد حوتية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية ، جامعة أدرار ، 2017 /2018 ، ص ص181 – 182 . [3]

منتوجات شرقية تعود عليهم بأرباح طائلة عندما يرجعون ، وقد كان هذا النوع من النشاط التجاري يعرف رواجا كبيرا في ذلك الحين ، وكانت له أهمية كبرى[1].

– وفضلا عن وجود فئة الحجاج التجار غالبية الركب الذين لم يحرفوا التجارة من قبل ، لكنهم اضطروا الى امتهانها، هناك فئة التجار الحجاج الذين تمثل لهم رحلة الحج أفضل استثمار ناجح لأموالهم، فهم يتحينون سفر ركب الحج حتى يذهبوا في رحاله مثلما فعل عدد من التجار المزابيين عندما استغلوا مرور ركب الحج بأرضهم للسفر معه [2].

– ويمثل ميناء حلق الوادي بتونس محطة الربط الرئيسية بين البضائع المشرقية والبضائع المغاربية كما أن نسبة كبيرة من تجارة البلاد المصرية مع أقاليم المغرب كانت تتم عن طريق ميناء الإسكندرية بالإضافة الى ما تقوم به أركاب الحج البرية المحملة بالسلع، وساهم في تسهيل تلك الحركية التجارية وجود وكلاء للمغاربة في مصر على رأسهم شيخ طائفة المغاربة الذي يسير على ضمان حقوق التجار المغاربة والدفاع عن مصالحهم أمام السلطات المصرية ، وقد كان تجار القاهرة يعقدون صفقات تجارية مع الحجاج المغاربة يقوم الحجاج بموجبها بنقل البضائع ما بين مصر والحجاز ذهابا وإيابا مقابل حصولهم على ما نسبته 10 بالمائة من الأرباح عن البضائع المصرية و15 بالمائة من الأرباح عن البضائع الحجازية.[3]

– ومن العروض المحفزة لتعاطي التجارة في ركب الحج إعفاء البضائع المحملة في رحال الحجاج من دفع نصف الرسوم الجمركية عند دخولها الى مصر والحجاز ، وهو الاجراء الذي ظل معمولا به الى غاية منتصف القرن 16 م ثم ما لبث الوضع أن زاد تحفيزا وسمح للحجاج بنقل بضائعهم دون رسوم . في نهاية القرن 18 م . وقد راسل والي مصر داي الجزائر مخبرا إياه بإعفاء الجزائريين المتوجهين الى الحج من أداء الرسوم الجمركية في المنافذ والموانئ المصرية ، وفي كل مدينة أو قرية يمر بها الركب ، وكان الحجاج يتاجرون مع السكان كما أن القافلة نفسها كانت تشكل سوقا متنقلة بالنسبة لجميع أفرادها[4] .

---

[1] خليفة حماش ، دكان الحرمين الشرفين في مدينة الجزائر في العهد العثماني،ص98 .

[2] أحمد بوسعيد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 –1830م) ،المرجع السابق، ص ص 184 – 185 .

[4] خليفة حماش ، دكان الحرمين الشرفين في مدينة الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 99 – 101 .

– وطيلة زمن السفر كان تجار الركب الجزائري يتحسسون أخبار المشرق وأسواقه ممن يلتقون بهم في طريقهم ، ففي أحد المواسم أخبروا بانكسار سوق الحجاز الى الرخاء بعد الغلاء الشديد ، ففرحوا فرحا شديدا بعد سماعهم هذا الخبر. وتشيد كثير من أسواق المدن ازدهار بمناسبة الحج ، فأسواق المدن المصرية تحتوي على بضائع محلية وأخرى مجلوبة من الأقاليم المشرقية المجاورة وذلك من أجل إشباع نهم التجار الحجاج الوافدين بكثرة ، فسوق الرملة المصري فضاء واسع خارج القاهرة فيه تباع الإبل والخيل وسائر الدواب وبه غالب ما يحتاجه الحاج من الأثاث والأمتعة واللباس وتنصب فيه بمناسبة مرور أركاب الحج أرجاء متعددة لتدشيش الفول الذي ينقله الجمالون بالكراء الى محطة المويلح في درب الحجاز علفا لدواب الحجاج ، ويرتاد سوق الرملة المذكور كذلك المشعوذون وأصحاب القرود والكلاب والتيوس كل يستعرض مهاراته وألعابه على الحجاج والأهالي المتفجرين[1] .

والطريق من مصر الى بركة الحاج كلها سوق عامرة حافلة بالسلع والخانات والأفرشة وهي من أهم الأسواق في رحلة الحجاج المغاربة وأرخصها ، ومن البنادر الحجازية المعدة لتسوق أركاب الحج بندر المويلح حيث تقام فيه الأسواق لتزويد الحجاج بما يحتاجونه فتمتلئ بالمنتجات المحلية من المزروعات وما يأتيها من مصر في المراكب علاوة على الملاقية التي تنتظر مقدم الحجاج لتقديم الهدايا والحلويات، كما أن الأعراب يستقبلون الأركاب لبيع المؤن الطازجة والاتجار مع الحجاج وفي الدرب كذلك سوق ينبوع البحر وهي مرسى عامرة ينزل بها الحجاج المغاربة للتسوق أحيانا . ويستغل الركب الجزائري مواسم جني المحاصيل فيشتري التمر الجيد بكميات كبيرة من سيوى قبل دخول صعيد مصر ، ويوضع في قفف طويلة من الحلفاء عليها غطاء لتسهيل عملية رفعه وحمله على ظهور الإبل[2] .

– وتعتبر مكة بالنسبة للحجاج أثرى سوق تجارية غنية وعامرة بالسلع من جميع الجهات إذ تجلب إليها الهندية والأفريقية واليمنية يقول الورتلاني : " ... وعمرت الأسواق بمنى وأخرجت البضائع ذوات الأثمان ، وعرضت صنوف السلع وأنواعها ، فتزاحم الناس على الشراء منها ..." واثر العودة من منى الى مكة يستغل الحجاج الأيام المتبقية لشراء السلع والهدايا فتعقد

---

[2] أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 –1830م) ، المرجع السابق، ص ص190 – 192 .

[2] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص63.

فيها سوق كبيرة تباع فيها كل بضائع الهند كما تباع فيها أحجار كريمة للخواتم والأساور المجلوبة من اليمن وكذلك بضائع الصين المسك وغيرها من الأشياء الغريبة ، وتوجد على جانبي المسعى الصفا والمروة سوق عامرة . وحينما ينتقل ركب الحج الجزائري الى زيارة المدينة يجد أسواقها كذلك عامرة زاهرة بفضل قدوم ركب أهل الشام من جهتها نظرا لما يأتون به من بضائع كثيرة وطعام وزيت وأشربة[1].

– لقد تنوعت البضائع التي كانت محل بيع وشراء من طرف تجار الركب الجزائري وتباينت في مراحل العهد العثماني، والملاحظ أن الغالب عليها هو المنتجات الحرفية ، محاصيل الغزل والنسيج والدباغة والعطارة ، كان الحجاج يأخذون معهم الشواشي والطرابيش والبرانس والأحزمة والنعال والمظلات وريش النعام والتبر والمرجان ، وعندما يعودون يجلبون معهم كميات من القهوة والأقمشة الحريرية والسجاد والشيشان الهندية والمسك والزبد. وفي بعض مواسم الحج كان الركب يحمل معه المئات من الإبل لبيعها في طريق الذهاب بطرابلس ومصر، كما أن تجارة العبيد بأسواق الحجاز معمول بها [2].

تصدر الكتان بأنواعه والأقمشة المختلفة رأس مشتريات الحجاج الجزائريين من الحجاز ومدن عبور الركب، فيذكر مثلا أن حاجا جزائريا اشترى حملين من الأقمشة الكتانية قام بفتحهما في الطريق لتجفيفهما من الماء ، وبعض الحجاج كانوا يحضرون معهم شالات كشمير المزخرفة المزينة المطلوبة بكثرة من طرف حجاج شمال أفريقيا، وكذا القماش الفاخر وخاصة النوع الرفيع منه المسمى البزّ[3].

ومن المقتنيات الأخرى التي لا يفوت الحجاج فرصة وجودهم بالمشرق للإتيان بها: الطيب والندّ والبخور والجاوي وصمغ الصنوبر والساج وملح النشادر والسكر وبعض الأقمشة المصرية والشامية وغيرها من السلع التي لا تتوفر في شهور السنة الأخرى. أما المنتج الذي فرض نفسه بقوة في أسواق المشرق منذ بدايات العهد العثماني فهو اليمني يشتري الحجاج

[1] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص65.

[2] حسام محمد عبد المعطي ، المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ، ص145 .

[3] عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم ، دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص69.

أطنان منه يحملها التجار من الحجاج الى بلاد المغرب. ويجني التجار أرباح كبيرة من تجارتها إذ تباع في بلاد المغرب بأضعاف ثمن شرائها عشر مرات[1].

– وكانت الأرباح المحصلة طائلة ومن الأمثلة المذكورة أن تاجر من ميزاب يسمى الناصر أنه اشترى من تونس 180 رطلا من الزعفران بسعر دورو للرطل الواحد ، وفي الحجاز يباع نفس الرطل بثمانية دورو، وفي الرجوع اشترى عشرين شاشا على دورين للواحد وستة عشر رطلا من المسك بسعر دورو للرطل الواحد وفي تونس يباع الشيشان بخمسة دورو للواحد والمسك بسعر 11 دورو للرطل[2] .

– ومن معيقات النشاط التجاري لركب الحج في المشرق مشكلة صرف العملة ، فالعملات الجزائرية مثل المحبوب والريال والموزونة لم تكن متداولة في بلاد المشرق لذلك كان التجار الحجاج يستعيضون عنها بالنقود الاسبانية مثل الاسكودو والدورو وغيرهما، وكذلك الدنانير المسكوكة من الذهب والفضة، والى جانب استخدام النقد في المعاملات التجارية وجدت مناطق تتعامل بالمقايضة في أسواق مكة وغيرها، فيتم مثلا تبادل القلانس والبرانس والنعال بالأقمشة والموسلين والعنبر والتوابل[3] .

[1] حسام محمد عبد المعطي ، المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، المرجع السابق ، ص 148 .

[2] أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 –1830م)، المرجع السابق، ص ص194 – 199 .

[3] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 ، ص ص 235 – 244 .

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قائمة المصادر والمراجع :

أولا / قائمة المصادر :

- محمد جمال الدين ابن منظور: لسان العرب ، د ط ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ، مادة ركب الحج .

احمد المقري ابي العباس : رحلة المقري الى المغرب و المشرق ، (د، ط) ، تح محمد بن معمر، دار مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2004م .

-أحمد بن أبي ضياف: اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، مج 2 ج 3، الدار العربية للكتاب ، تونس، 1999.

- عبد الهادي التازي : التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقد العصور الى يوم (عهد السعدين) ، (د ، ط) ، ج8 ، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، المملكة المغربية ، 1988م .

أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي: الرحلة الحجازية، ضبط و تع عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، 2011.

-الحاج احمد بن المبارك بن العطار : تاريخ بلد قسنطينة ، تح : عبد الله حمادي ، دار الفائز للطباعة و النشر و التوزيع ، قسنطينة ، 2001م.

احمد المقري ابي العباس : روضة الاس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيتهم من اعلام حضرتين مراكش و فاس ،ط2 ، مكتبة الملكية ، الرباط ،1983م.

- أحمد بن مبارك بن العطار ، تاريخ بلد قسنطينة ، ط خ ، تحقيق عبد الله حمادي، دار الفائز للنشر والطباعة والتوزيع ، قسنطينة ، 2011 .

-علي بن محمد التمجروتي : النفحة المسكية في السفارة التركية (1589م) ، ط1 ، تح محمد صالحي ، دار السويدي للنشر و التوزيع ، أبو ظبي ، 2007م.

-عبد الرحمان بن حسن الجبرتي ، عجائب الأثار في التراجم والأخبار ، ج1 ، القاهرة ، 1322 – 1904 م .

- أحمد باي : مذكرات أحمد باي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014.

-جومار ، أ : العرب والعربان في مصر الوسطى ، الترجمة الكاملة وصف مصر، مجلد 02 ، ترجمة زهير الشايب .

-جومار ، أ : العرب والعربان في مصر الوسطى ، ترجمة زهير الشايب ، الترجمة الكاملة وصف مصر، مجلد 02 ، " العرب في ريف نصر وصحراواتها " ، ط2، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1980 .

- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، ط2، تق، تع وتح محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1984.

Ernest Mercier :op cit,p373

- محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981.

- محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني : نزهة الحادي بأخبار لملوك القرن الحادي ،ط1 ، 1888.

- الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، د ط ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974م.

- فهد بن محمد السويكت : موقف الأشراف السعدين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية ، مجلة جامعة الملك سعود ، 2002م ، الرياض.

العباس بن ابراهيم السملالي : اعلام بمن حل مراكش و اغمات من اعلام ، ط2 ، مرا عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1999م.

ابو سالم عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية 1661 -1663م ،تح سعيد فاضل و سليمان القريشي ، دار السويدي للنشر و توزيع ، أبو ظبي ، 2006م ، مج1.

- أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي : الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ط1 ، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ، دار السويدي لنشر والتوزيع ، أبوظبي ، 2006.

أبي فارس عبد عبد العزيز القشالي : مناهل الصفاء في مأثر موالينا الشرفاء ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 2002 .

يوسف الملواني ، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، نسخة الكترونية ، مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي رقم 80 .

- محمد بن عبد الوهاب المكناسي: احراز المعلي والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب المسماة 'رحلة المكناسي"، تح: محمد بوكبوط، درا السويد للنشر والتوزيع، أبوظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.

- أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى (الدولة السعدية) ، تح جعفر الناصري ،محمد الناصرى ، دار البيضاء (ن د م) ، 1955م.

- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصا الأخبار دول المغرب الأقصى ، (د، ط) ، ج1 ، تح جعفر الناصري ، محمد الناصري دار البيضاء ، (د ن م) ، 1997م.

أبوراس الناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ، د ط ، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986

- الحسن بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح: محمد ابن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائري، 1908.

الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ الأخبار (الرحلة الورثلانية) تعليق ابن مهنا القسنطيني ، الحسين بن محمد تقديم محفوظ بوكراع وعمار بسطة ، ط خ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ج01 .

- وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تع تق، اسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

ثانيا / قائمة المراجع :

1 - الكتب :

شوقي أبو خليل : وادي المخازن معركة ملوك الثلاثة – القصر الكبير ، ط1 ، دار الفكر ، سورية ، 1988م.

- شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982.

-رائسي ادريسي: القبائل الحدودية التونسية _ الجزائرية بين الاجارة والاغارة (1830-1881)، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016.

- دلندة الارقش و اخرون : المغرب العربي الحديث من خلال المصادر ، (د، ط) ، مركز النشر الجامعي ميدياكوم ، (د، م) ، 2003م.

بهاء الأمير : الدولة العثمانية و المغرب : (د ، م) ، (د، ت) ، 2020م.

-عبد الهادي التازي : الوسيط في تاريخ الدولي المغرب للمغرب،ط1،ج3.دار النشر المعرفة ، المغرب، 2001م.

إبراهيم علي الحسن : أحمد المنصور الذهبي ، ط1 ، دار الثقافة للنشر و توزيع ، 1987م.

جامعة مختار- عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

- عيسى الحسن : الدولة العثمانية عوامل و أسباب الإنهيار ، ط1، دار الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2009م
- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ج 3، ط2 ، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، 1965.
الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1999م.
- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش.و.ن.ت ، الجزائر، 1972.
- مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني_، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، 2009.
عبد الرحمان بن عامر السعدي : تاريخ السودان، ارنست ليروس ، باريس ، 1898.
- محمود السيد : تاريخ دول المغرب العربي ليبيا – تونس – جزائر – المغرب – موريتانيا ، (د،ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 200م.
- محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط3، تع محمد الشاوش و محمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1993.
- عدة الشيخ : نشأة الصراع العثماني المغربي ودور الجزائر في نسج معالم العلاقات بينهما، مجلة قضايا تاريخية، 2021م، الجزائر.
- علي محمد الصلابي: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي – سيرة الأمير عبد القادر– تاريخ الجزائر إلى ما قبل الجرب العالمية الأولى، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
على محمد الصلابي : الدولة العثمانية و عوامل النهوض و أسباب السقوط ، ط 1 ، دار التوزيع و النشر و الاسلامية ، (د، م) ، 2001م.
- محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية،ط1،دار البعث ، قسنطينة، 1985.
- محمد العمراني: العلاقات السعدية العثمانية من خلال كتاب تأسيس دولة الأشراف بالمغرب وصراعها مع الأتراك إيالة الجزائر 1509–1830م، للمؤلف أوغست كور ، مجلة كلية العلوم الإنسانية سايس، ع1، 5015م، جامعة سيدي محمد بن عبد الله.
- صالح العقاد : المغرب العربي في تاريخ الحديث و معاصر الجزائر . تونس . المغرب الاقصى ، ط6 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (د، م) ، 1993م.
- محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره ، اش نقولا زياده، (د، ط) ، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، كويت، 1982.
- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : موسوعة المغرب العربي ، ط1 ، ج 5–6 ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، 1994م.
عبد العزيز الفيلالي : تلمسان في عهد الزياني ، (د، ط) ، ج 1 ، موفم للنشر والتوزيع ، 2002م.
عبد الكريم الفيلالي : التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ط 1 ، ج3 ، شركة ناشر للطباعة ، القاهرة ، 2006م .
محمد بن الطيب القادري : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني ، تح محمد حجي ، احمد التوفيق ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، 1977م ، ج1 .
–عبد المجيد القدوري : ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت ، د ط ، مطابع منشورات عكاظ ، الرباط . 1991
عبد مجيد القدوري : المغرب و أوروبا ما بين القرنين الخامس عشر و الثامن عشر (مسألة التجاوز) ، ط2، الدار البيضاء ، المغرب ، 2012م.
محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط1، دار نفاسي، بيروت،1981م.

- توفيق احمد المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، د ج ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ت.
محمد العروسي المطوي : الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، (د م) ، 1982م.
زهرة النظام : العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال قرن 10هـ/16م ، (د ن ط) ، دار الأمان ، الرباط ، 2015م.
- مولاي بالخميسي : الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981.
- سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق تعر: أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت ، الجزائر، 1974.
- بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر 1830 - 1962 ، ج1 ، دار المعرفة ، الجزائر ،2006.
-مسعود بقادي :هجرة علماء تلمسان الى فاس و دورهم الثقافي بين الجزائر و المغرب خلال القرن 10هـ/16م ،
- عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، دار الامل ، الجزائر ، 2002م ، ج1.
عمار بن خروف : العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بين الجزائر و المغرب في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي ، دار الأمل ، (د،م) ، 2008م.
-عمر بن قايد : أضواء على العلاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال قرن 11هـ/17م ، مجلة الواحات للبحوث و الدارسات، ع17، غرداية.
- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997.
يحي بوعزيز : موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ج1،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر، 2004.
محمد بووشن : التنافس الإسباني - الإنجليزي حول الثغور المغربية خلال أحمد المنصور السعدي (986هـ/1578م-1012هـ/1603م): العرائش نموذجا ،مقدمة للدراسات الإنسانية و الإجتماعية ، ع 5 ،2020م جامعة ابن طفيل .
-عمر كامل توفيق : الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصور الوسطى ضمن أبحاث " مجتمع الإسكندرية عبر العصور " جامعة الإسكندرية ، 1975.
شوقي عطاالله جمل : المغرب العربي الكبير في عصر الحديث (ليبيا - تونس - جزائر - المغرب)، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977م.
-شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية ، ط 4، تع محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1983.
محمد حجي : الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ،الرباط ، 1976م .
-ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ من بداية المرينية الى نهاية السعديين ، ط 1، ج2 ، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ، 1978م.
-ابراهيم حركات : السياسة و المجتمع في العصر السعدي (د ، ط) ، دار الرشاد الحديثة ،المغرب ، 1987م .
- خليفة حماش: كشاف وثائق تاريخ الجزائر الأرشيف الوطني التونسي، ج1 ،ط2، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ، 2016.
فالح حنظل : العرب و البرتغال في تاريخ ،ط1 ، منشورات المجمع الثقافي ، أبوظبي ، 1997م.



حماش خليفة : كشاف الوثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني الى العهد الراهن ، (د ، ن) ، ج1 ، منشورات كلية الآداب و الحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، 2018م.

-بغداد خلوفي، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، المركز الجامعي نور البشير ، البيض ، 2016م

- محمد عبد المنعم خفاجي : الأزهر في ألف عام ، ج2 ، القاهرة.

محمد رزوق : دراسات في تاريخ المغرب ،ط 1 ، دار افريقيا الشرق ، مغرب ، (د ، ط) ، 1991م .

-محمد رزوق : مسألة الأندلس في عملية فتح خلال عصر أحمد المنصور الذهبي ، المغرب و افريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث ،ط 1 ، ع2 ، 1995م ، جامعة الحسن الثاني.

روجرر : العلاقات الانجليزية -المغربية حتى عام 1900م ، تر : يونان لبيب رزق ، دار الثقافة ،المغرب ، 1981م .

- البارون ألفونص روسو: الحوليات : التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تر، تح وتق: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريوس، بنغازي، 1992.

- محمد زروال: العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830، مطبعة دحلب، الجزائر، (د. ت) .

- محمد زروقي : الاندلسيون و هجراتهم الى المغرب خلال قرن 16-17 ، ط3 ، افريقيا الشرق ، الرباط ، 1998 م .

- أحمد سالم : السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م ، (د ،ط) ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2011م .

-وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006 .

- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ، 1998 .

- أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ط خ ، دار البصائر ، الجزائر 2007 م ، ج4 .

- عبد العزيز سعود : تطوان في القرن الثامن عشر ، مطبعة الخليج ، تطوان ، 2007م.

- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر ،. 2009.

- ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط 2 ،دار البصائر ، الجزائر 2013.

-ناصر الدين سعيدوني : دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر ، ط2 ، البصائر للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013م.

- احمد شربيني: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية 1840 -1914 1995 ، دار العالم العربي، القاهرة.

-سهيل صابان : المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000م.

-عبد المجيد عابدين : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي ، مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1961 م .

-محمود علي عامر ، محمد خير فارس : تاريخ المغرب العربي الحديث ، منشورات جامعة دمشق ، 2000.

رضوان نبيل عبد الحي : جهود العثمانيين الانقاض الاندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ، ط1 ، مكتبة الطالب الجامعي ، مملكة العربية السعودية، ،1988م.

-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر، القاهرة ، جامعة عين شمس، 1974 م.

-عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 -1798) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1982 .

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الانسانية

– حسام محمد عبد المعطي : المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر ، تقديم إسماعيل سراج الدين، مكتبة الاسكندرية ، الإسكندرية ، 2015 .

– خورشيد عبد الله : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ،دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1967 م .

– حسن حسيني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ،دار الجنوب للنشر ، تونس، 2001.

– أحمد سالم سالم علي : العلاقات العثمانية – المغربية خلال القرن السادس عشر ، كان التاريخية ، ع 13 ، 2011م ، الاسكندرية.

– محمد امراني علوي : الدولة السعدية و سياسة التوحيد أحمد المنصور الذهبي ، ط1 ، المعهد المغربي للدراسات و التواصل الثقافي الرشيدية ، (د، م) ، 2017م.

– عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ "الجزائر خاصة" ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة، الجزائر، ج2، 2009.

– أحميدة عميراوي: جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري (بداية الاحتلال)، دار البعث، قسنطينة، 1984.

– أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال، دار البعث، قسنطينة، 2002.

– أحميدة عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.

محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1378 هـ / 1958م .

مصطفي غاشي :الرحلة المغربية و المشرق العثماني محاولة في بناء صورة ، ط1 ، الانتشار العربي ، لبنان ، 2015.

–عبد كريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية عصر التركي في تونس و الجزائر ، ط1 ، ج1 ج2، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 2005م.

– محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث ط1 ، دمشق ، 1969.

–صالح فركوس: الحاج أحمد باي 1826–1850، دار المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007.

– عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة تاريخ – معالم – حضارة، دار الهدى، عين مليلة، (د. ت).

– شبانة محمد كمال : الدويلات الإسلامية في المغرب دار العالم العربي، مصر، 2007.

– دونالد كراترت : الدولة العثمانية (1700–1922)، تع : ايمن الارمنازي ، د ط ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 1424 هـ .

المارمول كربخان : افريقيا ، تر محمد حجي و اخرون ، الجمعية المغربية للنشر و التوزيع ، الرباط ، 1988 – 1989 م ، ج 2 ج 3.

عبد الكريم كريم : المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية و مختلف المظاهر الحضارية ، ط 3 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط ، 2006م.

– عبد الله كنون : مدخل الى تاريخ المغرب ، دار الكتب للحكمة ، بيروت ، 2017.

– روجي كواندرو : قراصنة سلا ، تر محمد محمود ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، المغرب ، 1991م.

–فوزية لزغم : الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518–1830 ، (د، ط) ، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية ، (د ، م) ، 2011م .

– فالنسي لوسيت : المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790 – 1830 م ، ط01 ، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1980.

-روجي لوطورنو : فاس قبل الحماية ، (د، ط) ، ج2 ، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1996م .

-البارون دي كولاصو – ماكنمارا: ملوك المغاربة، تر: عثمان المنصوري، ط1، مطبعة الرباط، 2016م.

– عبد الله مقلاتي: المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)، د.م.ج، 2014.

محمد نبيل ملين : السلطان الشريف جذور الدينية و السياسية للدولة المخزنية في المغرب ، (د،ط) ، تر : عبد الحق زموري ، عادل بن عبد الله ، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي ، جمعة محمد الخامس السويسي ، 2013م .

-فيصل محمد موسى : موجز تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر ، تح ميلاد المقرحي ، منشورات الجامعة المفتوحة ، بنغازي ، 1997 .

- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ، 1964.

– أندري نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984.

– عادل نويهض: معجم اعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980 .

– حنيفي هلالي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.

– مجموعة من الباحثين: مقاربات في تاريخ الجزائر العثماني، تنسيق و إش محمد أوجرنتي، منشورات ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، 2022.

– Abdelkrim Badjadja : La bataille de Constantine 1836-1837, Edition Edélivrée a paris, 2011 .

– Abdeljelil Temimi : trois lettres de hadj Ahmed bey de Constantine à la sublime porte, R.O.M.M, N3, 1967 .

– Abdeljalil Temimi : Le beylik de Constantine et hadj Ahmed bey (1830 -1837), Tunis, 1978 .

– Jacques Budin : Colonisation, Acculturation et résistances : la région de Bône (Annaba – Algérie) de 1832 a 1914, sous la direction Émérite Jean-Charles jauffret, thèse pour obtenir le grade de docteur en histoire, université D'AIX Marseille, 2017, pp99, 101.

– Rym Bakiri : impact de l'intervention coloniale sur la ville de Constantine cas des maisons hybrides, sous la direction du Debache Ben zagouta Samira, mémoire pour obtenir diplôme de magister, université Mentouri, Constantine , 2011 .

2 – المقالات:

- عبد القادر أحمد :المجلة التاريخية المصرية ، العدد 14 ، 1968 .

– فهد بن محمد السويكت : موقف الأشراف السعدين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية ، مجلة جامعة الملك سعود ، 2002م ، الرياض ، ص 202.

- التليلي العجيلي : الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب، منوبة، 1992.

-كمال الفيلالي : هجرة علماء غريس تلمسان الى فاس في العهد العثماني ، مجلة الموافق لبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ، ع خاص ، 2008م ، جامعة قسنطينة.

-عبد الرحمن الاعرج : الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني ، مجلة القرطاس ، ع 2 ، 2015م ، (د، م) .
- أحمد توفيق المدني :"رسائل مخطوطة (رسالة من أحمد باي إلى الصدر الأعظم بتاريخ 20 ربيع الأول 1251هـ/الخميس16جويلية 1835م) "، مجلة التاريخ ، رقم 4 ،المركز الوطني للدراسات التاريخية ،الجزائر، أفريل 1977.
- أحمد بن جابو : "أوضاع الجالية الجزائرية بتونس ما بين (1830-1881)"، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج3، ع6، مخبر التاريخ و الحضارة و الجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا ببوزريعة ، الجزائر ، 2012.
- عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574 الى 1671 ، دراسات إنسانية2 .
-عمار بن خروف : مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال 10هـ/16م ، حولية المؤرخ ، ع 1 ، 2002 ، جامعة الجزائر .
- جمعة بن زروال:" هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر و نشاطهم السياسي و الديني الشيخ سيدي على نفطي و الحاج محمد لخضر السهلي أنموذجا"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مج1، ع2، جامعة باتنة ، الجزائر ،2010.
-بلبروات بن عتو : نظرة استشراقية لعادات و التقاليد مجتمع الجزائري العثماني -مدينة الجزائر نموذجا- ، الحوار المتوسطي ، ع 2 ، 2010، جامعة سيدي بالعباس.
جلول بن قومار : المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي 986هـ-1012هـ/1578م-1603م ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، ع 20 ، 2020م ، جامعة غرداية.
- جلول بن قومار: جوانب من مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في عهد المولى اسماعيل العلوي (1672-1727) ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 27 ديسمبر 2016.
- سهام بودية:"أهمية الوثائق الأرشيفية في رصد التفاعلات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية بين بايلك الشرق الجزائري وإيالة تونس مطلع القرن التاسع عشر"، مجلة عصور الجديدة، مج11، ع3، جامعة وهران1، نوفمبر 2021.
- صالح بوسليم، عائشة محمة:" من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني (1519-1830م) هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع19، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، الجزائر ، 2018.
محمد بوشنافي : النظام الغذائي في الجزائر خلال عهد العثماني 1520-1830م، مجلة الدراسات الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية ، ع11 ، 2010 ، جامعة سيدي بلعباس .
- مسعود بقادي ، محمد الزين : هجر التلمسايين الى المغرب خلال قرن 10هـ/16م- العلماء أنموذجا- ، مجلة الحكمة لدراسات التاريخية ، ع 13 ،2018م ، جامعة سيدي بالعباس .
- محمد بوطيبي: "الهجرة الجزائريين إلى البلاد التونسية خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر"، مجلة الراصد العلمي، مج7، ع2، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، سبتمبر 2020 .
- حمزة بو قادوم :"الحضور الصوفي الجزائري بمدينة الكاف خلال القرن 19م"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج5، ع2 ، الجزائر، 2021.
- وهيبة بولصباع: أحمد صاري: "التجارة الخارجية للأغنام والماعز في بايلك الشرق خلال العهد العثماني"، مجلة آنسنة للبحوث والدراسات، مج12، ع2، الجزائر، 2022.
- الطاهر بونابي : "ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني"، مجلة عصور الجديدة، ع18، جامعة وهران 1، أوت 2015 .

– عبد الجليل تميمي: "مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة 1831 "، المجلة التاريخية المغربية، ع 5، تونس، جانفي 1976 .

––اسماعيل توتة : مداخلة الممارسة الدينية في الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الأجنبية ، جامعة جيلالي يابس ، سيدي بالعباس، 2018م.

– ليلى تيتة:" دور بعض أفراد أسرة بن قانة في الثورة التحريرية من خلال الوثائق الأرشيفية والشهادات 1956–1959 "، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج10، ع1، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2019.

– بارك جعفري : حملة منصور السعدي على اقليم توات في الجنوب الجزائر (989هـ/ 1581م) وانعكساتها على الصحراء و السودان ، المجلة السنغالية لدراسات العربية ، ع 5 ، 2018م ، جامعة الشيخ انتا جوب دكار.

– فاروق جياب : "دور المهاجرين الجزائريين في تونس وتأثيرهم على الحركة الوطنية في الجزائر"، مجلة القرطاس، ع4، جامعة أبوبكر بلقايد ،تلمسان ، جانفي 2014.

–ابراهيم حركات ، صلات الفكرية بين تلمسان و المغرب ، مجلة الأصالة ، ع 26–27 ، 1975 ، الرباط.

– محمد حلوان، كريم ولد النبية : "النزاعات الحدودية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال الفترة التي سبقت الغزو الاستعماري (1825–1830)"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج13، ع1، جامعة سيدي بلعباس، جويلية 2021.

– خليفة حماش ، دكان الحرمين الشرفين في مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدارة ، العدد 1 ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ،2009م .

–عقبة خضير: "النشاط الاقتصادي بالجزائر في العهد العثماني ما بين القرن 17–19 دراسة تاريخية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع6، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2016.

– محمد دادة ، تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان و العثمانيين و المغاربة في القرن 16م ، عصور الجديدة ، ع2 ، 2011م ، تلمسان.

– قادة دين : الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ ، عصور الجديدة ، ع27 ، 2018م ، جامعة الجزائر 2.

عائشة غطاس: أوقاف الحرمين الشرفين بالجزائر إبان العهد العثماني من مظاهر التواصل بين الجزائر وبلاد الحجاز أعمال المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول حول " العلاقات بين دول الخليج والمغرب العربيين الواقع والمستقبل" تقديم عبد الجليل التميمي وفهد بن عبد الله السماوي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس، 2005 .

– خالد فؤاد طحطح : العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث القرن السادس عشر – أواخر القرن الثامن عشر، مجلة كان التاريخية، ع14، 2011، (د، م).

عز الدين بن سيفي : ملامح من العلاقات السياسية الجزائرية المغربية في على عهد الأتراك العثمانيين في الجزائر و الأشراف السعديين في المغرب الأقصى ، مجلة القرطاس ، ع11 ، 2019 ، خنشلة.

أحمد سالم سالم علي: العلاقات العثمانية –المغربية خلال القرن السادس ،كان التاريخية ، ع 13 ، 2011م ، الإسكندرية.

–فارس العيد: "طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830–1847)"، مجلة عصور الجديد، ع19–20، جامعة وهران 1، أكتوبر 2015.

– علي كامل حمزة سرحاني : العلاقات الخارجية للدولة السعدية خلال نصف الثاني من القرن سادس عشر الميلادي (1549–1603م) ، مجلة القادسية للعلوم الأنسانية ، ع4 ، 2017م ، المعهد التقني بابل.

- ناصر الدين سعيدوني : الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر – تونس – طرابلس الغرب) من القرني العاشر الى الرابع الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي) ، حوليات الآداب العلوم الاجتماعية ، حوليات الحادية والثلاثون ، 2000_م .

_ رفيق شلابي، عامر شرقي: "الأقمشة الجزائرية الوافدة لإيالة التونسية خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، مج6، ع1، المركز الجامعي بتيندوف، الجزائر ، 2021.

- أزرقي شويتام : "العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)"، مجلة الدراسات التاريخية، ع13، الجزائر، 2011.

-عبد الرحيم عبد الرحمان ، دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، القسم الأول العصر العثماني ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد (10 -11) ، يناير 1978 م.

عبد الرحيم عبد الرحمان ، دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، القسم الأول العصر العثماني ، القسم الثاني القرن التاسع عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد (12) ، يوليه 1978 م .

عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم : دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث ، القسم الأول العصر العثماني ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد (10 -11) ، يناير 1978 م .

- فتيحة عبد النور: "الهجرة العلمية للجزائريين نحو تونس خلال الحقبة الاستعمارية "مجلة المعارف للبحوث والدارسات التاريخية، ع5، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي .

- فوزية لزغم: "العلماء الجزائريون خلال عهد الدايات (1671-1830م) ودورهم في مد جسور التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس"، مجلة الخلدونية، مج 12، ع2، جامعة ابن خلدون ، تيارت ، 2020.

-سمير مشوشة: "ابن حمادوش الجزائري وأبو رأس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع12، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، الجزائر ، 2017.

- عبد القادر ولد أحمد: "مساهمة التواصل الصوفي في انتشار الطرقية بين الجزائر وتونس الطريقة الشابية نموذجا"، مجلة مالك بن نبي للبحوث والدراسات، مج2، ع2، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020.

- عمار هلال :" العلماء الجزائريون في تونس فيما بين القرنين الرابع والرابع العاشر للهجرة و العشرين للميلاد"، دراسات تاريخية، مج 8، ع1، 2000 .

- عبد المنعم هامل: "مواقف القبائل الحدودية لبايلك الشرق الجزائري من النزاع الجزائري التونسي (1614-1821)"، المجلة المغاربية للدارسات التاريخية والاجتماعية، مج 13، ع2، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2021.

-عائشة غطاس: أوقاف الحرمين الشرفين بالجزائر إبان العهد العثماني من مظاهر التواصل بين الجزائر وبلاد الحجاز أعمال المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول حول " العلاقات بين دول الخليج والمغرب العربيين الواقع والمستقبل" تقديم عبد الجليل التميمي وفهد بن عبد الله السماوي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس، 2005 .

Espagne et kouko,les négociations de 1598et 1610 in revue de L'occident Musulman et de la Méditerranée ,No 8,1970.

3 - الرسائل الجامعية :

- محمد عبد الحميد الحناوي : دور عرب المغاربة في الإسكندرية والبحيرة منذ الفتح العثماني لمصر 1517 حتى جلاء الحملة الفرنسية 1801 م ، ماجستير ، قسم التاريخ كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، 1980 .

- كوثر العايب : العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711_1830)، اش محمد السعيد عقيب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الوادي ، 2014.

- كوثر العايب :حركة القبائل الجزائرية التونسية على المناطق الحدودية خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي، اش محمد السعيد عقيب ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، 2021.

-عمر بالبشير : جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية في المغربيين الأوسط و الأقصى من القرن 6 الى 9 هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي ، اش غازي مهدي جاسم ، شهادة دكتوره ، تخصص تاريخ الإسلامي ، جامعة وهران ، 2010م.

- صالح بن سالم : التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب (1549 -1664م) ، اش اسماعيل سمعي ، شهادة ماجستير ،تخصص العلاقات و الاقتصادية الثقافية بين الجزائر العثمانية و دول المغرب الكبير ،جامعة الامير عبد قادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة.

- مصطفى بن عمار: الصراع على السلطة الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م)، اش فلة القشاعي موساوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2010.

جلول بن قومار : معركة واد المخازن و أثرها في العلاقات المغربية مع الدول غرب اوروبا البرتغال – اسبانيا –فرنسا (986هـ-1578م/1012هـ-1603م) ، اش عمار بن خروف ، المساعد صالح بو سليم ، شهادة ماجستير ، تخصص تاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، غرداية ، 2011م .

مسعود بقادي : العلماء الجزائريون بالمغرب الاقصى و دورهم في الحياة الثقافية خلال القرن 10هـ/16م ، اش محمد الزين ، شهادة دكتورة ، تخصص الحديث و المعاصر ، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بالعباس ، 2020م.

حسين بو خلوة : عبد الكريم بن فكون القسنطيني حياته و اثاره (988هـ-1072هـ)/ (1580م-1663م) ، اش الجيلالي سلطاني ، شهادة الماجستير ، تخصص التاريخ و الحضارة الاسلامية ، جامعة السانية ، وهران ، 2009م.

احمد بوسعد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1530م) دراسة تاريخية و اجتماعية من خلال الرحلة الحجازية ، المشرف محمد حوتية، شهادة دكتوره ، تخصص تاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة احمد دراية ، ادرار ، 2018م.

-أحمد بوسعيد : ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518 -1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه ، اشراف محمد حوتية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية ، جامعة أدرار[1] ، 2017 /2018 .

- جهيدة بوعزيز: الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1837/1771م 1185-1253هـ)، اش جميلة معاشي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2، 2012.

- عز الدين بومزو: الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري أرنست مرسيه نموذجا، إشراف مصطفى حداد، مذكرة نيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

- حميد آيت حبوش : الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية من خلال رحلتي الحسن الوزان و التمجروتي ، اشراف حنفي هلالي ، اطروحة شهادة دكتورة ، تخصص تاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة جيلالي يابس ، سيدي بالعباس ، 2014.

- صورية حصام: العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، إش عبد المجيد بن نعيمة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013.
- رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنيين 11-12هـ/17-18م، اش خليفة حماش، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2014.
-محمد حلوان: العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750-1830، إش كريم ولد البنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015.
-خليفة حماش : الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، إشراف أ د فاطمة الزهراء قشي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007/2006 .
إسماعيل حنفوق : دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1931، إش صالح فركوس، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،جامعة لحاج لخضر، باتنة، 2011.
- كاملية دغموش : قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني و السلطة العثمانية (1509- 1792م)، اش محمد دادة، شهادة ماجستير، تخصص تاريخ الحديث، جامعة وهران، 2014م.
- خديجة دوبالي : رسائل أحمد باي إلى حسين باشا (1240-1245هـ/1826-1830م) دارسة وتحليل، إش بن نعيمة عبد المجيد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006.
-عبد الجليل رحموني : المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830م)، ا ش عبد القادر صحراوي، شهادة ماجيستر، تخصص التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة جيلالي اليابس، سيدي بالعباس، 2015م.
- فهيمة رزقي: سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سرتا - قسنطينة- دراسة أثرية فنية، اش عبد العزيز محمود لعرج، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011.
العياشي روابحي: الإدارة الاستعمارية وعلاقتها بالعائلات الكبرى في مقاطعة قسنطينة 1837-1871م، اش صالح فركوس، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 2- عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2015.
- زهيرة سحابات: الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني (1628-1830م)، اش عسال نور الدين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2020.
عطا علي محمد شحاته، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرنيين و الوطاسيين، ط1، دار الكلمة للطباعة و النشر و التوزيع، برامكة، 2013م.
-ارزقي شويتام : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519.1830 م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005.2006.
-عبد الله طويلب : المؤسسات العلمية المرينية السعدية -دراسة تاريخية ثقافية - : أش بودواية مبخوت، شهادة دكتورة، تخصص التاريخ السياسي و الثقافي للمغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2018م .
- محمد عطية: الصراع بين الايالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية 1587- 1830، اش عبد القادر صحراوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015.
حبيب عياشي : علاقات الجزائر الخارجية من خلال مذكرات احمد الشريف الزهار (1754-1830)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمة اخضر، الوادي، 2016-2017.

-عائشة غطاس : الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م ، إش مولاي بالخميسي ، شهادة دكتورة ، دولة في تاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ، 2000-2001.

- ليلى غويني : التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال رحلات الحجازية الجزائرية ، اش عائشة غطاس ،شهادة ماجستير ، تخصص تاريخ الحديث ، جامعة الجزائر -2- ، الجزائر ، 2011م.

- فيصل قاسم: الحركة التجارية بين موانى بلدان المغرب خلال العهد العثماني، اش عبد المجيد قدور، مذكرة مكلمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014 .

- الهام قاسمي، حورية طالبي: العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات 1671-1830 م رسالة مقدمة لنيل الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة احمد دراية ، ادرار ، 2015-2016، ص 16.

- عبد الرزاق قشوان: الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري (1219-1282هـ/1804-1871م)، اش عبد المجيد قدور، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2018.

- فوزية لزغم : البيوت و الاسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي و السياسي (920هـ-1246هـ)/(1520-180م) ، اش محمد بن معمر ، شهادة دكتوره ، تخصص في تاريخ و حضارة الاسلامية ، جامعة واهران ، وهران ، 2014م.

-سمية محمودي : ايالة الجزائر في عهد بابا حسن (1791- 1798) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث ، قسم العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ، 2018-2019.

- بشير مديني: الجالية الجزائرية في تونس، السوافة نموذجا (1876-1954)، اش إبراهيم مياسي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائري، 2006.

- جميلة معاشي: الانكشارية والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، اش كمال فيلالي ،رسالة مقدمة نيل شهادة الدكتوراه ،جامعة منتوري ،قسنطينة ، 2008.

-جلول مكي : مسألة الحدود بين الجزائر و المغرب من 631 الى 1263هـ /1234 -1847م ، اش مولاي بالخميسي ، شهادة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 1993م.

- فلة القشاعي المولودة موساوي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771 - 1837 ، مذكرة ماجستير ، اش ناصرالدين سعيدوني ، جامعة الجزائر ، 1989 / 1990.

- الطيب يوسفي: العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التيجانية إلى أعيان الجنوب التونسي أنموذجا، اش مكحلي محمد ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي لياس، سيدي بلعباس، 2020.

جامعة باجي مختار - عنابة
المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
مقدمة	03
المحاضرة الأولى: العلاقات السياسية الجزائرية المغاربية أولا / العلاقة السياسية مع تونس	04
المحاضرة الثانية : العلاقات السياسية الجزائرية المغاربية ثانيا / العلاقة السياسية مع المغرب الأقصى	18
المحاضرة الثالثة : العلاقات الاقتصادية الجزائرية المغاربية	38
أولا / العلاقة الاقتصادية مع تونس	38
ثانيا / العلاقة الاقتصادية بين الجزائر وليبيا	42
ثالثا/ العلاقة الاقتصادية مع المغرب الأقصى	43
المحاضرة الرابعة: العلاقات الاجتماعية الجزائرية المغاربية	52
أولا / العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية	52
ثانيا / العلاقات الاجتماعية الجزائرية المغربية	59
المحاضرة الخامسة: العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية	64
أولا / التواصل الثقافي بين الجزائر و تونس	65
ثانيا / التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى	70
المحاضرة السادسة: ركب الحج	77
المحاضرة السابعة: العلاقات الثقافية الجزائرية والمشرقية	81
المحاضرة الثامنة: العلاقات الاجتماعية الجزائرية المشرقية	86
المحاضرة التاسعة: العلاقات الاقتصادية الجزائرية المشرقية	95